۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ
وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةٗ وَسَطٗا
لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدٗاۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ
ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِۚ وَإِن كَانَتْ
لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ
لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةٗ تَرْضَىٰهَاۚ
فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥۗ
وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ
﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ
قِبْلَتَهُمْۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٖ قِبْلَةَ بَعْضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا
جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

۞ سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيْهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ
وَٱلْمَغْرِبُۚ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسْتَقِيمٖ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةٗ وَسَطٗا

لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤٣﴾

الصحيح المسند من أسباب النزول*

قال ابن إسحاق: عن البراء قال

كان رسول الله ﷺ يصلي نحو بيت المقدس

ويكثر النظر إلى السماء ينتظر أمر الله

فأنزل الله {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ}

فقال رجال من المسلمين وددنا لو علمنا علم من مات قبل أن نصرف إلى القبلة فأنزل الله {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}

وقال السفهاء من الناس ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها

فأنزل الله {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ} **إلى آخر الآية ا. هـ ([1])**

(سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ)

*** مُشْرِكُو الْعَرَبِ،

*** وَقِيلَ: أَحْبَارُ يَهُودَ

***وَقِيلَ: الْمُنَافِقُونَ، وَالْآيَةُ عَامَّةٌ فِي هَؤُلَاءِ كُلِّهِمْ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

---

[1] منقولا من لباب النقول في أسباب النزول للحافظ السيوطي ومن تفسير الحافظ ابن كثير.

قد اشتملت الآية الأولى على:-

1- معجـــــزة،

2- و تسليـــــة،

3-و تطميــــــن قلوب المؤمنين،

و اعتـــــراض و جـــــوابه، من ثلاثة أوجه،

و صفة المعترض،

و صفة المسلم لحكم الله دينه.

فأخبر تعالى أنه سيعترض السفهاء من الناس،

و هم الذين لا يعرفون مصالح أنفسهم،

بل يضيعونها ويبيعونها بأبخس ثمن، وهم اليهود والنصارى،

و من أشبههم من المعترضين على أحكام الله وشرائعه،

و ذلك أن المسلمين كانوا مأمورين باستقبال بيت المقدس، مدة مقامهم بمكة،

ثم بعد الهجرة إلى المدينة، نحو سنة ونصف - لما لله تعالى في ذلك من الحكم التي سيشير إلى بعضها،

وكانت حكمته تقتضي أمرهم باستقبال الكعبة، فأخبرهم أنه لا بد أن يقول السفهاء من الناس:

(مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ)

وهي استقبال بيت المقدس، أي: أيُّ شيء صرفهم عنه؟

وفي ذلك الاعتراض على حكم الله وشرعه، وفضله وإحسانه،

فسَّلاهم، وأخبر بوقوعه،

وأنه إنما يقع ممن اتصف بالسفه، قليل العقل، والحلم، والديانة،

فلا تبالوا بهم، إذ قد علم مصدر هذا الكلام،

فالعاقل لا يبالي باعتراض السفيه، ولا يلقي له ذهنه.

-ودلت الآية على أنه لا يعترض على أحكام الله، إلا سفيه جاهل معاند،

-وأما الرشيد المؤمن العاقل، فيتلقى أحكام ربه بالقبول، والانقياد، والتسليم

كما قال تعالى:

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ [الأحزاب:36]

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:51]

وقد كان في قوله (السفهاء) ما يغني عن رد قولهم، وعدم المبالاة به.

ولكنه تعالى مع هذا لم يترك هذه الشبهة،

حتى أزالها وكشفها مما سيعرض لبعض القلوب من الاعتراض، فقال تعالى:

(قُل) لهم مجيبا:

(لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ)

أي: فإذا كان المشرق والمغرب ملكا لله،

ليس جهة من الجهات خارجة عن ملكه،

*** أَيِ: الْحُكْمُ وَالتَّصَرُّفُ وَالْأَمْرُ كُلُّهُ لِلَّهِ، وَحَيْثُمَا تُوَلُّوا فثمَّ وَجْهُ اللَّهِ

، وَ {لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ} [الْبَقَرَةِ: 177]

أَيِ: الشَّأْنُ كُلُّهُ فِي امْتِثَالِ أَوَامِرِ اللَّهِ، فَحَيْثُمَا وَجَّهْنَا تَوَجَّهْنَا،

فَالطَّاعَةُ فِي امْتِثَالِ أَمْرِهِ، وَلَوْ وَجَّهَنَا فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّاتٍ إِلَى جِهَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ،

فَنَحْنُ عَبِيدُهُ وَفِي تَصْرِيفِهِ وخُدَّامُه، حَيْثُمَا وجَّهَنا تَوَجَّهْنَا،

وَهُوَ تَعَالَى لَهُ بِعَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ -ﷺ-وأمته عِنَايَةٌ عَظِيمَةٌ؛

إِذْ هَدَاهُمْ إِلَى قِبْلَةِ إِبْرَاهِيمَ، خَلِيلِ الرَّحْمَنِ،

وَجَعَلَ تَوَجُّهَهُمْ إِلَى الْكَعْبَةِ الْمَبْنِيَّةِ عَلَى اسْمِهِ تَعَالَى وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ،

أَشْرَفَ بُيُوتِ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ، إِذْ هِيَ بِنَاءُ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ، عليه السلام وَ لِهَذَا قَالَ:

{قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ} .

(يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ)

ومع هذا يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم،

ومنه هدايتكم إلى هذه القبلة التي هي من ملة أبيكم إبراهيم،

فلأي شيء يعترض المعترض بتوليتكم قبلة داخلة تحت ملك الله،

لم تستقبلوا جهة ليست ملكا له؟

فهذا يوجب التسليم لأمره، بمجرد ذلك،

فكيف وهو من فضل الله عليكم، وهدايته وإحسانه،

أن هداكم لذلك فالمعترض عليكم، معترض على فضل الله،

حســــــدا لكم و بغيــــــا.

و لما كان قوله:

(يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)

والمطلق يحمل على المقيد،

فإن الهداية والضلال، لهما أسباب أوجبتها حكمة الله وعدله،

وقد أخبر في غير موضع من كتابه بأسباب الهداية،

التي إذا أتى بها العبد حصل له الهدى كما قال تعالى:

﴿ يَهْدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾

[المائدة:16]

ذكر في هذه الآية السبب الموجب لهداية هذه الأمة مطلقا بجميع أنواع الهداية، ومنــــــة الله عليها فقال:

وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٤٣﴾

*الصحيح المسند من أسباب النزول

40 - عَنِ البَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺكَانَ أَوَّلَ مَا قَدِمَ المَدِينَةَ نَزَلَ عَلَى أَجْدَادِهِ، أَوْ قَالَ أَخْوَالِهِ مِنَ الأَنْصَارِ،

وَأَنَّهُ «صَلَّى قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْرًا، أَوْ سَبْعَةَ عَشَرَ شَهْرًا، وَكَانَ يُعْجِبُهُ أَنْ تَكُونَ قِبْلَتُهُ قِبَلَ البَيْتِ،

وَأَنَّهُ صَلَّى أَوَّلَ صَلاَةٍ صَلَّاهَا صَلاَةَ العَصْرِ، وَصَلَّى مَعَهُ قَوْمٌ»

فَخَرَجَ رَجُلٌ مِمَّنْ صَلَّى مَعَهُ، فَمَرَّ عَلَى أَهْلِ مَسْجِدٍ وَهُمْ رَاكِعُونَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ لَقَدْ صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺقِبَلَ مَكَّةَ،

فَدَارُوا كَمَا هُمْ قِبَلَ البَيْتِ،

وَكَانَتِ اليَهُودُ قَدْ أَعْجَبَهُمْ :-

((إِذْ كَانَ يُصَلِّي قِبَلَ بَيْتِ المَقْدِسِ، وَأَهْلُ الكِتَابِ))

فَلَمَّا وَلَّى وَجْهَهُ قِبَلَ البَيْتِ، أَنْكَرُوا ذَلِكَ.

قَالَ زُهَيْرٌ: حَدَّثَنَا أَبُو إِسْحَاقَ، عَنِ البَرَاءِ فِي حَدِيثِهِ هَذَا: أَنَّهُ مَاتَ عَلَى القِبْلَةِ قَبْلَ أَنْ تُحَوَّلَ رِجَالٌ وَقُتِلُوا، فَلَمْ نَدْرِ مَا نَقُولُ فِيهِمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ}

[البقرة143]()()

 صحيح البخاري

(قبل) نحو.

(يعجبه) يحب ويرغب.

(قبل البيت) جهة الكعبة.

(أول صلاة صلاها) أي إلى الكعبة بعد تحويل القبلة.

(رجل) هو عباد بن بشر رضي الله عنه وقيل غيره.

(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا)

أي: عـــــدلا خيارا، و ما عدا الوسط، فأطراف داخلة تحت الخطر،

فجعل الله هذه الأمة، وسطـــــا في كل أمور الدين:-

1-وسطـــــا في الأنبياء، بين من غلا فيهم، كالنصارى،

وبين من جفاهم، كاليهود، بأن آمنوا بهم كلهم على الوجه اللائق بذلك،

2-ووسطـــــا في الشريعة، لا تشديدات اليهود وآصارهم،

ولا تهاون النصارى.

3-وفي باب الطهـــــارة والمطـــــاعم،

لا كاليهود الذين لا تصح لهم صلاة إلا في بيعهم وكنائسهم،

ولا يطهرهم الماء من النجاسات،

و قد حرمت عليهم الطيبات،(Ñ) عقوبة لهم،

(أشهد بالله) أحلف بالله.

(فداروا كما هم)

أي لم يقطعوا الصلاة بل داروا على ما هم عليه وأتموا صلاتهم.

(وأهل الكتاب) والنصارى كذلك.

(ولى وجهه قبل البيت) توجه نحوه.

(أنكروا ذلك) لم يعجبهم وطعنوا فيه]

{ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ }

[الأنعام: 146]الميسر : وهو كل ما لم يكن مشقوق الأصابع كالإبل والنَّعام، وشحوم البقر والغنم، إلا ما عَلِق من الشحم بظهورها أو أمعائها، أو اختلط بعظم الألْية والجنب ونحو ذلك

ولا كالنصـــــارى الذين لا ينجسون شيئا، ولا يحرمون شيئا،

بل أبــــاحوا ما دب ودرج.

۞بل طهارتهم أكمل طهارة وأتمها،

۞وأباح الله لهم الطيبات من المطاعم والمشارب والملابس والمناكح،

۞ وحرم عليهم الخبائث من ذلك،

فلهذه الأمة من الدين أكمله، ومن الأخلاق أجلها، ومن الأعمال أفضلها.

ووهبهم الله من العلـــــم والحـــــلم، والعـــــدل والإحســـــان،

ما لم يهبه لأمة سواهم، فلذلك كانوا

(أُمَّةً وَسَطًا) كاملين

(لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ)

بسبب عدالتهم وحكمهم بالقسط، يحكمون على الناس من سائر أهل الأديان،

ولا يحكم عليهم غيرهم،

–فما شهدت له هذه الأمة بالقبول، فهو مقبول،

–وما شهدت له بالرد، فهو مردود.

فإن قيل: كيف يقبــــل حكمهم على غيرهم،

والحال أن كل مختصمين غير مقبول قول بعضهم على بعض؟

قيل: إنما لم يقبل قول أحد المتخاصمين، لوجود التهمة

فأما إذا انتفت التهمة، وحصلت العدالة التامة، كما في هذه الأمة،

فإنما المقصود، الحكم بالعدل والحق،

وشرط ذلك، العلم والعدل، وهما موجودان في هذه الأمة، فقبل قولها.

فإن شَك شاك في فضلها، وطلب مزكيا لها، فهو أكمل الخلق، نبيهم ﷺ

فلهذا قال تعالى:

(وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗاۗ)

ومن شهادة هذه الأمة على غيرهم، أنه إذا كان يوم القيامة،

وسأل الله المرسلين عن تبليغهم، والأمم المكذبة عن ذلك،

وأنكروا أن الأنبياء بلغتهم، استشهدت الأنبياء بهذه الأمة، وزكاها نبيها.

وفي الآية دليـــــــل على أن:-

1- إجماع هذه الأمة، حجة قاطعة،

2- وأنهم معصومون عن الخطأ، لإطلاق قوله: (وَسَطٗا)

فلو قدر اتفاقهم على الخطأ، لم يكونوا وسطا، إلا في بعض الأمور

و لقوله: (لتكونوا شهداء على الناس)

يقتضي أنهم إذا شهدوا على حكم أن الله أحله أو حرمه أو أوجبه،

فإنها معصومة في ذلك.

وفيها اشتراط العدالة في الحكم، والشهادة، والفتيا، ونحو ذلك.

*****كقوله﴿وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمۡ إِبۡرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلۡمُسۡلِمِينَ مِن قَبۡلُ وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ**

ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱعۡتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ فَنِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾ [الحج:78]

***صحيح البخاري

4487 - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ،
فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟
فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟
فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ، فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ:

{وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} **[البقرة: 143]**

فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} **[البقرة: 143] "**

وَ الوَسَطُ: العَدْلُ( )

يقول تعالى:

(وَمَا جَعَلۡنَا ٱلۡقِبۡلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيۡهَآ)

وهي استقبال بيت المقدس أولا

(إِلَّا لِنَعۡلَمَ)

أي: علما يتعلق به الثواب والعقاب،

(لبيك وسعديك) لزوما لطاعتك وإجابة لأمرك بعد إجابة وسعيا في إسعادك إسعادا بعد إسعاد. أي ما يرضيك رضا بعد رضا]

وإلا فهو تعالى عـــــالم بكل الأمور قبل وجودها.

ولكن هذا العلم،

لا يعلق عليه ثـــــوابا ولا عقـــــابا، لتمـــــام عدله،

وإقـــــامة الحجة على عباده،

بل إذا وجدت أعمالهم، ترتب عليها الثواب والعقاب،

أي: شرعنا تلك القبلة لنعــــلم ونمتحـــــن

(مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ)

ويؤمن به، فيتبعه على كل حال، لأنه عبد مأمور مدبر،

ولأنه قد أخبرت الكتب المتقدمة، أنه يستقبل الكعبة،

فالمنصف الذي مقصوده الحق، مما يزيده ذلك إيمانا، وطاعة للرسول.

(مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِۚ)

و أما من انقلب على عقبيه، وأعرض عن الحق، واتبع هواه،

فإنه يزداد كفرا إلى كفره، وحيرة إلى حيرته،

و يدلي بالحجة الباطلة، المبنية على شبهة لا حقيقة لها.

(وَإِن كَانَتۡ)

أي: صرفك عنها

(لَكَبِيرَةً)

أي: شـــــاقة

(إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۗ)

فعرفوا بذلك نعمة الله عليهم، وشكروا، وأقــــــروا له بالإحسان،

حيث وجههم إلى هذا البيت العظيم، الذي فضله على سائر بقاع الأرض،

و جعل قصده، ركنا من أركان الإسلام، و هادما للذنوب والآثام،

فلهذا خــــــف عليهم ذلك، وشــــــق على من ســــــواهم.

***هَذِهِ الْفِعْلَةُ، وَهُوَ صَرْفُ التَّوَجُّهِ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ إِلَى الْكَعْبَةِ،

أَيْ: وَإِنْ كَانَ هَذَا الْأَمْرُ عَظِيمًا فِي النُّفُوسِ

، إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ قُلُوبَهُمْ، وأيقنُوا بِتَصْدِيقِ الرسُول،

وأنَّ كلَّ مَا جَاءَ بِهِ فَهُوَ الْحَقُّ الذِي لَا مرْية فِيهِ،

وَأَنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ مَا يُرِيدُ،

فَلَهُ أَنْ يُكَلِّفَ عِبَادَهُ بِمَا شَاءَ ، وَيَنْسَخَ مَا يَشَاءُ،

وَلَهُ الْحِكْمَةُ التَّامَّةُ وَالْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فِي جَمِيعِ ذَلِكَ،

بِخِلَافِ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ،

فَإِنَّهُ كُلَّمَا حَدَثَ أَمْرٌ أَحْدَثَ لَهُمْ شَكًّا،

كَمَا يَحْصُلُ لِلَّذِينِ آمَنُوا إِيقَانٌ وَتَصْدِيقٌ،

كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَإِذَا مَا أُنزلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ* وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ} [التَّوْبَةِ: 124،125]

وَقَالَ تَعَالَى: {قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى} [فُصِّلَتْ: 44]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَنُنزلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلا خَسَارًا} [الْإِسْرَاءِ: 82] .

ثم قال تعالى:

(وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ)

***صلاتكـــــــــــــــــــــم إلي بيت المقدس ((ثوابها))

أي: ما ينبغي له ولا يليق به تعالى،

بل هي من الممتنعات عليه،

فأخبر أنه ممتنع عليه، ومستحيل، أن يضيع إيمانكم،

وفي هذا بشارة عظيمة لمن مَنَّ الله عليهم بالإسلام والإيمان،

بأن الله سيحفظ عليهم إيمانهم، فلا يضيعه،

☼و حفــــــظه نوعــــــان: –

1O–حفظ عن الضيــــاع والبطـــــــلان،

بعصمته لهم عن كل مفسد و مزيل له و منقـــــص من:–

1–المحـــــن المقلقة،

2–والأهـــــواء الصادة))

و حفظ له بتنميـــــــته لهم:–

1–وتـــــوفيقهم لما يزداد به إيمانهم،

2–ويتـــــــم به إيقانهم،

فكما ابتدأكم، بأن هــــداكم للإيمان،

فسيحفظه لكم، ويتم نعمته بتنميته وتنمية أجره، وثوابه،

O2– وحفظه من كل مكـــــدر،

بل إذا وجدت المحن المقصود منها، تبيين المؤمن الصادق من الكاذب،

فإنها تمحص المؤمنين، وتظهر صدقهم،

وكأن في هذا احترازا عما قد يقال إن قوله:

﴿ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ ﴾

قد يكون سببا لترك بعض المؤمنين إيمانهم، فدفع هذا الوهم بقوله:

﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ ﴾ **بتقديره لهذه المحنة أو غيرها.**

ودخل في ذلك من مات من المؤمنين قبل تحويل الكعبة،

–فإن الله لا يضيع إيمانهم، لكونهم امتثلوا أمر الله وطاعة رسوله في وقتها،

وطاعة الله، امتثال أمره في كل وقت، بحسب ذلك،

وفي هذه الآية:–

دليل لمذهب أهل السنة والجماعة،أن الإيمان تدخل فيه أعمال الجوارح.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

أي: شـــــديد الرحــــــمة بهم عظيمـــــــها،

✡فمن رأفته ورحمته بهم، أن يُتم عليهم نعمته التي ابتدأهم بها،

✡وأن ميَّزَ عنهم من دخل في الإيمان بلسانه دون قلبه،

۞وأن امتحنهم امتحانا، زاد به إيمانهم، وارتفعت به درجتهم،

۞وأن وجههم إلى أشرف البيوت، وأجلها.

***صحيح البخاري

5999 - عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ سَبْيٌ،

فَإِذَا امْرَأَةٌ مِنَ السَّبْيِ قَدْ تَحْلُبُ ثَدْيَهَا تَسْقِي،

إِذَا وَجَدَتْ صَبِيًّا فِي السَّبْيِ أَخَذَتْهُ، فَأَلْصَقَتْهُ بِبَطْنِهَا وَأَرْضَعَتْهُ،

فَقَالَ لَنَا النَّبِيُّ ﷺ: «أَتُرَوْنَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ»

قُلْنَا: لاَ، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لاَ تَطْرَحَهُ،

فَقَالَ: «لَلَّهُ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بِوَلَدِهَا»( )

قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ ۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا ۚ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٤﴾

يقول الله لنبيه:

(سبي) أسرى من الصغار ذكورا وإناثا.

(تحلب ثديها) وفي نسخة (تحلب) أي سال منه الحليب.

(تسقي) حليبها للصبيان.

(طارحة) ملقية.

(أرحم) أكثر رحمة ورحمته تعالى إحسانه لعباده ودفعه النقمة والعذاب عنهم وعدم مؤاخذتهم على ما كسبوا]

(قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ)

أي: كثرة تردده في جميع جهاته، شوقا وانتظارا لنزول الوحي باستقبال الكعبة، وقال:

(وَجْهكَ)

و لم يقل: « بصرك » لزيادة اهتمامه،ولأن تقليب الوجه مستلزم لتقليب البصر.

(فَلَنُوَلِّيَنَّكَ)

أي: نوجهك لـــــــولايتنا إياك،

(قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَا)

أي: تحبها، وهي الكعبة، وفي هذا بيان لفضله وشرفه ﷺ

حيث إن الله تعالى يسارع في رضاه، ثم صرح له باستقبالها فقال:

(فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ)

و الوجه: ما أقبل من بدن الإنسان،

(وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ)

أي: من بر وبحر، وشرق وغرب، جنوب وشمال.

(فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ)

أي: جهتـــــــه.

ففيها اشتراط استقبال الكعبة، للصلوات كلها، فرضها، ونفلها،

وأنه إن أمكن استقبال عينها، وإلا فيكفي شطرها وجهتها،

وأن الالتفات بالبدن، مبطل للصلاة، لأن الأمر بالشيء نهي عن ضده،

*** وَلَا يُسْتَثْنَى مِنْ هَذَا شَيء، سِوَى النَّافِلَةِ فِي حَالِ السفر،
فإنه يُصَلِّيهَا حَيْثُمَا تَوَجَّهَ قَالبه، وقَلْبُه نَحْوَ الْكَعْبَةِ.
وَكَذَا فِي حَالِ الْمُسَايَفَةِ فِي الْقِتَالِ يُصَلِّي عَلَى كُلِّ حَالٍ،
وَكَذَا مَنْ جَهِلَ جِهَةَ الْقِبْلَةِ يُصَلِّي بِاجْتِهَادِهِ،
وَإِنْ كَانَ مُخْطِئًا فِي نَفْسِ الْأَمْرِ، لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا.

(وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ)

***أَيْ: واليهودُ -الَّذِينَ أَنْكَرُوا اسْتِقْبَالَكُمُ الْكَعْبَةَ وَانْصِرَافَكُمْ عَنْ بَيْتِ الْمَقْدِسِ
-يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُوجهك إِلَيْهَا، بِمَا فِي كُتُبِهِمْ عَنْ أَنْبِيَائِهِمْ، مِنَ النَّعْتِ وَالصِّفَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وأمَّته،
وَمَا خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ وشَرَّفه مِنَ الشَّرِيعَةِ الْكَامِلَّةِ الْعَظِيمَةِ،
وَلَكِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ يَتَكَاتَمُونَ ذَلِكَ بَيْنَهُمْ((حَسَـــــدًا وَكُـــفْرًا وَعِنَـــادًا))
وَلِهَذَا يُهَدِّدُهُمْ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: {وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ} .

–ولما ذكر تعالى فيما تقدم، المعترضين على ذلك من أهل الكتاب وغيرهم،

وذكر جوابهم، ذكر هنا، أن:–

✡أهل الكتاب والعلم منهم، يعلمون أنك في ذلك على حق وأمر،

لما يجدونه في كتبهم، فيعترضون عنـــــادا وبغيـــــا،

✿فإذا كانوا يعلمون بخطئهم فلا تبالوا بذلك،

✿فإن الإنسان إنما يغمه اعتراض من اعترض عليه،

إذا كان الأمر مشتبها، وكان ممكنا أن يكون معه صواب.

✿فأما إذا تيقن أن الصواب والحق مع المعترض عليه، وأن المعترض معاند،

عارف ببطلان قوله، فإنه لا محل للمبالاة،

بل ينتظر بالمعترض العقوبة الدنيوية والأخروية، فلهذا قال تعالى:

(وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ)

-بل يحفظ عليهم أعمالهم، ويجازيهم عليها،

-وفيها وعيـــــد للمعترضين،

-وتسليـــــة للمؤمنين.

وَلَئِنۡ أَتَيۡتَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٖ مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ إِنَّكَ إِذٗا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾

يقول كان النبي ﷺ من كمال حرصه على هداية الخلق

يبذل لهم غاية ما يقدر عليه من النصيحة،

ويتلطف بهدايتهم، ويحزن إذا لم ينقادوا لأمر الله،

✿فكـــــان من الكفار:-

من تمـــــرد عن أمر الله،

واستكــــــبر على رسل الله،

وتـــــرك الهدى، عمدا وعدوانا،

✡فمنهم: اليهـــــود والنصــــــارى، أهل الكتاب الأول،

الذين كفروا بمحمد ﷺعن يقين، لا عن جهل،

فلهذا أخبره الله تعالى

(وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ)

أي: بكل برهان ودليل يوضح قولك ويبين ما تدعو إليه،

(مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ)

أي: ما تبعوك، لأن اتباع القبلة، دليل على اتباعه،

ولأن السبب هو شأن القبلة، وإنما كان الأمر كذلك، لأنهم معاندون،

عـــــرفوا الحق وتـــــركوه،

-فالآيات إنما تفيد وينتفع بها من يتطلب الحق، وهو مشتبه عليه،

فتوضح له الآيات البينات،

-وأما من جزم بعدم اتباع الحق، فلا حيلة فيه.

(وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ)

-وأيضا فإن اختلافهم فيما بينهم، حاصل، وبعضهم غير تابع قبلة بعض،

فليس بغريب منهم مع ذلك أن لا يتبعوا قبلتك يا محمد،

وهم الأعداء حقيقة الحسدة،

*** إِخْبَارٌ عَنْ شِدَّةِ مُتَابَعَةِ الرَّسُولِ ﷺ لِمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ،
وَأَنَّهُ كَمَا هُمْ مُسْتَمْسكون بِآرَائِهِمْ وَأَهْوَائِهِمْ،
فَهُوَ أَيْضًا مُسْتَمْسِكٌ بِأَمْرِ اللَّهِ وَطَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ مَرْضَاتِهِ،
وَأَنَّهُ لَا يَتَّبِعُ أَهْوَاءَهُمْ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ،
وَمَا كَانَ مُتَوَجِّهًا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ؛
لِأَنَّهَا قِبْلَةُ الْيَهُودِ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ عَنْ أَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى .
ثُمَّ حَذَّرَ اللَّهُ تعالى عن مخالفة الْحَقِّ الذِي يَعْلَمُهُ الْعَالِمُ إِلَى الْهَوَى؛
فَإِنَّ الْعَالِمَ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَقْوَمُ مِنْ غَيْرِه.
وَلِهَذَا قَالَ مُخَاطِبًا لِلرَّسُولِ، وَالْمُرَادُ الْأُمَّةُ:

{وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ} [الْبَقَرَةِ: 145] .

(وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ)

أبلغ من قوله: « وَلا تَتَّبِعْ » لأن ذلك يتضمن أنه ﷺ اتصف بمخالفتهم،

فلا يمكن وقوع ذلك منه،

ولم يقل: « ولو أتوا بكل آية » لأنهم لا دليل لهم على قولهم.

–وكذلك إذا تبين الحـــــق بأدلته اليقينيـــــــة،

لم يلزم الإتيان بأجوبة الشبه الواردة عليه، لأنها لا حد لها،

ولأنه يعلم بطلانها، للعلم بأن كل ما نافى الحق الواضح، فهو باطل،

فيكون حل الشبه من باب التبرع.

(وَلَئِنِ ٱتَّبَعۡتَ أَهۡوَآءَهُم)

إنما قال: « أهواءهم » ولم يقل « دينهم » لأن ما هم عليه مجرد أهوية نفس، حتى هم في قلوبهم يعلمون أنه ليس بدين،

ومن ترك الدين، اتبع الهوى ولا محالة، قال تعالى:

﴿أَفَرَءَيۡتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلۡمٖ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ فَمَن يَهۡدِيهِ مِنۢ بَعۡدِ ٱللَّهِۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [الجاثية:23]

(مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ)

بأنك على الحق، وهم على الباطل،

(إِنَّكَ إِذٗا)

أي: إن اتبعتهم، فهذا احتراز، لئلا تنفصل هذه الجملة عما قبلها، ولو في الأفهام،

(لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ)

أي: داخل فيهم، ومندرج في جملتهم،

وأي ظلم أعظم، من ظلم، من علم الحق والباطل، فآثر الباطل على الحق،

✡وهذا وإن كان الخطاب له ﷺفإن أمته داخلة في ذلك،

✡وأيضا، فإذا كان هو ﷺلو فعل ذلك – وحاشاه– صار ظالما

مع علو مرتبته، وكثرة حسناته فغيره من باب أولى وأحرى.

* <u>من موقع الاسلام سؤال و جواب</u>

http://islamqa.info/ar/115825

وأما الذين قبلتهم المشرق باستمرار :

فهم طوائف من النصارى ! وليسوا المسلمين .

قال الله تعالى : (وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ وَمَا بَعْضُهُمْ بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ) البقرة/ 145 .

قال الإمام الطبري رحمه الله :

وأما قوله : (وما أنتَ بتابع قِبلتهم) ، يقول :

وما لك من سبيل يا محمد إلى اتّباع قبلتهم ،

وذلك أن اليهود تستقبل بيت المقدس بصلاتها ،

وأن النصارى تستقبل المشـــــــــــــــــرقَ !

فأنَّى يكون لك السبيل إلى اتباع قِبلتهم مع اختلاف وجوهها ؟

يقول : فالزم قبلتَك التي أمِرت بالتوجه إليها ،

ودعْ عنك ما تقولُه اليهود والنصارى ، وتدعُوك إليه من قبْلتهم واستقبالها .

" تفسير الطبري " (3 / 185) .

وذكر ابن قدامة في " المغني " (1 / 492)

أن النصارى يستقبلون جهة المشرق ، واستقبال النصارى جهة المشرق هو من تحريفهم لدينهم ، ومخالفتهم للمسيح والإنجيل .

قال الشيخ صالح بن الحسين الجعفري الهاشمي :

"فضيحة أخرى : النصارى يصلُّون إلى مشرق الشمس

، ويتّخذونها قبْلتهم ، وقد كان المسيح عليه السلام طول مقامه يصلي إلى قبلة " بيت المقدس " قبلة موسى بن عمران ، والأنبياء ،
وقال : " إني لم آتِ لأنقض التوراة ، بل لأكملها ،
وأن السماء والأرض ليزولان ، وكلمة واحدة من الناسوت لا تزول حتى يتم بأسره " ، غير أن النصارى خالفوا المسيح ، والأنبياء ،
واعتذروا في توجههم إلى المشرق :
بأنه الجهة التي صُلب إليها ربّهم ، وقُتل فيها إلههم ، فيقال لهم :
يا حمقى ! لو كنتم أولي ألباب لَمَقَتُّم جهة الشرق ، وأبغضتموها ،
وتَطَيَّرتم بها ، ورفضتموها في أمور العادة ، فضلاً عن العبادة ؛
وذلك لأنها الجهة التي لم يصلِّ إليها المسيح ، ولا شهدت لها الأناجيل ،
ولا صَلَّى إليها نبي من الأنبياء البتة ،
ثم إنها الجهة التي تشتت بها شملكم ، وبددت كلمتكم ، وفرقت جموعكم فتعظيمكم لهذه الجهة التي هي أشأم الجهات عليكم :
أمر يقتضي السخرية بكم ، والإزراء عليكم ،
وكان الأولى بكم أن لا تتحولوا عن جهة بيت المقدس لقول الإنجيل
( )((قال يوحنا: "وقف يسوع على بئر من آبار السامرة Õ)
فقالت: له امرأة من نسل يعقوب:
إن آبائنا سجدوا في هذا الجبل وأنتم تقولون إنه أورشليم؟!

Ô تخجيل من حرَّف التوراة والإنجيل "

Õ والسامرة: اسم عبراني معناه: مركز الحارس، وهي اسم المملكة الشمالية مملكة إسرائيل التي أقامتها الأسباط العشرة من بني إسرائيل، ويضم إقليم السامرة وسط فلسطين ويقع بين الجليل في الشمال واليهودية في الجنوب

فقال لها يسوع: أنتم تسجدون لمن لا تعلمون ونحن نسجد لمن نعلم".
قلت: هذا يوحنا التلميذ حبيب المسيح يشهد على المسيح أنه معترف بربّ لا تجزئه العبادة لغيره ولا تنبغي الربوبية لسواه سبحانه،
ولو كان الأمر على ما يهتف به النصارى لأرشدها،
وقال: اضربي عن معتقد أسلافك العواة واسجدي لي ولأبي وروح القدس، فإني ثلث الإله، كلا ولكنه أخبره أنه عبد مذلَّلٌ تحت رقّ العبودية
وأنه يسجد لله مستحق الربوية.
وأعلم أن المسيح قد كان يصلي إلى أورشليم( ) وهي البيت المقدس قبلة الأنبياء قبله،
ولم يزل يتوجه إليها مدة مقامه إلى حين رفع
فكان مما أحدث النصارى بعده الصلاة إلى جهة الشرق،
وتركوا القبلة التي كان المسيح يتوجه إليها.
فإذا عِيب عليهم ذلك اعتذروا بأن صاحبهم صلب إلى تلك الجهة،
قالوا: فتعين علينا التوجه إلى حيث صلب( ).
فيقال لهم: أرأيتم لو صلب إلى جهة المغرب أوصلب منكساً إلى أسفل ماذا كنتم تصنعون؟
وإذ تركتم قبلة المسيح والأنبياء وحسن عندكم خلافه فهلا توجهتم إلى الناصرة( )التي هي بلد ربكم أو إلى مصر التي هرب إليها بزعمكم خوف القتل، وتعلقتم بشبهتين من الإنجيل: إحداهما: قوله:

أورشليم: معناه: أساس السلام، وكانت تسمى يبوس وأريئيل، وأما بالعربية فتسمى بيت المقدس والقدس الشريف، والقدس. ر: قاموس ص 129. وهي مدينة مقدسة منذ عصر إبراهيم عليه السلام. قال تعالى: {وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطاً إِلَى الأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ} . [سورة الأنبياء، الآية: 71] . قال أبي بن كعب، وقتادة وغيرهما: إنها أرض الشام. ر: تفسير ابن كثير 194/3.

ذكر ذلك القاضي عبد الجبار المعتزلي في كتابه: تثبيت دلائل النبوة 197/1، وابن القيم في: هداية الحياري ص 264.

"إنه كتب أن يدعى المسيح ناصرياً".(متي)
والأخرى قوله: "من مصر دعوت ابني".(متي)
فكيف تركتم هاتين الجهتين ولكم فيهما مستمسك وتوجهتم إلى جهة ارتضاها اليهود الملاعنين للتنكيل بإلهكم كما زعمتم؟!.
ولو كنتم ذوي نظر وعبر لكانت هذه الجهة حَرِيةٌ عندكم بالمقت
فإنها الجهة التي هلك فيها معبودكم وقبلت دم ربّكم.أنتهى
-فهذا المسيح يشهد أنه ليس لله قبلة يصلي إليها إلاّ بيت المقدس ،
الذي هو أورشليم ، فأنتم أعرف ، وأعلم من المسيح بما يجب لله تعالى ؟
إنا لله وإنا إليه راجعون على عقولكم ، لقد رميتم فيها بداهية" انتهى .

الناصرة: اسم عبري ربما كان معناه: القضيب أو المحروسة، وهي مدينة في الجليل في شمال فلسطين إليها ينسب المسيح يسوع الناصري كما ورد في الأناجيل، فهي قرية أمه، وفيها نشأ المسيح في صغره، وإليها ينسب النصارى ودينهم النصرانية. ر: قاموس ص 946، المنجد في الأعلام ص 704.

ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ
ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلّٖ
وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ
عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿١٤٨﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ
وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ
شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ
لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي
عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ
عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ
تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِي وَلَا تَكۡفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ
ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ ﴿١٤٧﴾

(ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ)

يخبر تعالى: أن أهل الكتاب قد تقرر عندهم،

وعرفوا أن محمدا رسول الله، وأن ما جاء به، حق وصدق، وتيقنوا ذلك،

كما تيقنوا أبناءهم بحيث لا يشتبهون عليهم بغيرهم، فمعرفتهم بمحمد ﷺ

وصلت إلى حد لا يشكون فيه ولا يمترون،

(وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ)

ولكن فريقا منهم – وهم أكثرهم – الذين كفروا به،

كتموا هذه الشهادة مع تيقنها، وهم يعلمون

(وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن كَتَمَ شَهَٰدَةً عِندَهُۥ مِنَ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ)

[البقرة:140]

وفي ضمـــــن ذلك:-

1-تسليـــــة للرسول والمؤمنين،

2-وتحـــــذير له من شرهم وشبههم،

وفريق منهم لم يكتموا الحق وهم يعلمون،

فمنهم من آمن به

ومنهم من كفر به جهلا

فالعــــالم عليه :-

1-إظهار الحق، و تبيينه و تزيينه، بكل ما يقدر عليه من عبارة وبرهان ومثال، وغير ذلك،

2-وإبطال الباطل وتمييزه عن الحق، وتشيينه،

3- وتقبيحه للنفوس، بكل طريق مؤد لذلك،

فهولاء الكاتمون، عكسوا الأمر،

فانعكست أحوالهم.

(ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۖ)

أي: هذا الحق الذي هو أحق أن يسمى حقا من كل شيء،

لما اشتمل عليه من:-

1-المطالب العالية،

2- والأوامر الحسنة،

3- وتزكية النفوس وحثها على تحصيل مصالحها، ودفع مفاسدها،

لصدوره من ربك،

الذي من جملة تربيته لك أن أنزل عليك هذا القرآن الذي فيه

(((تربية العقول و النفوس__________ و جميع المصالح)))

(فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ)

أي: فلا يحصل لك أدنى شك وريبة فيه،

بل تفكَّر فيه وتأمل، حتى تصل بذلك إلى اليقين،

لأن التفكر فيه لا محالة، دافع للشك، موصل لليقين.

﴿وَلِكُلّٖ وِجۡهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَاۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨﴾

أي: كل أهل دين وملة، له وجهة يتوجه إليها في عبادته

وليس الشأن في استقبال القبلة،

فإنه من الشرائع التي تتغير بها الأزمنة والأحوال،

ويدخلها النسخ والنقل، من جهة إلى جهة،

ولكن الشأن كل الشأن، في امتثال طاعة الله، والتقرب إليه، وطلب الزلفى عنده،

((فهذا هو عنوان السعادة ومنشور الولاية))

وهو الذي إذا لم تتصف به النفوس، حصلت لها خسارة الدنيا والآخرة،

كما أنها إذا اتصفت به فهي الرابحة على الحقيقة،

وهذا أمر متفق عليه في جميع الشرائع،

وهو الذي خلق الله له الخلق، وأمرهم به.

(فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِ)

والأمر بالاستباق إلى الخيرات قدر زائد على الأمر بفعل الخيرات،

فإن الاستباق إليها، يتضمن :-

1- فعلهـــــــــــا،

2- وتكميلـــــها،

3- وإيقاعـــــها على أكمل الأحوال،

4- والمبـــــادرة إليها،

ومن سبق في الدنيا إلى الخيرات، فهو السابق في الآخرة إلى الجنات،

فالسابقون أعلى الخلق درجة،

والخيرات تشمل جميع الفرائض والنوافل، من صلاة، وصيام، وزكوات وحج، عمرة، وجهاد، ونفع متعد وقاصر.

ولما كان أقوى ما يحث النفوس على المسارعة إلى الخير، وينشطها، ما رتب الله عليها من الثواب قال:

(أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

فيجمعكم ليوم القيامة بقدرته، فيجازي كل عامل بعمله

لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى [النجم:31]

ويستدل بهذه الآية الشريفة على الإتيان بكل فضيلة يتصف بها العمل:-

1- كالصـــــلاة في أول وقتها،

2-والمبادرة إلى إبراء الذمة، من الصيام، والحج، والعمرة، وإخراج الزكاة،

3-والإتيان بسنن العبادات وآدابها،

فلله ما أجمعها وأنفعها من آية

وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ وَٱخۡشَوۡنِي وَلِأُتِمَّ نِعۡمَتِي عَلَيۡكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٥٠﴾

*** هَذَا أَمْرٌ ثَالِثٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِاسْتِقْبَالِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ، مِنْ جَمِيعِ أَقْطَارِ الْأَرْضِ.

وَقَد اخْتَلَفُوا فِي حِكْمَةِ هَذَا التَّكْرَارِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَقِيلَ:

1-تَأْكِيدٌ لِأَنَّهُ أَوَّلُ نَاسِخٍ وَقَعَ، فِي الْإِسْلَامِ عَلَى مَا نَصَّ عَلَيْهِ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ،

2-وَقِيلَ: بَلْ هُوَ مُنَــــــــــــــزَّلٌ عَلَى أَحْوَالِ،

فَالْأَمْرُ الْأَوَّلُ لِمَنْ هُوَ مُشَاهِدٌ الْكَعْبَةَ، وَالثَّانِي لِمَنْ هُوَ فِي مَكَّةَ غَائِبًا عَنْهَا،

3-وَالثَّالِثُ لِمَنْ هُوَ فِي بَقِيَّةِ الْبُلْدَانِ،

(وَمِنۡ حَيۡثُ خَرَجۡتَ)

في أسفارك وغيرها، وهذا للعموم،

(فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۖ)

أي: جهته.

ثم خاطب الأمة عموما فقال:

(وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥ) وقال:

(وَإِنَّهُۥ لَلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَۗ)

أكده بـ « إن » واللام، لئلا يقع لأحد فيه أدنى شبهة، ولئلا يظن أنه على سبيل التشهي لا الامتثال.

(وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ).

بل هو مطلع عليكم في جميع أحوالكم،

فتأدبوا معه، وراقبوه بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه،

فإن أعمالكم غير مغفول عنها، بل مجازون عليها أتم الجزاء،

إن خيرا فخير، وإن شرا فشر.

وقال هنا:

(لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيۡكُمۡ حُجَّةٌ)

أي: شرعنا لكم استقبال الكعبة المشرفة،

لينقطع عنكم احتجاج الناس من أهل الكتاب والمشركين،

-فإنه لو بقي مستقبلا بيت المقدس، لتوجهت عليه الحجة،

فإن أهل الكتاب، يجدون في كتابهم أن قبلته المستقرة،

(((هي الكعبة البيت الحرام)))،

-والمشركون يرون أن من مفاخرهم، هذا البيت العظيم، وأنه من ملة إبراهيم،

وأنه إذا لم يستقبله محمد ﷺ، توجهت نحوه حججهم،

وقالوا: كيف يدعي أنه على ملة إبراهيم، وهو من ذريته،

وقد ترك استقبال قبلته؟

فباستقبال الكعبة قامت الحجة على أهل الكتاب والمشركين،

وانقطعت حججهم عليه.

(إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ)

أي: من احتج منهم بحجة، هو ظالم فيها،

وليس لها مستند إلا اتباع الهوى والظلم،

فهذا لا سبيل إلى إقناعه والاحتجاج عليه،

وكذلك لا معنى لجعل الشبهة التي يوردونها على سبيل الاحتجاج

محلا يؤبه لها، ولا يلقى لها بال، فلهذا قال تعالى:

(فَلَا تَخۡشَوۡهُمۡ)

لأن حجتهم باطلة، والباطل كاسمه مخذول، مخذول صاحبه،

وهذا بخلاف صاحب الحق، فإن للحق صولة وعزا،

يوجب خشية من هو معه،

(وَٱخۡشَوۡنِي) وأمر تعالى بخشيته، التي هي أصل كل خير،

فمن لم يخش الله، لم ينكف عن معصيته، ولم يمتثل أمره.

وكان صرف المسلمين إلى الكعبة، مما حصلت فيه فتنة كبيرة،

أشـــــاعها أهل الكتاب، والمنافقون، والمشركون،

وأكثروا فيها من الكلام والشبه،

فلهذا بسطها الله تعالى، وبينها أكمل بيان، وأكدها بأنواع من التأكيدات، التي تضمنتها هذه الآيات منها:

1-الأمـــــــر بها، ثلاث مرات، ((مع كفاية المرة الواحدة))،

2- ومنها: أن المعهود، أن الأمر،

☼إما أن يكون للرسول، فتدخل فيه الأمة تبعا،

☼ أو للأمة عموما،

وفي هذه الآية أمر فيها الرسول بالخصوص في قوله:

(فَوَلِّ وَجْهَكَ) والأمة عموما في قوله:

(فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ) .

3-ومنها: أنه رد فيه جميع الاحتجاجات الباطلة،

التي أوردها أهل العناد وأبطلها شبهة شبهة، كما تقدم توضيحها،

4-ومنها: أنه قطع الأطماع من اتباع الرسول قبلة أهل الكتاب،

5-ومنها قوله: (وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ)

فمجرد إخبار الصادق العظيم كاف شاف، ولكن مع هذا قال:

(وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ) .

6-ومنها: أنه أخبر - وهو العالم بالخفيات - أن أهل الكتاب متقرر عندهم، صحة هذا الأمر، ولكنهم يكتمون هذه الشهادة مع العلم.

☼ولما كان توليته لنا إلى استقبال القبلة، نعمة عظيمة،

وكان لطفه بهذه الأمة ورحمته، لم يزل يتزايد،

وكلما شرع لهم شريعة، فهي نعمة عظيمة قال:

(وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ) .

فأصل النعمة، الهـــــداية لدينه، بإرســـــال رسوله، وإنــــزال كتابه،

ثم بعد ذلك، النعم المتممات لهذا الأصل، لا تعد كثرة، ولا تحصر،

منذ بعث الله رسوله إلى أن قرب رحيله من الدنيا،

وقد أعطاه الله من الأحوال والنعم، وأعطى أمته، ما أتم به نعمته عليه وعليهم،

وأنزل الله عليه:

ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًاۚ

[المائدة:3]

فلله الحمد على فضله، الذي لا نبلغ له عدا، فضلا عن القيام بشكره،

(وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)

*** إِلَى مَا ضَلّت عَنْهُ الْأُمَمُ هَدَيْنَاكُمْ إِلَيْهِ، وخَصصْناكم بِهِ،
وَلِهَذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ أشرفَ الْأُمَمِ وَأَفْضَلَهَا.

أي: تعلمون الحق، وتعملون به، فالله تبارك وتعالى – من رحمته – بالعباد،

1–قد يسر لهم أسباب الهداية غاية التيسير،

2–ونبههم على سلوك طرقها،

3– وبينها لهم أتم تبيين،

4–حتى إن من جملة ذلك أنه يقيض للحق، المعاندين له فيجادلون فيه،

فيتضح بذلك الحق، وتظهر آياته وأعلامه، ويتضح بطلان الباطل،

وأنه لا حقيقة له، ولولا قيامه في مقابلة الحق،

لربما لم يتبين حاله لأكثر الخلق، وبضدها تتبين الأشياء،

فلولا الليل، ما عرف فضل النهار،

ولولا القبيح، ما عرف فضل الحسن،

ولولا الظلمة ما عرف منفعة النور،

ولولا الباطل ما اتضح الحق اتضاحا ظاهرا، فلله الحمد على ذلك.

كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾

(كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ)

يقول تعالى: إن إنعامنا عليكم باستقبال الكعبة وإتمامها بالشرائع والنعم المتممة، ليس ذلك ببدع من إحساننا، ولا بأوله،

بل أنعمنا عليكم بأصول النعم ومتمماتها،

فأبلغها إرسالنا إليكم هذا الرسول الكريم منكم،

تعرفون نسبه وصدقه، وأمانته وكماله ونصحه.

(يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا)

وهذا يعم الآيات القرآنية وغيرها،

فهو يتلو عليكم الآيات المبينة للحق من الباطل، والهدى من الضلال،

التي دلتكم أولا على توحيد الله وكماله،

ثم على صدق رسوله، ووجوب الإيمان به،

ثم على جميع ما أخبر به من المعاد والغيوب،

حتى حصل لكم الهداية التامة، والعلم اليقيني.

(وَيُزَكِّيكُمْ)

أي: يطهر أخلاقكم ونفوسكم، بتربيتها على الأخلاق الجميلة،

وتنزيهها عن الأخلاق الرذيلة،

وذلك كتزكيتكم من الشرك، إلى التوحيد

ومن الرياء إلى الإخلاص،

ومن الكذب إلى الصدق،

ومن الخيانة إلى الأمانة،

ومن الكبر إلى التواضع،

ومن سوء الخلق إلى حسن الخلق،

ومن التباغض والتهاجر والتقاطع، إلى التحاب والتواصل والتوادد،

وغير ذلك من أنواع التزكية.

(وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ)

أي: القرآن، ألفاظه ومعانيه،

(وَٱلۡحِكۡمَةَ)

قيل: هي السنة،

وقيل: الحكمة، معرفة أسرار الشريعة والفقه فيها، وتنزيل الأمور منازلها.

فيكون – على هذا – تعليم السنة داخلا في تعليم الكتاب،

لأن السنة، تبين القرآن وتفسره، وتعبر عنه،

(وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ)

لأنهم كانوا قبل بعثته، في ضلال مبين، لا علم ولا عمل،

فكل علم أو عمل، نالته هذه الأمة فعلى يده ﷺ، وبسببه كان،

فهذه النعم هي أصول النعم على الإطلاق،

ولهي أكبر نعم ينعم بها على عباده،

فوظيفتهم شكر الله عليها والقيام بها؛ فلهذا قال تعالى:

(فَٱذۡكُرُونِيٓ أَذۡكُرۡكُمۡ)

فأمر تعالى بذكره، ووعد عليه أفضل جزاء،

وهو ذكره لمن ذكره، كما قال تعالى على لسان رسوله:

صحيح البخاري

7405 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ" يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى:
أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي،
فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي،
<u>وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ،</u>

وَإِنْ تقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا،
وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا،
وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً "

-وذكر الله تعالى، أفضله، ما تواطأ عليه القلب واللسان،

وهو الذكر الذي يثمر معرفة الله ومحبته، وكثرة ثوابه،

والذكر هو رأس الشكر، فلهذا أمر به خصوصا، ثم من بعده أمر بالشكر عموما فقال:

(وَٱشۡكُرُواْ لِي)

أي: على ما أنعمت عليكم بهذه النعم، ودفعت عنكم صنوف النقم،

والشكـــــر يكون:-

1-بالقـــلب، إقـــرارا بالنعم،واعتـــرافا،

2-وباللســـان، ذكرا وثناء،

3-وبالجـــوارح، طاعة لله وانقيادا لأمره، واجتنابا لنهيه،

فالشكر فيه بقاء النعمة الموجودة، وزيادة في النعم المفقودة، قال تعالى:

﴿ وَإِذۡ تَأَذَّنَ رَبُّكُمۡ لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ وَلَئِن كَفَرۡتُمۡ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٞ ﴾
[إبراهيم:7]

وفي الإتيان بالأمر بالشكر بعد النعم الدينية، من :-

1-العلـــم

2- و تـــزكية الأخلاق

3- والتـــــــوفيق للأعمال،

بيان أنها أكبر النعم، بل هي النعم الحقيقية التي تدوم،

إذا زال غيرها وأنه ينبغي لمن وفقوا لعلم أو عمل، أن يشكروا الله على ذلك:-

1-ليزيدهم من فضله،

2- وليندفع عنهم الإعجاب، فيشتغلوا بالشكر.

ولما كان الشكر ضده الكفر، نهى عن ضده فقال:

(وَلَا تَكۡفُرُونِ)

المراد بالكفر هاهنا :-

1-ما يقابل الشكر، فهو كفر النعم وجحدها، وعدم القيام بها،

2- ويحتمل أن يكون المعنى عاما، فيكون الكفر أنواعا كثيرة،

أعظمه الكفر بالله، ثم أنواع المعاصي،

على اختلاف أنواعها وأجناسها، من الشرك، فما دونه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٣﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ)

أمر الله تعالى المؤمنين، بالاستعانة على أمورهم الدينية والدنيوية

(بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ)

فالصبر هو: حبس النفس وكفها عما تكره،

فهو ثلاثة أقسام:

1-صبرها على طاعة الله حتى تؤديها،

2- وعن معصية الله حتى تتركها،

3- وعلى أقدار الله المؤلمة فلا تتسخطها،

فالصبر هو المعونة العظيمة على كل أمر،

☼فلا سبيل لغير الصابر، أن يدرك مطلوبه،

خصوصا الطاعات الشاقة المستمرة، فإنها مفتقرة أشد الافتقار إلى:-

1- تحمـــــل الصبر

2- وتجـــــرع المرارة الشاقة،

← فإذا لازم صاحبها الصبر، فاز بالنجاح،

←وإن رده المكروه والمشقة عن الصبر والملازمة عليها، لم يدرك شيئا، وحصل على الحرمان،

☼وكذلك المعصية التي تشتد دواعي النفس ونوازعها إليها وهي في محل قدرة العبد،

فهذه لا يمكن تركها إلا:-

1-بصـــــبر عظيم،

2-وكــــف لدواعي قلبه ونـــــوازعها لله تعالى،

3- واستعـــانة بالله على العصمة منها،

فإنها من الفتن الكبار. وكذلك البلاء الشاق، خصوصا إن استمر،

فهذا تضعف معه القوى النفسانية والجسدية، ويوجد مقتضاها، وهو التسخط،

إن لم يقاومها صاحبها :-

1-بالصبـــــــر لله،

2-والتـــــوكل عليه،

3- واللجـــــأ إليه،

4- والافتقـــــار على الدوام.

فعلمت أن الصبر محتاج إليه العبد، بل مضطر إليه في كل حالة من أحواله،

*** صحيح مسلم

(2999) عَنْ صُهَيْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ،

إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ،

وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»( )

فلهذا أمر الله تعالى به، وأخبر أنه

(إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ)

أي: مع من كان الصبر لهم خلقا، وصفة، وملكة بمعونته وتوفيقه، وتسديده،

1-فهـــــانت عليهم بذلك، المشاق والمكاره،

2-وسهـــــل عليهم كل عظيم،

3-وزالــــــت عنهم كل صعوبة،

وهذه معيـــــة خــــاصة:-

راجع تعليق عبد الرحيم البخاري علي اصول السنة للحميدي ص 35

((تقتضي محبته ومعونته، ونصـــــره وقـــــربه))

وهذه منقبة عظيمة للصابرين،

فلو لم يكن للصابرين فضيلة إلا أنهم فازوا بهذه المعية من الله،

لكفى بها فضلا وشرفا،

وأما المعيـــــة العـــــامة:-

فهي معيـــــة العلـــــم والقـــــدرة، كما في قوله تعالى:

{وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ} [الحديد: 4]

وهذه عـــــامة للخلق.

وأمر تعالى بالاستعانة بالصلاة لأن الصلاة هي:-

1- عمـــــاد الدين،

2-ونـــــور المؤمنين،

3- وهي الصـــــلة بين العبد وبين ربه،

- فإذا كانت صلاة العبد صلاة كاملة، مجتمعا فيها ما يلزم فيها، وما يسن،

وحصل فيها حضور القلب، الذي هو لبها فصار العبد إذا دخل فيها،

*استشـــــعر دخوله على ربه، ووقوفه بين يديه، موقف العبد الخادم المتأدب،

*مستحضـــــرا لكل ما يقوله وما يفعله،

*مستغـــــرقا بمناجاة ربه ودعائه

((لا جرم أن هذه الصلاة، من أكبر المعونة على جميع الأمور))

فإن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر،

ولأن هذا الحضور الذي يكون في الصلاة،

يوجب للعبد في قلبه، وصفا، وداعيا يدعوه إلى:-

1-امتثال أوامر ربه

2- واجتناب نواهيه،

هذه هي الصلاة التي أمر الله أن نستعين بها على كل شيء.

وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴿١٥٤﴾

وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ

وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾

أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ۞ إِنَّ

ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن

يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ

أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ

وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ

وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ

وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ

يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾

وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقۡتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتُۢۚ بَلۡ أَحۡيَآءٞ وَلَٰكِن لَّا تَشۡعُرُونَ ﴿١٥٤﴾

*** صحيح مسلم

(1887) عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ: سَأَلْنَا عَبْدَ اللهِ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ:

{وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ}

[آل عمران: 169]

قَالَ: أَمَا إِنَّا قَدْ سَأَلْنَا عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ:

«أَرْوَاحُهُمْ فِي جَوْفِ طَيْرٍ خُضْرٍ،

لَهَا قَنَادِيلُ مُعَلَّقَةٌ بِالْعَرْشِ،

تَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شَاءَتْ،

ثُمَّ تَأْوِي إِلَى تِلْكَ الْقَنَادِيلِ،

فَاطَّلَعَ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمُ اطِّلَاعَةً»،

فَقَالَ: " هَلْ تَشْتَهُونَ شَيْئًا؟

قَالُوا: أَيَّ شَيْءٍ نَشْتَهِي وَنَحْنُ نَسْرَحُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ شِئْنَا،

فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهِمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ،

فَلَمَّا رَأَوْا أَنَّهُمْ لَنْ يُتْرَكُوا مِنْ أَنْ يُسْأَلُوا،

قَالُوا: يَا رَبِّ، نُرِيدُ أَنْ تَرُدَّ أَرْوَاحَنَا فِي أَجْسَادِنَا

حَتَّى نُقْتَلَ فِي سَبِيلِكَ مَرَّةً أُخْرَى،

فَلَمَّا رَأَى أَنْ لَيْسَ لَهُمْ حَاجَةٌ تُرِكُوا "

❍لما ذكر تبارك وتعالى، الأمر بالاستعانة بالصبر على جميع الأمور:-

ذكر نموذجا مما يستعان بالصبر عليه،:-

(((وهو الجهاد في سبيله،)))

1- وهو أفضل الطاعات البدنية،

2- وأشقها على النفوس، لمشقته في نفسه،

ولكونه مؤديا للقتل، وعدم الحياة،

التي إنما يرغب الراغبون في هذه الدنيا لحصول الحياة ولوازمها،

فكل ما يتصرفون به، فإنه سعى لها، ودفع لما يضادها.

۞ومن المعلوم أن المحبوب لا يتركه العاقل إلا لمحبوب أعلى منه وأعظم،

فأخبر تعالى: أن من قتل في سبيله، بأن قاتل في سبيل الله، لتكون كلمة الله

هي العليا، ودينه الظاهر، لا لغير ذلك من الأغراض،

فإنه لم تفته الحياة المحبوبة، بل حصل له حياة أعظم وأكمل،

مما تظنون وتحسبون. فالشهداء ((جزاء))

﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٧٠﴾ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ **[آل عمران]**

فهل أعظم من هذه الحياة المتضمنة للقرب من الله تعالى،

وتمتعهم برزقه البدني في المأكولات والمشروبات اللذيذة، والرزق الروحي،

وهو الفرح، والاستبشار وزوال كل خوف وحزن،

وهذه حياة برزخية أكمل من الحياة الدنيا،

بل قد أخبر النبي ﷺأن أرواح الشهداء في أجواف طيور خضر

ترد أنهار الجنة، وتأكل من ثمارها،

وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش.

وفي هذه الآية، أعظم حث على الجهاد في سبيل الله،

وملازمة الصبر عليه،

فلو شعر العباد بما للمقتولين في سبيل الله من الثواب لم يتخلف عنه أحد،

ولكن عدم العلم اليقيني التام، هو الذي فتـــــر العزائم،

و زاد نـــــوم النائم،

وأَفـَـــــات الأجور العظيمة والغنائم،

لم لا يكون كذلك ((و الله يقول)):

﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ ۖ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ ۚ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ ۚ فَٱسْتَبْشِرُوا۟ بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١١﴾﴾ التوبة

فوالله لو كان للإنسان ألف نفس، تذهب نفسا فنفسا في سبيل الله،

لم يكن عظيما في جانب هذا الأجر العظيم،

ولهذا لا يتمنى الشهداء بعدما عاينوا من ثواب الله وحسن جزائه

إلا أن يردوا إلى الدنيا، حتى يقتلوا في سبيله مرة بعد مرة.

وفي الآية، (((دليل على نعيم البرزخ وعذابه))) **كما تكاثرت بذلك النصوص.**

﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾

أخبر تعالى أنه لا بد أن يبتلي عباده بالمحن،

ليتبين الصادق من الكاذب،

والجازِع من الصابر،

وهذه سنته تعالى في عباده؛

لأن السراء لو استمرت لأهل الإيمان، ولم يحصل معها محنة،

لحصل [الاختـــــلاط الذي هو فساد]

وحكمة الله تقتضـــــــي (((تمييز أهل الخيــــر من أهل الشـــــر))).

هذه فـــــائدة المحن،

۞لا إزالــــــة ما مع المؤمنين من الإيمان،

۞ولا ردهــــــم عن دينهم،

فما كان الله ليضيع إيمان المؤمنين، فأخبر في هذه الآية أنه سيبتلي عباده

(بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ)

من الأعداء

(وَٱلۡجُوعِ)

أي: بشيء يسير منهما؛ لأنه لو ابتلاهم بالخوف كله، أو الجوع، لهلكوا، والمحن تمحص لا تهلك.

(وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ)

وهذا يشمل جميع النقص المعتري للأموال من :-

جـــــوائح سماوية،

وغـــــرق،

وضيـــــاع،

وأخـــــذ الظـــلمة للأموال من الملوك الظلمة،

وقطـــــاع الطريق وغير ذلك.

(وَٱلۡأَنفُسِ)

أي: ذهاب الأحباب من الأولاد، والأقارب، والأصحاب،

ومن أنواع الأمراض في بدن العبد، أو بدن من يحبه،

(وَٱلثَّمَرَٰتِۗ)

أي: الحبوب، وثمار النخيل، والأشجار كلها، والخضر

ببرد، أو برد، أو حرق، أو آفة سماوية، من جراد ونحوه.

فهذه الأمور، لا بد أن تقع، لأن العليم الخبير، أخبر بها، فوقعت كما أخبر،

فإذا وقعت انقسم الناس قسمين: -

1-جـــــازعين

2- وصـــــــابرين،

✡فالجازع، حصلت له المصيبتان:-

1- فوات المحبوب، وهو وجود هذه المصيبة،

2-وفوات ما هو أعظم منها، وهو الأجر بامتثال أمر الله بالصبر،



1-ففاز بالخسارة والحرمان،

2-ونقص ما معه من الإيمان،

3-وفاته الصبر والرضا والشكران،

4- وحصل له السخط الدال على شدة النقصان.

✡وأما من وفقه الله للصبر عند وجود هذه المصائب،

فحبس نفسه عن التسخط، قولا وفعلا واحتسب أجرها عند الله،

وعلم أن ما يدركه من الأجر بصبره أعظم من المصيبة التي حصلت له،

بل المصيبة تكون نعمة في حقه،

لأنها صارت طريقا لحصول ما هو خير له وأنفع منها،

فقد امتثل أمر الله، وفاز بالثواب، فلهذا قال تعالى:

(وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ)

أي: بشرهم بأنهم يوفون أجرهم بغير حساب.

فالصابرين، هم الذين فازوا بالبشارة العظيمة، والمنحة الجسيمة،

ثم وصفهم بقوله:

(ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٌ)

وهي كل ما يؤلم القلب أو البدن أو كليهما مما تقدم ذكره.

(قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ)

***تسلَّوا بِقَوْلِهِمْ هَذَا عَمَّا أَصَابَهُمْ

أي: مملوكون لله، مدبرون تحت أمره وتصريفه،

فليس لنا من أنفسنا وأموالنا شيء،

۞فإذا ابتلانا بشيء منها، فقد تصرف أرحم الراحمين، بمماليكه وأموالهم،

1–فلا اعتراض عليه، بل من كمال عبودية العبد، علمه،

بأن وقوع البلية من المالك الحكيم، الذي أرحم بعبده من نفسه،

2–فيوجب له ذلك، الرضا عن الله،

3–والشكر له على تدبيره، لما هو خير لعبده، وإن لم يشعر بذلك،

ومع أننا مملوكون لله، فإنا إليه راجعون يوم المعاد،

فمجاز كلٌ عامل بعمله،

فإن صبرنا واحتسبنا ⬅وجدنا أجرنا موفورا عنده،

وإن جزعنا وسخطنا⬅ لم يكن حظنا إلا السخط وفوات الأجر،

فكون العبد لله، وراجع إليه، من أقوى أسباب الصبر.

(أُوْلَٰٓئِكَ)

الموصوفون بالصبر المذكور

(عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ)

أي: ثناء وتنويه بحالهم

(وَرَحۡمَةٞۖ)

عظيمة، ومن رحمته إياهم، أن وفقهم للصبر الذي ينالون به كمال الأجر،

***ثناء من الله عليهم

***أمنة من العذاب

(وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ)

الذين عرفوا الحق، وهو في هذا الموضع، علمهم بأنهم لله،

وأنهم إليه راجعون، وعملوا به وهو هنا صبرهم لله.

ودلت هذه الآية، على أن من لم يصبر، فله ضد ما لهم،

فحصل له الذم من الله، والعقوبة، والضلال والخسار،

فما أعظم الفرق بين الفريقين

وما أقل تعب الصابرين، وأعظم عناء الجازعين،

فقد اشتمـــــــلت هاتان الآيتان على:-

1- توطين النفوس على المصائب قبل وقوعها، لتخف وتسهل، إذا وقعت،

2-وبيــــــان ما تقابل به، إذا وقعت، وهو الصبر،

3-وبيــــــان ما يعين على الصبر،

4–وما للصابر من الأجر، ويعلم حال غير الصابر، بضد حال الصابر.

5–وأن هذا الابتلاء والامتحان، سنـــــــة الله التي قد خلت،

ولن تجد لسنة الله تبديلا

6–وبيـــــان أنواع المصـــــائب.

***{وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ:

نِعْمَ العَـــــــــــــدْلان

وَنَعِمَتِ الْعِـــــــــــــلَاوَةُ

{أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ} فَهَذَانَ الْعَدْلَانِ

{وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ} فَهَذِهِ الْعِلَاوَةُ،

وَهِيَ مَا تُوضَعُ بَيْنَ الْعَدْلَيْنِ، وَهِيَ زِيَادَةٌ فِي الْحِمْلِ

وَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ، أُعْطُوا ثَوَابَهُمْ وَزِيدُوا أَيْضًا.

***صحيح مسلم

(918) عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ:.

" مَا مِنْ مُسْلِمٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ، فَيَقُولُ مَا أَمَرَهُ اللهُ:

{إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ} [البقرة: 156]،

اللهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَخْلَفَ اللهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهَا "،

قَالَتْ: فَلَمَّا مَاتَ أَبُو سَلَمَةَ، قُلْتُ: أَيُّ الْمُسْلِمِينَ خَيْرٌ مِنْ أَبِي سَلَمَةَ؟

أَوَّلُ بَيْتٍ هَاجَرَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، ثُمَّ إِنِّي قُلْتُهَا،

فَأَخْلَفَ اللهُ لِي رَسُولَ اللهِ ﷺ،

قَالَتْ: أَرْسَلَ إِلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺحَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ يَخْطُبُنِي لَهُ،

فَقُلْتُ: إِنَّ لِي بِنْتًا وَأَنَا غَيُورٌ،

فَقَالَ: «أَمَّا ابْنَتُهَا فَنَدْعُو اللهَ أَنْ يُغْنِيَهَا عَنْهَا، وَأَدْعُو اللهَ أَنْ يَذْهَبَ بِالْغَيْرَةِ»( )

(ما أمره الله) أي في ضمن مدح الصابرين بقوله في سورة البقرة {الذين إذا أصابتهم مصيبة} الخ فإن كل خصلة ممدوحة في الكتاب الكريم تتضمن الأمر بها كما أن المذمومة فيه تقتضي النهي عنها
(اللهم أجرني) كذا بهمزة واحدة وهو أمر من أجره الله إذا أصابه فهمزة الوصل المجلوبة لصيغة الأمر أسقطت كما أسقطت في نحو فأتنا كراهة توالي المثلين وبابه نصر وضرب فيجوز في الجيم الضم والكسر والأول أكثر
قال النووي قال القاضي يقال أجرني بالقصر والمد حكاهما صاحب الأفعال
وقال الأصمعي وأكثر أهل اللغة هو مقصور لا يمد ومعنى أجره الله أعطاه أجره وجزاء صبره وهمه في مصيبته
(وأخلف لي) هو بقطع الهمزة وكسر اللام
قال أهل اللغة يقال لمن ذهب له مال أو ولد أو قريب أو شيء يتوقع حصول مثله أخلف الله عليك أي رد عليك مثله فإن ذهب مالا يتوقع مثله بأن ذهب والد أو عم أو أخ لمن لاجد له ولا والد له قيل له خلف الله عليك بغير ألف كأن الله خليفة منه عليك
(أي المسلمين خير من أبي سلمة)
استعظام منها لشأن زوجها وتعجب من أن يكن لها خلف خير منه
(أول بيت هاجر إلى رسول الله ﷺ) أي هو أول أهل بيت هاجر مع عياله فهو أول من هاجر بأهله إلى أرض الحبشة ثم المدينة
وكان أخا النبي ﷺمن الرضاعة وابن عمته
(وأنا غيور) هو فعول من الغيرة وهي الحمية والأنفة
تكون للرجل على امرأته ولها عليه يقال رجل غيور وامرأة غيور بلا هاء لأن فعولا يشترك فيه الذكر والأنثى
قال النووي يقال امرأة غيرى وغيور ورجل غيور وغيران

وقد جاء فعول في صفات المؤنث كثيرا كقولهم امرأة عروس وعروب وضحوك لكثيرة الضحك وعقبة كؤود وأرض صعود وهبوط وحدور وأشباهها

(يذهب بالغيرة) يقال أذهب الله الشيء وذهب به كقوله تعالى ذهب الله بنورهم]

۞ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

صحيح البخاري

1643 - عن سَأَلْتُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْتُ لَهَا: أَرَأَيْتِ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى:
{إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ البَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا} **[البقرة: 158]،**

فَوَاللَّهِ مَا عَلَى أَحَدٍ جُنَاحٌ أَنْ لاَ يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ،
قَالَتْ: بِئْسَ مَا قُلْتَ يَا ابْنَ أُخْتِي، إِنَّ هَذِهِ لَوْ كَانَتْ كَمَا أَوَّلْتَهَا عَلَيْهِ،
كَانَتْ: لاَ جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ لاَ يَتَطَوَّفَ بِهِمَا، وَلَكِنَّهَا أُنْزِلَتْ فِي الأَنْصَارِ،
كَانُوا قَبْلَ أَنْ يُسْلِمُوا يُهِلُّونَ لِمَنَاةَ الطَّاغِيَةِ،
الَّتِي كَانُوا يَعْبُدُونَهَا عِنْدَ المُشَلَّلِ،
فَكَانَ مَنْ أَهَلَّ يَتَحَرَّجُ أَنْ يَطُوفَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ،
فَلَمَّا أَسْلَمُوا، سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنْ ذَلِكَ،
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا نَتَحَرَّجُ أَنْ نَطُوفَ بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ،
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} **[البقرة: 158]. الآيَةَ**
قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَقَدْ سَنَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا،
فَلَيْسَ لِأَحَدٍ أَنْ يَتْرُكَ الطَّوَافَ بَيْنَهُمَا»
ثُمَّ أَخْبَرْتُ أَبَا بَكْرِ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ
فَقَالَ: إِنَّ هَذَا لَعِلْمٌ مَا كُنْتُ سَمِعْتُهُ، وَلَقَدْ سَمِعْتُ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ العِلْمِ يَذْكُرُونَ: أَنَّ النَّاسَ، - إِلَّا مَنْ ذَكَرَتْ عَائِشَةُ - مِمَّنْ كَانَ يُهِلُّ بِمَنَاةَ،

كَانُوا يَطُوفُونَ كُلُّهُمْ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ،
فَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ،
وَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ فِي القُرْآنِ،
قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُنَّا نَطُوفُ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ وَإِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ
فَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا، فَهَلْ عَلَيْنَا مِنْ حَرَجٍ أَنْ نَطَّوَّفَ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ؟
فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: {إِنَّ الصَّفَا وَالمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ} [البقرة: 158] الآيَةَ
قَالَ أَبُو بَكْرٍ: «فَأَسْمَعُ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي الفَرِيقَيْنِ كِلَيْهِمَا،
1- فِي الَّذِينَ كَانُوا يَتَحَرَّجُونَ أَنْ يَطُوفُوا بِالْجَاهِلِيَّةِ بِالصَّفَا وَالمَرْوَةِ،
2-وَالَّذِينَ يَطُوفُونَ ثُمَّ تَحَرَّجُوا أَنْ يَطُوفُوا بِهِمَا فِي الإِسْلاَمِ،
مِنْ أَجْلِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَمَرَ بِالطَّوَافِ بِالْبَيْتِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الصَّفَا،
حَتَّى ذَكَرَ ذَلِكَ، بَعْدَ مَا ذَكَرَ الطَّوَافَ بِالْبَيْتِ»( )

(أرأيت قول الله تعالى) أخبريني عن مفهوم هذه الآية / البقرة 158 /.
(شعائر الله)
أعلام مناسكه وطاعته جمع شعيرة وهي كل ما جعل علامة لطاعة الله تعالى.
(جناح) إثم.
(يطوف بهما) يسعى بينهما.
(أولتها عليه) فسرتها عليه من الإباحة وأنه لا حرج في ترك السعي بينهما.
(يهلون) يحجون.
(لمناة) الصنم الذي كانوا يذبحون عنده الذبائح.
(الطاغية) من الطغيان وهو اسم لكل باطل.
(المشلل) موضع قريب من الجحفة.
(يتحرج أن يطوف) لوجود الصنمين عندهما وهما إساف ونائلة وكان من أهل لمناة لا يسعى بين الصفا والمروة.
(سن) شرع.
(أبو بكر) بن عبد الرحمن بن الحارث بن هشام]

*** صحيح مسلم -1218

.... ثُمَّ رَجَعَ (ﷺ)إِلَى الرُّكْنِ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: {إِنَّ الصَّفَا والْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللهِ} [البقرة: 158] «أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللهُ بِهِ»

(إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ)

يخبر تعالى أن الصفا والمروة وهما معروفان

(مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِۖ)

أي أعلام دينه الظاهرة، التي تعبد الله بها عباده،

وإذا كانا من شعائر الله، فقد أمر الله بتعظيم شعائره فقال:

{وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ} [الحج: 32]

فدل مجموع النصيـــــن:-

1- أنهما من شعـــــائر الله،

2-وأن تعظيم شعائره، من تقـــــوى القلوب.

والتقوى واجبة على كل مكلف،

وذلك يدل على أن السعي بهما فرض لازم للحج والعمرة، كما عليه الجمهور،

ودلت عليه الأحاديث النبوية وفعله النبي ﷺو قال: « خذوا عني مناسككم »

(فَمَنۡ حَجَّ ٱلۡبَيۡتَ أَوِ ٱعۡتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَاۚ)

-هذا دفع لوهم من توهم وتحرج من المسلمين عن الطواف بينهما،

لكونهما في الجاهلية تعبد عندهما الأصنام،

فنفى تعالى الجناح لدفع هذا الوهم، لا لأنه غير لازم.

-ودل تقييد نفي الجناح فيمن تطوف بهما في الحج والعمرة،

أنه لا يتطوع بالسعي مفردا إلا مع انضمامه لحج أو عمرة،

بخلاف الطواف بالبيت،

فإنه يشرع مع العمرة والحج، وهو عبادة مفردة.

-فأما السعي والوقوف بعرفة ومزدلفة، ورمي الجمار فإنها تتبع النسك،

فلو فعلت غير تابعة للنسك، كانت بدعة، لأن البدعة نوعان:-

1- نوع يتعبد لله بعبادة، لم يشرعها أصلا

2- ونوع يتعبد له بعبادة قد شرعها على صفة مخصوصة،

فتفعل على غير تلك الصفة، وهذا منه.

وقوله: (وَمَن تَطَوَّعَ)

أي: فعل طاعة مخلصا بها لله تعالى

(خَيْرًا)

من حج وعمرة، وطواف، وصلاة، وصوم وغير ذلك

فهو خير له فدل هذا، على أنه كلما ازداد العبد من طاعة الله،

ازداد خيره وكماله، ودرجته عند الله، لزيادة إيمانه.

ودل تقييد التطوعِ بالخير، أن من تطوعِ بالبدع، التي لم يشرعها الله ولا رسوله، أنه :-

1-لا يحصل له إلا العناء،

2-وليس بخير له،

3-بل قد يكون شرا له إن كان متعمدا عالما بعدم مشروعية العمل.

(فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ)

*** يُثِيبُ عَلَى الْقَلِيلِ بِالْكَثِيرِ

الشاكر والشكور، من أسماء الله تعالى،

1-الذي يقبل من عباده اليسير من العمل،

2-ويجازيهم عليه، العظيم من الأجر،

الذي إذا قام عبده بأوامره، وامتثل طاعته،

3-أعانه على ذلك،

4-وأثنى عليه ومدحه،

5-وجازاه في قلبه نورا وإيمانا وسعة،

6-وفي بدنه قوة ونشاطا،

7-وفي جميع أحواله زيادة بركة ونماء،

8-وفي أعماله زيادة توفيق.

ثم بعد ذلك، يقدم على الثواب الآجل عند ربه كاملا موفرا،

لم تنقصه هذه الأمور.

ومن شكره لعبده، أن من ترك شيئا لله أعاضه الله خيرا منه،

ومن تقرب منه شبرا، تقرب منه ذراعا،

ومن تقرب منه ذراعا، تقرب منه باعا،

ومن أتاه يمشي، أتاه هرولة،

ومن عامله، ربح عليه أضعافا مضاعفة.

ومع أنه شاكر، فهو

(عَلِيمٌ)

بمن يستحق الثواب الكامل، بحسب نيته وإيمانه وتقواه،

ممن ليس كذلك، عليم بأعمال العباد، فلا يضيعها،

بل يجدونها أوفر ما كانت، على حسب نياتهم التي اطلع عليها العليم الحكيم.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾

*** صحيح البخاري

118 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: " إِنَّ النَّاسَ يَقُولُونَ أَكْثَرَ أَبُو هُرَيْرَةَ،

وَلَوْلاَ آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا حَدَّثْتُ حَدِيثًا،
ثُمَّ يَتْلُو {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ البَيِّنَاتِ وَالهُدَى} [البقرة: 159]
إِلَى قَوْلِهِ {الرَّحِيمُ} [البقرة: 160]
إِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ المُهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ،
وَإِنَّ إِخْوَانَنَا مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمُ العَمَلُ فِي أَمْوَالِهِمْ،
وَإِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ كَانَ يَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺبِشِبَعِ بَطْنِهِ، وَيَحْضُرُ مَا لاَ يَحْضُرُونَ،
وَيَحْفَظُ مَا لاَ يَحْفَظُونَ "( )

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا)

هذه الآية وإن كانت نازلة في أهل الكتاب ومــــــا كتموا من شأن

الرسولﷺوصفاته،

فإن حكمها عام لكل من اتصف بكتمان ما أنزل الله

(مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ)

الدالات على الحق المظهرات له،

(ولولا آيتان) أي تحذرانمن كتمان العلم.
(يتلو) يقرأ الآيتين وتتمتهما {والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون. إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم} / البقرة 159 - 160 /
(الصفق)هو ضرب اليد على اليد والمراد التجارة وأطلق عليها لاعتيادهم فعله عند عقد البيع.
(في أموالهم) مزارعهم.
(بشبع بطنه) يقنع بما يسد جوعه.
(يحضر) يشاهد من أحواله ﷺ]

(وَٱلۡهُدَىٰ)

وهو العلم الذي تحصل به الهداية إلى الصراط المستقيم،

ويتبين به طريق أهل النعيم، من طريق أهل الجحيم،

(مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّـٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَـٰبِ)

فإن الله أخذ الميثاق على أهل العلم،

بأن يبينوا الناس ما منّ الله به عليهم من علم الكتاب ولا يكتموه،

-فمن نبذ ذلك وجمع بين المفسدتين:-

1- كـــــتم ما أنزل الله

2- والغـــــش لعباد الله،

(أُوْلَـٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ)

أي: يبعـــــدهم ويطـــــردهم عن قربه ورحمتـــــه.

(وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّـٰعِنُونَ)

وهم جميع الخليقة، فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة،

لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم من رحمة الله،

فجوزوا من جنس عملهم،

☼ كما أن معلم الناس الخير، يصلي الله عليه وملائكته،

حتى الحوت في جوف الماء، لسعيه في مصلحة الخلق، وإصلاح أديانهم،

وقربهم من رحمة الله، فجوزي من جنس عمله،

✡فالكـــــاتم لما أنزل الله، مضاد لأمر الله، مشـــــاق لله،

يبين الله الآيات للناس ويوضحها وهذا يطمسها فهذا عليه هذا الوعيد الشديد.

(إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُوا۟)

أي رجعوا عما هم عليه من الذنوب، ندما وإقلاعا، وعزما على عدم المعاودة

(وَأَصۡلَحُوا۟)

ما فسد من أعمالهم، فلا يكفي ترك القبيح حتى يحصل فعل الحسن.

(وَبَيَّنُوا۟)

ولا يكفي ذلك في الكاتم أيضا، حتى يبين ما كتمه، ويبدي ضد ما أخفى،

(فَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡۚ)

فهذا يتوب الله عليه، لأن توبة الله غير محجوب عنها،

فمن أتى بسبب التوبة، تاب الله عليه،

(وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ)

لانه هو (ٱلتَّوَّابُ)

أي: الرجاع على عباده بالعفو والصفح، بعد الذنب إذا تابوا،

وبالإحسان والنعم بعد المنع، إذا رجعوا،

(ٱلرَّحِيمُ)

الذي اتصف بالرحمة العظيمة، التي وسعت كل شيء

ومن رحمته أن وفقهم للتوبة والإنابة فتابوا وأنابوا،

ثم رحمهم بأن قبل ذلك منهم، لطفا وكرما، هذا حكم التائب من الذنب.

(إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ)

وأما من كفر واستمر على كفره حتى مات ولم يرجع إلى ربه،

ولم ينب إليه، ولم يتب عن قريب

(أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ)

لأنه لما صار كفرهم وصفا ثابتا، صارت اللعنة عليهم وصفا ثابتا لا تزول،

لأن الحكم يدور مع علته، وجودا وعدما.

و (خَٰلِدِينَ فِيهَا)

أي: في اللعنة، أو في العذاب والمعنيان .

(لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ)

بل عذابهم دائم شديد مستمر

*****لا ينقص عما هم فيه**

(وَلَا هُمۡ يُنظَرُونَ)

أي: يمهلون، لأن وقت الإمهال وهو الدنيا قد مضى،

ولم يبق لهم عذر فيعتذرون.

(وَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ)

يخبر تعالى – وهو أصدق القائلين – أنه

(إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ)

أي: متوحد منفرد في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله،

فليس له شريك في ذاته، ولا سمي له ولا كفو له، ولا مثل، ولا نظير،

ولا خالق، ولا مدبر غيره،

(لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ)

فإذا كان كذلك، فهو المستحق لأن يؤله ويعبد بجميع أنواع العبادة،

ولا يشرك به أحد من خلقه، لأنه

(ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ)

المتصف بالرحمة العظيمة، التي لا يماثلها رحمة أحد،

فقد وسعت كل شيء وعمت كل حي،

فبرحمته وُجدت المخلوقات،

وبرحمته حصلت لها أنواع الكمالات،

وبرحمته اندفع عنها كل نقمة،

وبرحمته عرّف عباده نفسه بصفاته وآلائه،

وبيَّن لهم كل ما يحتاجون إليه من مصالح دينهم ودنياهم، بإرسال الرسل،

وإنزال الكتب.

فإذا عُلم أن ما بالعباد من نعمة، فمن الله،

وأن أحدا من المخلوقين، لا ينفع أحدا،
عُلم أن الله هو المستحق لجميع أنواع العبادة،
وأن يُفْرَدَ بالمحبة والخوف، والرجاء، والتعظيم، والتوكل،
وغير ذلك من أنواع الطاعات.
وأن من أَظلمِ الظلم، وأقبح القبيح، أن يعدل عن عبادته إلى عبادة العبيد،
وأن يُشرِكَ المخلوق من تراب، برب الأرباب،
أو يَعْبُدَ المخلوق المدبر العاجز من جميع الوجوه،
مع الخالق المدبر القادر القوي، الذي قد قهر كل شيء ودان له كل شيء.

ففـــــي هــــذه الآيـــــة:-

1-إثبات وحـــــدانية الباري وإلهيتـــــه، .
2-وتقريرها بنفيها عن غيره من المخلوقين
3-وبيــــان أصل الدليل على ذلك
4-وهو إثبات رحمته التي من آثارها وجود جميع النعم واندفاع جميع النقم،
فهذا دليل إجمالي على وحدانيته تعالى.

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِي ٱلْأَرْضِ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

-ثم ذكر الأدلة التفصيلية فقال:

إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ﴿١٦٤﴾

أخبر تعالى أن في هذه المخلوقات العظيمة،

(لَأٓيَٰتٖ)

أدلة على وحدانية الباري وإلهيته، وعظيم سلطانه ورحمته وسائر صفاته،

ولكنها

(لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ)

أي: لمن لهم عقول يعملونها فيما خلقت له،

فعلى حسب ما منّ الله على عبده من العقل، ينتفع بالآيات ويعرفها بعقله

وفكره وتدبُّره،

(إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ)

في ارتفـــــاعها واتســـــاعها، وإحكـــــامها، وإتقـــــانها،

وما جعل الله فيها من الشمس والقمر، والنجوم،

وتنظـــــيمها لمصالح العباد.

(وَٱلۡأَرۡضِ)

مهادا للخلق، يمكنهم القرار عليها والانتفاع بما عليها، والاعتبار.

ما يدل ذلك على :-

1-انفراد الله تعالى بالخلق والتدبير((و الملك))

2-وبيان قدرته العظيمة التي بها خلقها،

3-وحكمته التي بها أتقنها، وأحسنها ونظمها،

4-وعلمه ورحمته التي بها أودع ما أودع، من منافع الخلق ومصالحهم، وضروراتهم وحاجاتهم.

5-وفي ذلك أبلغ الدليل على كماله،

6-واستحقاقه أن يفرد بالعبادة لانفراده بالخلق والتدبير، والقيام بشئون عباده

(وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ)

*راجع ابحاث الجزء25 ص499

***هَذَا يَجِيءُ ثُمَّ يَذْهَبُ وَيَخْلُفُهُ الْآخَرُ وَيَعْقُبُهُ، لَا يَتَأَخَّرُ عَنْهُ لَحْظَةً، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس: 40]

وَتَارَةً يَطُولُ هَذَا وَيَقْصُرُ هَذَا، وَتَارَةً يَأْخُذُ هَذَا مِنْ هَذَا ثُمَّ يَتَقَارَضَانِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: {يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ} [الْحَجِّ: 61]

أَيْ: يَزِيدُ مِنْ هَذَا فِي هَذَا، وَمِنْ هَذَا فِي هَذَا

وهو تعاقبهما على الدوام، إذا ذهب أحدهما، خلفه الآخر،

-وفي اختلافهما في الحر، والبرد، والتوسط، وفي الطول، والقصر، والتوسط،

-وما ينشأ عن ذلك من الفصول، التي بها انتظام مصالح بني آدم وحيواناتهم، وجميع ما على وجه الأرض، من أشجار ونوابت،

كل ذلك بانتظام وتدبير، وتسخير، تنبهر له العقول وتعجز عن إدراكه من الرجال الفحول،

ما يـــــدل ذلك على:-

1- قـــــدرة مصرفها،

2- وعـــــلمه وحكمته،

3- ورحـــــمته الواسعة،

4- ولـــــطفه الشامل،

5- وتصـــــريفه وتـــــدبيره، الذي تفرد به، وعظمته،

6- وعظمـــــة ملكه وسلطانه،

مما يوجـــــب أن :-

1-يـــــؤَله ويعبد،

2- ويفـــــرد بالمحبة والتعـــــظيم، والخـــــوف والرجـــــاء،

3-وبـــــذل الجهد في محابه ومراضيه.

(وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِى تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ)

***راجع ابحاث الجزء 25 ص499**

وهي السفن والمراكب ونحوها، مما ألهم الله عباده صنعتها،
وخلق لهم من الآلات الداخلية والخارجية ما أقدرهم عليها.
ثم سخر لها هذا البحر العظيم والرياح، التي تحملها بما فيها من الركاب والأموال، والبضائع التي هي من منافع الناس،
وبما تقوم به مصالحهم وتنتظم معايشهم.
فمن الذي ألهمهم صنعتها، وأقدرهم عليها،
وخلق لهم من الآلات ما به يعملونها؟
أم من الذي سخـــــــر لها البحر، تجري فيه بإذنه وتسخيره، والرياح؟
أم من الذي خلق للمراكب البرية والبحرية، النار والمعادن المعينة على حملها، وحمل ما فيها من الأموال؟
فهل هذه الأمور، حصلت اتفاقا، أم استقل بعملها هذا المخلوق الضعيف العاجز، الذي خرج من بطن أمه، لا علم له ولا قدرة،
ثم خلق له ربه القدرة، وعلمه ما يشاء تعليمه،
أم المسخر لذلك رب واحد، حكيم عليم، لا يعجزه شيء، ولا يمتنع عليه شيء؟
بل الأشياء قد دانت لربوبيته، واستكانت لعظمته، وخضعت لجبروته.
وغاية العبد الضعيف، أن جعله الله جزءا من أجزاء الأسباب،

التي بها وجدت هذه الأمور العظام،

فهذا يدل على رحمة الله وعنايته بخلقه،

وذلك يوجب أن تكون المحبة كلها له، والخوف والرجاء، وجميع الطاعة، والذل والتعظيم.

وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلۡمُسَخَّرِ بَيۡنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَعۡقِلُونَ

(**وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ**) وهو المطر النازل من السحاب.

(**فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا**)

فأظهرت من أنواع الأقوات، وأصناف النبات، ما هو من ضرورات الخلائق، التي لا يعيشون بدونها.

أليس ذلك دليلا على قدرة من أنزله، وأخرج به ما أخرج ورحمته، ولطفه بعباده، وقيامه بمصالحهم، وشدة افتقارهم وضرورتهم إليه من كل وجه؟

أما يوجب ذلك أن يكون هو معبودهم وإلههم؟

أليس ذلك دليلا على إحياء الموتى ومجازاتهم بأعمالهم؟

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَآيَةٌ لَهُمُ الأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ * وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ *

لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلا يَشْكُرُونَ * سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ}
[يس: 33-36]

(وَبَثَّ فِيهَا) أي: في الأرض

(مِن كُلِّ دَآبَّةٍ)

أي: نشر في أقطار الأرض من الدواب المتنوعة،

ما هو دليل على قدرته وعظمته، ووحدانيته وسلطانه العظيم، وسخرها للناس،

ينتفعون بها بجميع وجوه الانتفاع.

1–فمنها: ما يأكلون من لحمه، ويشربون من دره،

2–ومنها: ما يركبون،

3–ومنها: ما هو ساع في مصالحهم وحراستهم،

4–ومنها: ما يعتبـــــــر به،

ومع أنه بث فيها من كل دابة،

فإنه سبحانه هو القائم بأرزاقهم،

المتكفل بأقواتهم، فما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها،

ويعلم مستقرها ومستودعها.

***كَمَا قَالَ تَعَالَى: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ} [هُودٍ: 6]

وفي

(وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ)

بـــــاردة وحــــــارة، وجنـــــوبا وشـــــمالا وشـــــرقا ودبـــــورا

وبيــــن ذلـــــك،

1–وتارة تثيـــــر السحاب،

2–وتارة تـــــؤلف بينه،

3–وتارة تـــــلقحه،

4–وتارة تـــــدره،

5–وتارة تمـــــزقه وتزيل ضرره،

6–وتارة تكون رحمـــــة،

7–وتارة ترسل بالعـــــذاب.

فمن الذي صرفها هذا التصريف وأودع فيها من منافع العباد ما لا يستغنون عنه؟

وسخرها ليعيش فيها جميع الحيوانات،

وتصلح الأبدان والأشجار، والحبوب والنوابت، إلا العزيز الحكيم الرحيم، اللطيف بعباده المستحق لكل ذل وخضوع، ومحبة وإنابة وعبادة؟.

﴿وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾

وفي تسخير السحاب بين السماء والأرض على خفته ولطافته يحمل الماء الكثير، فيسوقه الله إلى حيث شاء،

فيحيي به البلاد والعباد، ويروي التلول والوهاد،

وينزله على الخلق وقت حاجتهم إليه،

فإذا كان يضرهم كثرته، أمسكه عنهم، فينزله رحمة ولطفا،

ويصرفه عناية وعطفا،

فما أعظم سلطانه، وأغزر إحسانه، وألطف امتنانه

أليس من القبيح بالعباد، أن يتمتعوا برزقه، ويعيشوا ببره

وهم يستعينون بذلك على مساخطه ومعاصيه؟

أليس ذلك دليلا على حلمه وصبره، وعفوه وصفحه، وعميم لطفه؟

فله الحمد أولا وآخرا، وباطنا وظاهرا.

والحاصل، أنه كلما تدبر العاقل في هذه المخلوقات، وتغلغل فكره في بدائع المبتدعات، وازداد تأمله للصنعة وما أودع فيها من لطائف البر والحكمة،

علم بذلـــــــك:-

1- أنها خلقت للحق وبالحق،

2-وأنها صحائف آيات، وكتب دلالات،

على ما أخبر به الله عن نفسه ووحدانيته، وما أخبرت به الرسل من اليوم الآخر،

3–وأنها مسخرات، ليس لها تدبير ولا استعصاء على مدبرها ومصرفها.

4–فتعرف أن العالم العلوي والسفلي كلهم إليه مفتقرون، وإليه صامدون، وأنه الغني بالذات عن جميع المخلوقات، فلا إله إلا الله، ولا رب سواه.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا۟ مِنَّا ۗ كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿١٦٧﴾

ما أحسن اتصال هذه الآية بما قبلها، فإنه تعالى،

لمَّا بين وحدانيته وأدلتها القاطعة، وبراهينها الساطعة الموصلة إلى علم اليقين، المزيلة لكل شك، ذَكَرَ هنا أن ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾

مع هذا البيان التام من يتخذ من المخلوقين ﴿أَندَادًا ﴾ لله أي: نظراء ومثلاء،

﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾

يساويهم في الله بالعبادة والمحبة، والتعظيم والطاعة.

ومن كان بهذه الحالة – بعد إقامة الحجة، وبيان التوحيد –

عُـــــلم أنه :–

1–معــــاند لله،

2–مشـــــاق له،

3–أو معــــــرض عن تدبر آياته والتفكر في مخلوقاته،

فليس له أدنى عذر في ذلك، بل قد حقت عليه كلمة العذاب.

–وهؤلاء الذين يتخذون الأنداد مع الله، لا يسوونهم بالله في الخلق والرزق والتدبير، وإنما يسوونهم به في العبادة، فيعبدونهم، ليقربوهم إليه، وفي قوله:

(يَتَّخِذُ)

دليل على أنه ليس لله ند وإنما المشركون جعلوا بعض المخلوقات أندادا له، تسمية مجردة، ولفظا فارغا من المعنى، كما قال تعالى:

﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ۗ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ ۚ أَمْ تُنَبِّـُٔونَهُۥ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلْأَرْضِ أَم بِظَـٰهِرٍ مِّنَ ٱلْقَوْلِ ۗ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ وَصُدُّواْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الرعد:33]

﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهۡوَى ٱلۡأَنفُسُۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ [النجم:23]

***صحيح البخاري

4497 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ: النَّبِيُّ ﷺكَلِمَةً وَقُلْتُ أُخْرَى، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهْوَ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ نِدًّا دَخَلَ النَّارَ» وَقُلْتُ أَنَا: مَنْ مَاتَ وَهْوَ لاَ يَدْعُو لِلَّهِ نِدًّا دَخَلَ الجَنَّةَ

ش (قلت أخرى) قلت جملة تقابلها استنتاجا مما قاله ﷺ.

(يدعو من دون الله ندا) يعبد شريكا غير الله تعالى من صنم أو غيره]

–فالمخلوق ليس ندا لله لأن الله هو الخالق، وغيره مخلوق،

والرب الرازق ومن عداه مرزوق،

والله هو الغني وأنتم الفقراء،

وهو الكامل من كل الوجوه، والعبيد ناقصون من جميع الوجوه،

والله هو النافع الضار، والمخلوق ليس له من النفع والضر والأمر شيء،

– فعلم علما يقينا، بطلان قول من اتخذ من دون الله آلهة وأندادا،

سواء كان ملكا أو نبيا، أو صالحا، صنما، أو غير ذلك،

وأن الله هو المستحق للمحبة الكاملة، والذل التام،

فلهذا مدح الله المؤمنين بقوله:

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ﴾

أي: من أهل الأنداد لأندادهم، لأنهم أخلصوا محبتهم له،

وهؤلاء أشركوا بها، ولأنهم أحبوا من يستحق المحبة على الحقيقة،

الذي محبته هي عين صلاح العبد وسعادته وفوزه،

والمشركون أحبوا من لا يستحق من الحب شيئا،

ومحبته عين شقاء العبد وفساده، وتشتت أمره.

فلهذا توعدهم الله بقوله:

﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾

باتخاذ الأنداد والانقياد لغير رب العباد وظلموا الخلق بصدهم عن سبيل الله،

وسعيهم فيما يضرهم.

﴿إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ﴾ أي: يوم القيامة عيانا بأبصارهم،

﴿أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾

***كقوله{فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ (25) وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ} [الفجر: 25، 26]

– أي: لعلموا علما جازما، أن القـــــوة والقـــــدرة لله كلها،

وأن أندادهم ليس فيها من القوة شيء،

فتبين لهم في ذلك اليوم ضعفها وعجزها،

لا كما اشتبه عليهم في الدنيا،

وظنوا أن لها من الأمر شيئا، وأنها تقربهم إليه وتوصلهم إليه، فخاب ظنهم،

وبطل سعيهم، وحق عليهم شدة العذاب،

ولم تدفع عنهم أندادهم شيئا، ولم تغن عنهم مثقال ذرة من النفع،

بل يحصل لهم الضرر منها، من حيث ظنوا نفعها.

(إِذۡ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ)

***ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ كُفْرِهِمْ بِأَوْثَانِهِمْ وَتَبَرُّؤِ الْمَتْبُوعِينَ مِنَ التَّابِعَيْنِ، فَقَالَ:
إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الأَسْبَابُ
-تَبَرَّأَتْ مِنْهُمُ الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَعْبُدُونَهُمْ فِي دَارِ الدُّنْيَا،
فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: {تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ} [الْقَصَصِ: 63]
وَيَقُولُونَ: {سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ
بِهِمْ مُؤْمِنُونَ} [سَبَأٍ: 41]
وَالْجِنُّ أَيْضًا تَتَبَرَّأُ مِنْهُمْ، وَيَتَنَصَّلُونَ مِنْ عِبَادَتِهِمْ لَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:
{وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ
وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ * وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا
بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ} [الْأَحْقَافِ: 5، 6]
وَقَالَ تَعَالَى: {وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا * كَلا سَيَكْفُرُونَ
بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا} [مَرْيَمَ: 81، 82]

وَقَالَ الْخَلِيلُ لِقَوْمِهِ: {إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ} [الْعَنْكَبُوتِ: 25]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ * وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الأَغْلالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [سَبَأٍ: 31-33]

وَقَالَ تَعَالَى: {وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ}
[إِبْرَاهِيمَ: 22] .

–وتبرأ المتبوعون من التابعين،

(وَرَأَوُاْ ٱلۡعَذَابَ)

(وَتَقَطَّعَتۡ بِهِمُ ٱلۡأَسۡبَابُ)

وتقطعت بينهم الوصل، التي كانت في الدنيا((من القرابة، والاتِّباع، والدين، وغير ذلك:الميسر))

لأنها كانت لغير الله، وعلى غير أمر الله، ومتعلقة بالباطل الذي لا حقيقة له، فاضمحلت أعمالهم، وتلاشت أحوالهم،

وتبين لهم أنهم كانوا كاذبين،

وأن أعمالهم التي يؤملون نفعها وحصول نتيجتها، انقلبت عليهم حسرة وندامة، وأنهم خالدون في النار لا يخرجون منها أبدا،

فهل بعد هذا الخسران خسران؟

ذلك بأنهم اتبعوا الباطل، فعملوا العمل الباطل و رجوا غير مرجو،

وتعلقوا بغير متعلق، فبطلت الأعمال ببطلان متعلقها،

ولما بطلت وقعت الحسرة بما فاتهم من الأمل فيها، فضرتهم غاية الضرر،

☼وهذا بخلاف من تعلق بالله الملك الحق المبين، وأخلـــــص العمل لوجهه، ورجـــــا نفعه←

فهذا قد وضع الحق في موضعه،

فكانت أعماله حقا،لتعلقها بالحق،

ففاز بنتيجة عمله، ووجد جزاءه عند ربه، غير منقطع كما قال تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٖ وَهُوَ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡ كَفَّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡ وَأَصۡلَحَ بَالَهُمۡ

﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلۡحَقَّ مِن رَّبِّهِمۡۚ كَذَٰلِكَ يَضۡرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمۡثَٰلَهُمۡ ﴿٣﴾ ﴾[سورة محمد]

(وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوۡ أَنَّ لَنَا كَرَّةً

***رجعة أو عودة

(فَنَتَبَرَّأَ مِنۡهُمۡ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّاۗ)

–وحينئذ يتمنى التابعون أن يردوا إلى الدنيا

فيتبـــــــرأوا من متبوعيهم،

بأن يتــــــركوا الشـــــــرك بالله،

ويقبـــــــلوا على إخلاص العمل لله،

وهيهات، فات الأمر، وليس الوقت وقت إمهال وإنظار،

ومع هذا، فهم كذبة، فلو ردوا لعادوا لما نهوا عنه،

﴿ بَلۡ بَدَا لَهُم مَّا كَانُواْ يُخۡفُونَ مِن قَبۡلُۖ وَلَوۡ رُدُّواْ لَعَادُواْ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ﴾

الأنعام: ٢٨

وإنما هو قول يقولونه، وأماني يتمنونها، حنقا وغيظا على المتبوعين لما تبرأوا منهم والذنب ذنبهم، فرأس المتبوعين على الشر إبليس،

ومع هذا يقول لأتباعه لما قضي الأمر

﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾

[إبراهيم:22]

(كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡ حَسَرَٰتٍ عَلَيۡهِمۡۖ)

***أيسر:كما أراهم الله تعالى العذاب فعاينوه،**

يريهم أعمالهم القبيحة من الشرك والمعاصي

فَتَعْظُمْ حسرتهم ويشتد كربهم ويدخلون بها النار( )

(وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ)

* **أيسر:فلا يخرجونهم منها أبداً.**

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ)

---

*حسرات:جمع حسرة وهي الندم الشديد الذي يكاد يحسر صاحبه فيقعد به عن الحركة والعمل

–هذا خطاب للناس كلهم، مؤمنهم وكافرهم، فامتن عليهم بأن أمرهم أن يأكلوا من جميع ما في الأرض، من حبوب، وثمار، وفواكه، وحيوانات، حالة كونها

(حَلَٰلًا)

*** أَيْ: مُسْتَطَابًا فِي نَفْسِهِ غَيْرَ ضَارٍّ لِلْأَبْدَانِ وَلَا لِلْعُقُولِ،

أي: محللا لكم تناوله،

ليس بغصب ولا سرقة،

ولا محصلا بمعاملة محرمة

أو على وجه محرم،

أو معينا على محرم.

(طَيِّبًا)

أي: ليس بخبيث،

كالميتـــــة والدم،

ولحـــــم الخنزير،

والخبـــــائث كلها،

ففي هذه الآية، دليل على أن الأصل في الأعيان الإباحة، أكلا وانتفاعا،

وأن المحـــــرم نوعـــــان:–

1– إما محرم لذاته، وهو الخبيث الذي هو ضد الطيب،

2- وإما محرم لما عرض له، وهو المحرم لتعلق حق الله، أو حق عباده به، وهو ضد الحلال.

وفيه دليل على أن الأكل بقدر ما يقيم البنية واجب، يأثم تاركه لظاهر الأمر، ولما أمرهم باتباع ما أمرهم به – إذ هو عين صلاحهم – نهاهم عن اتباع الشيطان

(وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ)

***نـــــــــــزغات الشيطان

***خطـــــــــــــاه

***كل معصيــــــــــــــة لله فهي من خطوات الشيطان

أي: طرقه التي يأمر بها، وهي جميع المعاصي من كفر، وفسوق، وظلم، ويدخل في ذلك تحريم السوائب، والحام*** ((و الوصائل))ونحو ذلك، مما زيَّنه لهم في جاهليتهم كما في:-

***صحيح مسلم

(2865) عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ:

" أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ،

وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ،

وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ،

وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ،

وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا،

-ويدخل فيه أيضا تناول المأكولات المحرمة،

(إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)

أي: ظاهر العداوة، فلا يريد بأمركم إلا غشكم،

وأن تكونوا من أصحاب السعير، فلم يكتف ربنا بنهينا عن اتباع خطواته،

حتى أخبرنا – وهو أصدق القائلين – بعداوته الداعية للحذر منه،

ثم لم يكتف بذلك، حتى أخبرنا بتفصيل ما يأمر به، وأنه أقبح الأشياء،

وأعظمها مفسدة فقال:

(إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ) .

أي: الشر الذي يسوء صاحبه، فيدخل في ذلك، جميع المعاصي،

فيكون قوله:

(وَٱلْفَحْشَآءِ) من باب عطف الخاص على العام؛

لأن الفحشاء من المعاصي، ما تناهى قبحه،

كالـــزنا، وشـــرب الخمر، والقتـــل، والقـــذف، والبخـــل ونحو ذلك،

مما يستفحشه من له عقل،

***و أغلظ من ذلك القول علي الله بلا علم فيدخل في هذا كل كافر و كل مبتدع أيضا

(وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ)

فيدخل في ذلك، القول على الله بلا علم، في شرعه، وقدره،

۞فمن وصف الله بغير ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله،

۞أو نفى عنه ما أثبته لنفسه،

۞أو أثبت له ما نفاه عن نفسه، فقد قال على الله بلا علم،

۞ ومن زعم أن لله ندا، وأوثانا، تقرب من عبدها من الله،

فقد قال على الله بلا علم،

۞ومن قال: إن الله أحل كذا، أو حرم كذا، أو أمر بكذا، أو نهى عن كذا،

بغير بصيرة، فقد قال على الله بلا علم،

۞ومن قال: الله خلق هذا الصنف من المخلوقات، للعلة الفلانية بلا برهان له بذلك، فقد قال على الله بلا علم،

۞ومن أعظم القول على الله بلا علم، أن يتأول المتأول كلامه،

أو كلام رسوله، على معان اصطلح عليها طائفة من طوائف الضلال،

ثم يقول: إن الله أرادها، فالقول على الله بلا علم،

من أكبر المحرمات، وأشملها، وأكبر طرق الشيطان التي يدعو إليها،

❍فهذه طرق الشيطان التي يدعو إليها هو وجنوده،

ويبذلون مكرهم وخداعهم، على إغواء الخلق بما يقدرون عليه.

○وأما الله تعالى، فإنه يأمر بالعدل والإحسان، وإيتاء ذي القربى،

وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي،

فلينظر العبد نفسه، مع أي الداعيين هو، ومن أي الحزبين؟

1- أتتبع داعي الله الذي يريد لك الخير والسعادة الدنيوية والأخروية،

الذي كل الفلاح بطاعته، وكل الفوز في خدمته،

وجميع الأرباح في معاملة المنعم بالنعم الظاهرة والباطنة،

الذي لا يأمر إلا بالخير، ولا ينهى إلا عن الشر

2-أم تتبع داعي الشيطان، الذي هو عدو الإنسان، الذي يريد لك الشر،

ويسعى بجهده على إهلاكك في الدنيا والآخرة؟

الذي كل الشر في طاعته، وكل الخسران في ولايته، الذي لا يأمر إلا بشر،

ولا ينهى إلا عن خير.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ
ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ
ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ
لِغَيْرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ
أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَلَا
يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ
وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ
ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَـٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ
ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟)

ثم أخبر تعالى عن حال المشركين إذا أمروا باتباع

(مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ)

ما أنزل الله على رسوله – مما تقدم وصفه – رغبوا عن ذلك:

(قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۗ)

(أَلۡفَيۡنَا)

***وجدنا

فاكتفوا بتقليد الآباء، وزهـــــدوا في الإيمان بالأنبياء،

و مع هذا فآباؤهم أجهل الناس،

وأشدهم ضلالا وهذه شبهة لرد الحق واهية،

فهذا دليل على إعراضهم عن الحق، ورغبتهم عنه، وعدم إنصافهم،

فلو هدوا لرشدهم، وحسن قصدهم، لكان الحق هو القصد،

۞ومن جعل الحق قصده، و وازن بينه وبين غيره، تبين له الحق قطعا،

واتبعه إن كان منصفا.

(أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ)

***الَّذِينَ يَقْتَدُونَ بِهِمْ وَ يَقْتَفُونَ أَثَرَهُمْ

{لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـًٔا وَلَا يَهۡتَدُونَ}

*** أَيْ: لَيْسَ لَهُمْ فَهْمٌ وَ لَا هِدَايَةٌ!!.

(وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ)

***فِيمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْغَيِّ وَالضَّلَالِ وَالْجَهْلِ

لما بين تعالى عدم انقيادهم لما جاءت به الرسل، و ردهم لذلك بالتقليد،

عُلِمَ من ذلك أنهم غير قابلين للحق، و لا مستجيبين له،

بل كان معلوما لكل أحد أنهم لن يزولوا عن عنادهم،

أخبر تعالى،

(كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً)

أن مثلهم عند دعاء الداعي لهم إلى الإيمان كمثل البهائم التي ينعق لها راعيها،

و ليس لها علم بما يقول راعيها و مناديها،

فهم يسمعون مجرد الصوت، الذي تقوم به عليهم الحجة،

و لكنهم لا يفقهونه فقها ينفعهم، فلهذا كانوا

(صُمٌّۢ)

صما لا يسمعون الحق سماع فهـــــم وقبـــــول،

(بُكۡمٌ)

فلا ينطــــــقون بما فيه خير لهم.

(عُمۡىٌ)

عمــــــيا لا ينظرون نظر اعتبار،

➔و السبب الموجب لذلك كله، أنه ليس لهم عقل صحيح،

-بل هم أسفه السفهاء، و أجهل الجهلاء.

فهل يستريب العاقل، أن من دُعِـــــيَ إلى الرشاد، و ذيــــــد عن الفساد،

ونُـــــهي عن اقتحام العذاب،

و أُمـــــر بما فيه ((صلاحه و فلاحه، و فوزه، و نعيمه))

فعصى الناصح، وتولى عن أمر ربه

و اقتحم النار على بصيرة، و اتبع الباطل، و نبذ الحق

أن هذا ليس له مسكة من عقل،

و أنه لو اتصف بالمكر و الخديعة و الدهاء، فإنه من أسفه السفهاء.

(فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ)

***و لايفهمونه

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ وَلَحۡمَ ٱلۡخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيۡرِ ٱللَّهِۖ فَمَنِ ٱضۡطُرَّ غَيۡرَ بَاغٖ وَلَا عَادٖ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ وَٱشۡكُرُواْ لِلَّهِ)

*** صحيح مسلم

(1015) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

" أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا،

وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ،

فَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا* إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ} [المؤمنون: 51]

وَقَالَ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ} [البقرة: 172]

ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ،

يَـــــــــا رَبِّ، يَـــــــــا رَبِّ،

وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ،

فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟( )

***وَ قَدْ خَصَّصَ الْجُمْهُورُ مِنْ ذَلِكَ مَيْتَةَ الْبَحْرِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى:

{أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ} [الْمَائِدَةِ: 96]

عَلَى مَا سَيَأْتِي، وَحَدِيثُ الْعَنْبَرِ فِي الصَّحِيحِ وَفِي الْمُسْنَدِ وَالْمُوَطَّأِ

*** و في سنن أبي داود

83 - عن أَبَي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: سَأَلَ رَجُلٌ النَّبِيَّ ﷺ،

فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّا نَرْكَبُ الْبَحْرَ،

وَنَحْمِلُ مَعَنَا الْقَلِيلَ مِنَ الْمَاءِ،

فَإِنْ تَوَضَّأْنَا بِهِ عَطِشْنَا، أَفَنَتَوَضَّأُ بِمَاءِ الْبَحْرِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «هُوَ الطَّهُورُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مَيْتَتُهُ»

(إن الله طيب) قال القاضي الطيب في صفة الله تعالى بمعنى المنزه عن النقائص وهو بمعنى القدوس وأصل الطيب الزكاة والطهارة والسلامة من الخبث

(ثم ذكر الرجل) هذه الجملة من كلام الراوي والضمير فيه للنبي ﷺ

و الرجل بالرفع مبتدأ مذكور على وجه الحكاية من لفظ رسول الله ﷺ

و يجوز أن ينصب على أنه مفعول ذكر

(وَغُذِيَ) بضم الغين وتخفيف الذال]

*** سنن ابن ماجه

3314 -عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:

«أُحِلَّتْ لَكُمْ مَيْتَتَانِ وَ دَمَانِ،

فَأَمَّا الْمَيْتَتَانِ، فَالْحُوتُ وَ الْجَرَادُ،

وَ أَمَّا الدَّمَانِ، فَالْكَبِدُ وَالطِّحَالُ»

وَ سَيَأْتِي تَقْرِيرُ ذَلِكَ فِي سُورَةِ الْمَائِدَةِ .

–هذا أمر للمؤمنين خاصة، بعد الأمر العام، وذلك أنهم هم المنتفعون على الحقيقة بالأوامر والنواهي، بسبب إيمانهم،

فأمرهم بأكل الطيبات من الرزق، والشكر لله على إنعامه، باستعمالها بطاعته، والتقوي بها على ما يوصل إليه،

فأمرهم بما أمر به المرسلين في قوله

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾

[المؤمنون:51]

فالشكر في هذه الآية، هو العمل الصالح، و هنا لم يقل « حلالا »

1– لأن المؤمن أباح الله له الطيبات من الرزق خالصـــــــة من التبعة،

2– و لأن إيمانه يحجـــــزه عن تناول ما ليس له.

و قوله (إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ)

أي: فاشكروه، فدل على أن من لم يشكر الله، لم يعبده وحده،

كما أن من شكره، فقد عبده، وأتى بما أمر به،

–و يدل أيضا على أن أكل الطيب (((سبب للعمل الصالح وقبـــــوله)))

- و الأمـــــر بالشكر، عقيب النعـــــم:-

1-لأن الشكر يحفـــــظ النعم الموجودة،

2-و يجـــــلب النعم المفقودة

☼كما أن الكفــــــر:-

1-ينفــــــر النعم المفقودة

2- و يـــــزيل النعم الموجودة.

ولما ذكر تعالى إباحة الطيبات ذكر تحريم الخبائث فقال

(إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ)الاعجاز العلمي

و هي: ما مات بغير تذكية شرعية، لأن الميتة خبيثة مضرة لرداءتها في نفسها،

و لأن الأغلب، أن تكون عن مرض، فيكون زيادة ضرر

و استثنى الشارع من هذا العموم، ميتة الجراد، و سمك البحر،

فإنه حلال طيب.

(وَٱلدَّمَ)

أي: المسفوح كما قيد في الآية الأخرى.الاعجاز العلمي

(وَلَحْمَ ٱلْخِنزِيرِ) الاعجاز العلمي

(وَمَآ أُهِلَّ بِهِۦ لِغَيْرِ ٱللَّهِ)

ذبح لغير الله، كالذي يذبح للأصنام والأوثان من الأحجار، والقبور ونحوها،

وهذا المذكور غير حاصر للمحرمات، جيء به لبيان أجناس الخبائث المدلول عليها بمفهوم قوله:

(طَيِّبَاتِ)

فعموم المحرمات، تستفاد من الآية السابقة، من قوله:

(حَلالا طَيِّبًا) كما تقدم.

و إنما حرم علينا هذه الخبائث ونحوها، لطفا بنا، وتنزيها عن المضر، ومع هذا

(فَمَنِ ٱضۡطُرَّ)

أي: ألجئ إلى المحرم، بجوع وعدم، أو إكراه،

(غَيۡرَ بَاغٖ)

غير طالب للمحرم، مع قدرته على الحلال، أو مع عدم جوعه،

(وَلَا عَادٖ)

أي: متجاوز الحد في تناول ما أبيح له، اضطرارا،

فمن اضطر وهو غير قادر على الحلال، وأكل بقدر الضرورة فلا يزيد عليها،

(فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ)

فلا جناح عليه، وإذا ارتفع الجناح الإثم رجع الأمر إلى ما كان عليه،

والإنسان بهذه الحالة، مأمور بالأكل،

بل منهي أن يلقي بيده إلى التهلكة، وأن يقتل نفسه.

فيجب، إذًا عليه الأكل، ويأثم إن ترك الأكل حتى مات، فيكون قاتلا لنفسه.

و هذه الإباحة والتوسعة، من رحمته تعالى بعباده،

فلهذا ختمها بهذين الاسمين الكريمين المناسبين غاية المناسبة فقال:

(إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)

ولما كان الحل مشروطا بهذين الشرطين، وكان الإنسان في هذه الحالة،

ربما لا يستقصي تمام الاستقصاء في تحقيقها – أخبر تعالى أنه غفور،

فيغفر ما أخطأ فيه في هذه الحال،

خصـــــوصا وقد غلبـــــته الضرورة، وأذهبـــــت حواسه المشقة.

وفي هذه الآية دليل على القاعدة المشهورة: « الضرورات تبيح المحظورات »

فكل محظور، اضطر إليه الإنسان، فقد أباحه له، الملك الرحمن.

فله الحمد والشكر، أولا وآخرا، وظاهرا وباطنا .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ وَٱلْعَذَابَ بِٱلْمَغْفِرَةِ ۚ فَمَآ أَصْبَرَهُمْ عَلَى ٱلنَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

(إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ)

هذا وعيد شديد لمن كتم ما أنزل الله على رسله، من العلم الذي أخذ الله الميثاق على أهله، أن يبينوه للناس ولا يكتموه،

(وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ)

فمن تعوض عنه بالحطام الدنيوي، ونبذ أمر الله، فأولئك:

(مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ)

لأن هذا الثمن الذي اكتسبوه، إنما حصل لهم بأقبح المكاسب، وأعظم المحرمات، فكان جزاؤهم من جنس عملهم،

***كقوله ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء:10]

(وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ)

بل قد سخط عليهم وأعرض عنهم، فهذا أعظم عليهم من عذاب النار،

(وَلَا يُزَكِّيهِمۡ)

***أَيْ يُثْنِــــــــــــــــــي عَلَيْهِمْ وَيَمْــــــــــــــــدَحُهُمْ

أي: لا يطهرهم من الأخـــــلاق الرذيلة،

و ليس لهم أعمال تصلح للمدح والرضا والجزاء عليها،

وإنما لم يزكهم لأنهم فعلوا أسباب عدم التزكية التي أعظم أسبابها العمل بكتاب الله، والاهتداء به، والدعوة إليه،

(وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

***بَلْ يُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا.

(أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ)

فهؤلاء نبذوا كتاب الله، وأعرضوا عنه،

واختاروا الضلالة على الهدى،

***اعْتَاضُوا عَنِ الْهُدَى، وَهُوَ نَشْرُ مَا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ صِفَةِ الرَّسُولِ وَذِكْرِ مَبْعَثِهِ وَالْبِشَارَةِ بِهِ مِنْ كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ وَاتِّبَاعِهِ وَتَصْدِيقِهِ،
اسْتَبْدَلُوا عَنْ ذَلِكَ وَاعْتَاضُوا عَنْهُ بِالضَّلَالَةِ،
وَهُوَ تَكْذِيبُهُ وَالْكُفْرُ بِهِ وَكِتْمَانُ صِفَاتِهِ فِي كُتُبِهِمْ

(وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِ)

والعذاب على المغفرة،

*** اعْتَاضُوا عَنِ الْمَغْفِرَةِ بِالْعَذَابِ وَهُوَ مَا تعاطَوْه مِنْ أَسْبَابِهِ الْمَذْكُورَةِ.

(فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ)

*** يُخْبِرُ تَعَالَى أنهم فِي عَذَابٍ شَدِيدٍ عَظِيمٍ هَائِلٍ،
يتعجَّبُ مَنْ رَآهُمْ فِيهَا مِنْ صَبْرِهِمْ عَلَى ذَلِكَ،
مَعَ شِدَّةِ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَالنَّكَالِ، وَالْأَغْلَالِ عِيَاذًا بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ.
*** مَا أَدْوَمَهُمْ لِعَمَلِ الْمَعَاصِي الَّتِي تُفْضِي بِهِمْ إِلَى النَّارِ

–فهؤلاء لا يصلح لهم إلا النار، فكيف يصبرون عليها، وأنى لهم الجلد عليها؟

(ذَٰلِكَ)

المذكور وهو مجازاته بالعدل ومنعـــه أسباب الهداية، ممن أباها واختار سواها.

(بِأَنَّ ٱللَّهَ نَـزَّلَ ٱلۡكِتَـٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ)

*** إِنَّمَا اسْتَحَقُّوا هَذَا الْعَذَابَ الشَّدِيدَ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى:-

أَنْزَلَ عَلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺوَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ كُتُبَهُ بِتَحْقِيقِ الْحَقِّ وَإِبْطَالِ الْبَاطِلِ،

وَهَؤُلَاءِ اتَّخَذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوًا، فَكِتَابُهُمْ يَأْمُرُهُمْ بِإِظْهَارِ الْعِلْمِ وَنَشْرِهِ، فَخَالَفُوهُ وَكَذَّبُوهُ.

وَهَذَا الرَّسُولُ الْخَاتَمُ يَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى،

وَيَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَهُمْ يُكَذِّبُونَهُ وَيُخَالِفُونَهُ وَيَجْحَدُونَهُ، وَيَكْتُمُونَ صفته، فاستهزؤوا بِآيَاتِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ عَلَى رُسُلِهِ؛

فَلِهَذَا اسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ وَالنَّكَالَ؛ وَ لِهَذَا قَالَ:

{ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ نزلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ} .

–ومن الحق، مجازاة المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

وأيضا ففي قوله: (نَـزَّلَ ٱلۡكِتَـٰبَ بِٱلۡحَقِّۗ)

ما يدل على أن الله أنـــــزله لهداية خلقه،

وتبيين الحق من الباطل، والهدى من الضلال

فمن صرفه عن مقصوده، فهو حقيق بأن يجازى بأعظم العقوبة.

(وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ)

أي: وإن الذين اختلفوا في الكتاب، فآمنـــــوا ببعضه، وكفـــــروا ببعضه، والذين حـــــرفوه وصـــــرفوه على أهوائهم ومراداتهم

(لَفِي شِقَاقِۭ)

أي: محادة،

(بَعِيدٖ)

عن الحق لأنهم قد خالفوا الكتاب الذي جاء بالحق الموجب للاتفاق وعدم التناقض،

فمـــــرج أمرهم، وكثـــــر شقاقهم، وتـــــرتب على ذلك افتراقهم، بخلاف أهل الكتاب الذين آمنوا به، وحكموه في كل شيء، فإنهم اتفقوا وارتفقوا بالمحبـــــة والاجتمـــــاع عليه.

-و قد تضمنـــــت هذه الآيـــــات:-

1- الوعيد للكاتمين لما أنزل الله المُــــؤثرين عليه عرض الدنيا بالعذاب و السخط،

2-وأن الله لا يطهرهم بالتـــــوفيق، ولا بالمغفـــــرة،

3- وذكر السبب في ذلك بإيثارهم الضلالة على الهدى فترتب على ذلك اختيار العذاب على المغفرة،

4–ثم توجع لهم بشدة صبرهم على النار،

لعملهم بالأسباب التي يعلمون أنها موصلة إليها،

5–و أن الكتاب مشتمل على الحق الموجب للاتفاق عليه، وعدم الافتراق،

وأن كل من خالفه، فهو في غاية البعد عن الحق، والمنازعة والمخاصمة،

والله أعلم.

(وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

الحكمة من تحريم لحم الخنزير:–

http://www.eajaz.org/index.php/Encyclopedias/Research-Scientific-Miracles-Encyclopedia/Medicine-and-Life-Sciences/84-

وقد تحققت نجاسة لحم الخنزير كما تحقق الضرر من أكل لحمه من خلال الأبحاث العلمية العديدة وهذه بعض نتائجـــــــــــــــها :-

1. أن الخنزير حيوان سبعى له أنياب يأكل الجيف والفئران ولو سمحت له الفرصة لأُكل الأطفال لأكلها

وهذا عكس الأنعام تماما فهى بدون أنياب ولا تتغذى إلا على العشب والكلأ فقط

2. أن عدم وجود انزيمى Uricase& Xanthin oxidase فى بلازما الخنزير وقلة وجوده فى الكليتين يجعله يحتفظ بكمية كبيرة من حمض البوليك فى أنسجته فالخنزير يتخلص من 2% فقط من هذا الحمض

والباقى يختزن فى جسده وهذا عكس الأنعام فهى تتخلص من حمض البوليك بكميات كبيرة لوجود (Xanthin oxidase) فى بلازما الأبقار

وهو يقوم بتكسير حمض البوليك إلى آلنتوينAllantoin
والذى يفرز فى بول الأبقار بكميات عالية جدا
وبالتالى تتخلص الأبقار منه عن طريق البول وينقى الدم منه وبالتالى اللحم فيكون لحم الأبقار طاهرا طيبا .
كما يوجد فى بلازما الأغنام انزيم اليوريكاز (Uricase) والذى يقوم بتكسير حمض البوليك وتتخلص الأغنام منه عن طريق الكليتين مما يجعل لحم الأغنام أيضا طاهرا طيبا
3. أن كثرة وجود حمض البوليك فى دم ولحم الخنزير دليل على نجاسته ولهذا وصفه ربنا عز وجل بأن رجس
4. أن كمية انزيم اليوريكاز فى كلى الأبقار حوالى ستة أضعاف الموجود فى كلى الخنازير
5. أن الخنزير بطبعه الخبيث يأكل روثه المختلط ببوله وما به أيضا من حمض البوليك يجعل تراكم هذا الحمض فى لحمه بكميات كبيرة تضر بصحة الإنسان وهذا يدل على نجاسة لحمه كما بين ربنا عز وجل فى علة التحريم للحم الخنزير وهى أنه رجس
وهذا من الإعجاز العلمى لهذه الآية ولتحريم لحم الخنزير
6. أن الخنزير يحتوى على 50% من لحمه دهنيات
وأن هذه الدهنيات منها 38% دهون مشبعة تراى جلسريد ولا يستطيع الإنسان هضمها بينما الأبقار تحتوى على 6% فقط من الدهون وهى سهلة الهضم والأغنام تحتوى على 17% دهون أيضا سهلة الهضم
وهذا يدل أيضا على الضرر المحقق من تناول لحم لخنزير
7. أن الخنزير يحتوى على كميات عالية من هرمونات النمو وهى تسبب ستة أنواع من السرطانات بينما تفتقر الأنعام إلى هذه الهرمونات مقارنة بالخنزير وهذا أيضا ضررا آخر محققا من تناول لحم الخنزير وعلة ذاتية

على التحريم
8. أن لحم الخنزير يحتوى على كميات كبيرة من الكبريت على عكس الأنعام وهذه علة أخرى ذاتية لتحريم لحم الخنزير
9. أن لحم الخنزير يحتوى على كميات كبيرة من الهستامين والإميدازول المسبب للحساسية واكزيما الجلد لمن يأكله بينما لحم الأنعام لا تحتوى على هذا الهرمون
10. وأن نسبة الكوليسترول فى لحم الخنزير خمسة عشر ضعفاً لما فى البقر، ولهذه الحقيقة أهمية خطيرة :-
لأن هذه الدهنيات تزيد مادة الكوليسترول فى دم الإنسان
وهذه المادة عندما تزيد عن المعدل الطبيعى تترسب فى الشرايين ،
ولاسيما شرايين القلب ، و تسبب تصلب الشرايين و ارتفاع الضغط ،
وهو السبب الرئيسى فى معظم حالات الذبحة القلبية.
وهذه أضرار شديدة بصحة الإنسان .
11. وتعتبر هذه الأضرار علل ذاتية للتحريم ويبقى الحكم ببقاء العلة ويكون الخنزير محرما على التأبيد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها
من خلال نتائج هذا البحث يتضح بيان الإعجاز العلمي فى حرمة لحم الخنزير حيث إن كل هذه الأضرار التى موجودة فى:-
((لحـــم وده ـــــن ودم الخنزير)) تجعل الخنزير محرما لذاته وليس لعلل عارضة أو مكتسبة
وهذا الذى بينه ربنا عز وجل من قوله (فإنه رجس) أي نجس ، ضار ومؤذ ونتن
ومن هنا يتضح وجه الإعجاز العلمى فى هذا النص القرآني لحرمة لحم الخنزير

وصدق الله العظيم الحكيم العليم الخبير الذى بلغ رسوله النبي الأمي بتحريم لحم الخنزير كما بلغ الرسل الكرام من قبله بحرمة هذا الحيوان القذر النجس

تحـــــــريم الميتـــــــــــة

لقد ثبت علميا وبشكل مؤكد أن جسم الميتة في الحيوانات يحتبس فيه الدم وسمومه، وقد يتخلل جميع الأنسجة اللحمية،

وتبدأ السموم عملها في كل خلايا الجسـم، فتكتسب الميتة اللون الداكن، وتمتلئ الأوردة السطحية بالدماء،

وتتوقف الدورة الدموية دون أن يتسرب حتى ولو قدر ضئيل من تلك الدمـاء إلى خارج الجسم،

وتصبح بذلك الميتة كلها بؤرة فاسدة للأمراض ومجمعا خبيثا للميكروبات، ويبدأ التعفن في عمله فيهـا،

ويعم أثره في اللحم لونا وطعما ورائحة، فالميتة إذن ليست من الطيبات على الإطلاق .

(يسألونك ماذا أحل لهم* قل أحل لكم الطيبات) (المائدة 4)

كما أن الميتة يفقد لحمها كل قيمة لأن إنزيمات التحلل تبدأ عملها في الخلايا فتفقدها كل قيمة غذائية،

وعلى أية حـال فإن المسلمين يمتنعون تمـاما ومن قبل معرفة هذه الحقـائق العلمية عن أكل لـحم الميتة اتباعا لأوامر الخـالق في كتـابه الكريم،

لأنهم يؤمنـون أن مـا جـاء في هذا القرآن إنما هو الحق المطلق الذي لا يتغير ولا يتبـدل ..

(وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين) **يونس (37).**

أنــــواع الميتــة. .

المنخنقة:

هي التي تموت بالخنق، إما قصدا، وإما عرضا كأن تتعثر مثلا في وثاقها فتموت،

وقد ثبت علميا أن الحيوان إذا مات مختنقا أي بمنع الأوكسجين في الدخول إلى رئتيه فإنه يتراكم في جسمه غاز ثاني أكسيد الكربون السام،

كما تتراكم جميع الإفرازات السامة التي تخرج عادة مع التنفس في عملية الزفير، وهذه المواد إذا احتبست ولم تخرج عادت لتمتص في الجسم ويحدث التسمم في كل الأنسجة، فتؤدي إلى الوفاة.

وبالتالي فإن أكل لحوم هذه الحيوانات معناه انتقال هذه المواد السامة إلى جسم آكلها فتسبب أمراضا خطيرة، أيسر كثيرا من علاجها أن نتجنب أكل هذه اللحوم كما أمرنا العليم الحكيم. .

الموقوذة :

الموقوذة هي التي تُضرب بعصا أو خشبة أو حجر حتى الموت،

وهذه الحيوانات تَفْسَد لحومُها لتلف الأنسجة،

واحتوائها على الكثير من الميكروبات نتيجة احتقان الدم فيها وعدم ذبحها بالطريقة التي أمر بها الله جل و علا.

المتردية:

المتردية هي التي تموت من السقوط من مكان عال أو تسقط في بئر أو من جـراء حادث كصدمة سيارة،
وهذه الحيوانات تفسد لحومها وتتلف ولا تكون صالحة لغذاء البشر؛
لما تحتويه من جراثيم وميكروبات تسبب أمراضا شتى. .

❍النطـيحـة:

النطيحة هي التي تموت بسبب نطح حيوان آخر لها،
وقد قال ابن عباس: " النطيحة هي ما نطحت فماتت فما أدركته يتحرك بذنبه أو بعينه فاذبح و كل"
ولحومها تحتوي على ميكروبات مختلفة نتيجة موتها بهذه الطريقة وعدم تخلصها من الدماء الفاسدة. .

❍ما أكـل السبـع :

وقد حرمت لحوم ما أكل السبع لحكمة إلهية عظيمـة،
اكتشف الطب الحديث جانبا منها،
حيث ثبت أن الجراثيم والميكروبات التي تكون في أظافر السبع حين تنهش فريستها تنتقل إليها وتسبب أمراضا لمن يأكل لحومها بعد ذلك،
كما أن السبع أو الحيوانات البرية بشكل عام قد تكون مصابة بمرض تظهر آثاره في فمه و لعابه،
و ينتقل بدوره إلى جسم الفريسة، فتتسبب في أضرار بالغة لآكل لحومها. .

❍تحريـم الـدم:

فلنتعرف أولا على وظيفة الدم في جسم الكائن الحي:-
إن الدم يقوم في جسم الكائن الحي بوظيفتين:
الأولى أنه ينقل المواد الغذائية التي تمتص من الأمعاء مثل:
البروتينات والسكريات والدهون إلى أعضاء الجسم وعضلاته،

إلى جانب حمله للفيتامينات والهرمونات والأوكسجين وجميع العناصر الحيـوية الضرورية.

والثانية: هي حمل إفرازات الجسم الضارة في جسم الحيوان كي يتخلص منها مع البول أو العرق أو البراز.

فإذا كان الحيوان مريضا فإن الميكـروبات تتكاثر عادة في دمه،

لأنها تستعمله كوسيلة للانتقال من عضو إلى آخر،

كما أن إفرازات الميكروب وسمياته تنتقل عن طريق الدم أيضا،

وهنا يكمن الخطر..

لأنه إذا شرب الإنسـان الدم فستنتقل إليه كل هذه الميكروبات وإفرازاتها،

وتتسبـب في أمراض كثيرة مثل ارتفاع البولينا في الدم،

مما يهدد بحدوث فشل كلوي أو ارتفاع نسبة الأمونيا في الدم

وحدوث غيبوبة كبدية..

وكثير من الجراثيم التي يحملها الدم تحدث في المعدة والأمعاء تهيجا في الأغشية، مما يسبب أمراضا كثيرة

لكل هذه الأسباب حتم الإسلام الذبح الشرعي الذي يقتضي تصفية دم الحيوان بعد ذبحه

وكذا حرم الله شرب الدم أو دخوله بأي شكل من الأشكال إلى الغذاء الآدمي،

وهذا قبل أن يخترع الميكرسكوب، وقبل أن يعرف الإنسـان أي شئ عن الجراثيم والميكروبات

﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ العنكبوت: ٤

۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ
وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي
ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ
ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ
وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ
فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن
رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ
حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ
ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ
﴿١٨٠﴾ فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٨١﴾

۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ
وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ وَءَاتَى ٱلۡمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِي
ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ

ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾

يقول تعالى:

(لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ)

***كما قال﴿ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ﴾

الحج: ٣٧

*** وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: {وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ} الْآيَةَ،

قَالَ: هَذِهِ أَنْوَاعُ الْبِرِّ كُلُّهَا. وَصَدَقَ رَحِمَهُ اللَّهُ؛

فَإِنَّ مَنِ اتَّصَفَ بِهَذِهِ الْآيَةِ، فَقَدْ دَخَلَ فِي عُرَى الْإِسْلَامِ كُلِّهَا، وَأَخَذَ بِمَجَامِـــــــــــــعِ الْخَيْرِ كُلِّهِ،

1-وَهُوَ الْإِيمَانُ بِاللَّهِ، وَهُوَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ،

2- وَصَدَّقَ بِوُجُودِ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ هُمْ سَفَرَةٌ بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ

3- {وَالْكِتَابِ} وَهُوَ اسْمُ جِنْسٍ يَشْمَلُ الْكُتُبَ الْمُنَزَّلَةَ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، حَتَّى خُتِمَتْ بِأَشْرَفِهَا، وَهُوَ الْقُرْآنُ الْمُهَيْمِنُ عَلَى مَا قَبْلَهُ مِنَ الْكُتُبِ، الذِي انْتَهَى إِلَيْهِ كُلُّ خَيْرٍ، وَاشْتَمَلَ عَلَى كُلِّ سَعَادَةٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَنَسَخَ اللَّهُ بِهِ كُلَّ مَا سِوَاهُ مِنَ الْكُتُبِ قَبْلَهُ،

4- وَآمَنَ بِأَنْبِيَاءِ اللَّهِ كُلِّهِمْ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى خَاتَمِهِمْ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

أي: ليس هذا هو البر المقصود من العباد،

فيكون كثرة البحث فيه والجدال من العناء الذي ليس تحته إلا الشقاق والخلاف، وهذا نظير قوله ﷺ:

-في صحيح البخاري

6114 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:

«لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»(Î)

و نحو ذلك.

(وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ)

أي: بأنه إله واحد، موصوف بكل صفة كمال، منزه عن كل نقص.

(وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ)

وهو كل ما أخبر الله به في كتابه، أو أخبر به الرسول، مما يكون بعد الموت.

(وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ)

الذين وصفهم الله لنا في كتابه، ووصفهم رسوله ﷺ

(وَٱلۡكِتَٰبِ)

جنس الكتب التي أنزلها الله على رسوله، وأعظمها القرآن،

فيؤمن بما تضمنه من الأخبار والأحكام،

(الشديد) القوي الحقيقي.

(بالصرعة) الذي يغلب الرجال ويصرعهم.

(يملك نفسه) يكظم غيظه ويتحلم ولا يعمل بمقتضى غضبه

(وَٱلنَّبِيِّـۧنَ)

عموما، خصوصا خاتمهم وأفضلهم محمد ﷺ.

(وَءَاتَى ٱلْمَالَ)

وهو كل ما يتموله الإنسان من مال، قليلا كان أو كثيرا، أي: أعطى المال

(عَلَىٰ حُبِّهِۦ)

***** صحيح البخاري**

1419 - عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺفَقَالَ:
يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَعْظَمُ أَجْرًا؟
قَالَ: «أَنْ تَصَدَّقَ
1-وَ أَنْتَ صَحِيحٌ 2-شَحِيحٌ3-تَخْشَى الفَقْرَ4-وَ تَأْمُلُ الغِنَى5-وَ لاَ تُمْهِـــــــلُ
حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الحُلْقُومَ،
قُلْتَ لِفُلاَنٍ كَذَا، وَلِفُلاَنٍ كَذَا وَ قَدْ كَانَ لِفُلاَنٍ»( )

(صحيح) ليس فيك مرض أو علة تقطع أملك في الحياة.
(شحيح) من شأنك الشح وهو البخـــــــــــل مع الحـــــــــــرص.
(تخشى الفقر) تخافه وتحسب له حسابا.
(تأمل) تطمع وترجو.
(تمهل) تؤخر.
(بلغت الحلقوم) قاربت الروح الحلق والمراد شعرت بقرب الموت.
(لفلان كذا) أخذت توصي وتتصدق.
(وقد كان لفلان) وقد أصبح مالك ملكا لغيرك وهم ورثتك

***﴿ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ﴾ الإنسان: ٨

أي: حب المال ، بيَّن به أن المال محبوب للنفوس،

فلا يكاد يخرجه العبد.

فمن أخرجه مع حبه له تقربا إلى الله تعالى، كان هذا برهانا لإيمانه،

✡ومن إيتاء المال على حبه، أن يتصدق وهو صحيح شحيح، يأمل الغنى، ويخشى الفقر،

✡وكذلك إذا كانت الصدقة عن قلة، كانت أفضل، لأنه في هذه الحال، يحب إمساكه، لما يتوهمه من العدم والفقر.

✡وكذلك إخراج النفيس من المال، وما يحبه من ماله كما قال تعالى:

﴿ لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴾
آل عمران: ٩٢

– فكل هؤلاء ممن آتى المال على حبه.

(ذَوِي ٱلۡقُرۡبَىٰ)

*** سنن الترمذي ت شاكر -658

قال ﷺ الصَّدَقَةُ عَلَى المِسْكِينِ صَدَقَةٌ،
وَهِيَ عَلَى ذِي الرَّحِمِ ثِنْتَانِ: صَدَقَةٌ وَصِلَةٌ
***فَهُمْ أَوْلَى النَّاسِ بِكَ وَبِبِرِّكَ وَإِعْطَائِكَ.
وَقَدْ أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ فِي غَيْرِ مَا مَوْضِعٍ مِنْ كِتَابِهِ الْعَزِيزِ.

(وَٱلۡيَتَٰمَىٰ)

***هُمْ:الَّذِينَ لَا كَاسِبَ لَهُمْ، وَقَدْ مَاتَ آبَاؤُهُمْ وَهُمْ ضُعَفَاءُ صِغَارٌ دُونَ الْبُلُوغِ وَالْقُدْرَةِ عَلَى التَّكَسُّبِ

(وَٱلْمَسَٰكِينَ)

*** الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَكْفِيهِمْ فِي قُوتِهِمْ وَكِسْوَتِهِمْ وَسُكْنَاهُمْ، فَيُعْطُونَ مَا تُسَدُّ بِهِ حَاجَتُهُمْ وَخَلَّتُهُمْ

***صحيح البخاري

1479 -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:

«لَيْسَ المِسْكِينُ الَّذِي يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ

تَرُدُّهُ اللُّقْمَةُ وَ اللُّقْمَتَانِ، وَ التَّمْرَةُ وَ التَّمْرَتَانِ،

←وَ لَكِنِ المِسْكِينُ الَّذِي لاَ يَجِدُ غِنًى يُغْنِيهِ، وَلاَ يُفْطَنُ بِهِ،

فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ وَلاَ يَقُومُ فَيَسْأَلُ النَّاسَ»

(وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ)

*** الْمُسَافِرُ الْمُجْتَازُ الذِي قَدْ فَرَغَتْ نَفَقَتُهُ فَيُعْطَى مَا يُوصِلُهُ إِلَى بَلَدِهِ، وَكَذَا الذِي يُرِيدُ سَفَرًا فِي طَاعَةٍ، فَيُعْطَى مَا يَكْفِيهِ فِي ذَهَابِهِ وَإِيَابِهِ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الضَّيْفُ

(وَٱلسَّآئِلِينَ)

أي: الذين تعرض لهم حاجة من الحوائج، توجب السؤال،

كمن ابتلي بأرش(Ð) جناية، أو ضريبة عليه من ولاة الأمور،

أو يسأل الناس لتعمير المصالح العامة،

مختار الصحاح : دِيَةُ الْجِرَاحَاتِ.

كالمساجد، والمدارس، والقناطر، ونحو ذلك، فهذا له حق وإن كان غنيا

(وَفِي ٱلرِّقَابِ)

-فيدخل فيه العتـــــق والإعانة عليه،

-وبذل مال للمكــــــاتب ليوفي سيده،

-وفـــــداء الأسرى عند الكفـــــار أو عند الظلمـــــة.

(وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ)

قد تقدم مرارا، أن الله تعالى يقرن بين الصلاة والزكاة، لكونهما أفضل العبادات، وأكمل القربات،

عبـــــادات ((قلبيـــــة، و بدنيـــــة، و ماليـــــة))

وبهما يوزن الإيمان، ويعرف ما مع صاحبه من الإيقان.

*** يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ زَكَاةَ النَّفْسِ، وَتَخْلِيصَهَا مِنَ الْأَخْلَاقِ الدَّنِيَّةِ الرَّذِيلَةِ، كَقَوْلِهِ: {قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشَّمْسِ:9، 10]

وَقَوْلُ مُوسَى لِفِرْعَوْنَ: {هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} [النَّازِعَاتِ: 18، 19]

(وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَـٰهَدُوا۟)

***﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَـٰقَ ﴾الرعد: ٢٠

صحيح البخاري

33 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:

" آيَةُ المُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَ إِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَ إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ "

*** صحيح البخاري -34

(.............وَ إِذَا خَاصَمَ فَجَرَ ")

و العهـــــد: [هو الالتـــــزام بإلزام الله أو إلـــــزام العبد لنفسه].

فدخل في ذلك:–

1–حقـــــوق اللـــــه كلها، لكون الله ألزم بها عباده و التزموها،

و دخلوا تحت عهدتها، و وجب عليهم أداؤها،

و حقوق العباد، التي أوجبها الله عليهم،

2–و الحقوق التي التزمها العبـــــد كالأيمان والنذور، ونحو ذلك.

(وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ)

***وَ إِنَّمَا نُصِبَ {وَٱلصَّـٰبِرِينَ }

عَلَى الْمَدْحِ وَالْحَثِّ عَلَى الصَّبْرِ فِي هَذِهِ الْأَحْوَالِ لِشِدَّتِهِ وَصُعُوبَتِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ، وَهُوَ الْمُسْتَعَانُ وَعَلَيْهِ التُّكْلَانُ.

أي: الفقـــــر، لأن الفقير يحتاج إلى الصبر من وجوه كثيرة،

لكونه يحصل له من((الآلام القلـــبية والبـــدنية))المستمرة

ما لا يحصل لغيره.

فإن تنعم الأغنياء بما لا يقدر عليه تألم،

وإن جاع أو جاعت عياله تألم،

وإن أكل طعاما غير موافق لهواه تألم، و إن عرى أو كاد تألم،

و إن نظر إلى ما بين يديه وما يتوهمه من المستقبل الذي يستعد له تألم،

و إن أصابه البرد الذي لا يقدر على دفعه تألم.

فكل هذه ونحوها، مصائب، يؤمر بالصبر عليها، والاحتساب، ورجاء الثواب من الله عليها.

(وَٱلضَّرَّآءِ)

أي: المرض على اختلاف أنواعه،

من حمى، و قروح، و رياح، و وجع عضو،حتى الضرس و الإصبع ونحو ذلك،

فإنه يحتاج إلى الصبر على ذلك((لأن النفس تضعف، والبدن يألم))

وذلك في غاية المشقة على النفوس،

خصوصا مع تطاول ذلك، فإنه يؤمر بالصبر،احتسابا لثواب الله تعالى.

(وَحِينَ ٱلْبَأْسِ)

أي: وقت القتال للأعداء المأمور بقتالهم،

لأن الجلاد، يشق غاية المشقة على النفس،

ويجزع الإنسان من القتل، أو الجراح أو الأسر،

فاحتيج إلى الصبر في ذلك احتسابا،

ورجاء لثواب الله تعالى الذي منه النصر والمعونة، التي وعدها الصابرين.

(أُوْلَٰٓئِكَ)

أي: المتصفون بما ذكر من العقائد الحسنة،

والأعمال التي هي آثار الإيمان، وبرهانه ونوره،

والأخلاق التي هي جمال الإنسان وحقيقة الإنسانية، فأولئك هم

(ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ)

في إيمانهم، لأن أعمالهم صدقت إيمانهم،

*** هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اتَّصَفُوا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ هُمُ الَّذِينَ صَدَقوا فِي إِيمَانِهِمْ؛
لِأَنَّهُمْ حَقَّقُوا الْإِيمَانَ الْقَـــــــلْبِيَّ ((بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ))
فَهَؤُلَاءِ هُمُ الَّذِينَ صَدَقُوا

(وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ)

لأنهم ((تـــــركوا المحظور، وفعلـــــوا المأمور))

لأن هذه الأمور مشتملة على كل خصال الخير، تضمنـــــا ولـــــزوما،

لأن الوفاء بالعهد، يدخل فيه الدين كله،

ولأن العبادات المنصوص عليها في هذه الآية أكبر العبادات،

ومن قام بها، كان بما سواها أقوم، فهؤلاء هم الأبرار الصادقون المتقون.

وقد علم ما رتب الله على هذه الأمور الثلاثة، من الثواب الدنيوي والأخروي،

مما لا يمكن تفصيله في مثل هذا الموضع.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٧٨﴾

﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٧٩﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ)

يمتن تعالى على عباده المؤمنين، بأنه فرض عليهم

(ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ)

أي: المساواة فيه، وأن يقتل القاتل على الصفة، التي قتل عليها المقتول، إقامة للعدل والقسط بين العباد.

وتوجيه الخطاب لعموم المؤمنين، فيه دليل على أنه:-

1-يجب عليهم كلهم، حتى أولياء القاتل حتى القاتل بنفسه إعانة ولي المقتول، إذا طلب القصاص وتمكينه من القاتل،

2-و أنه لا يجوز لهم أن يحولوا بين هذا الحد،

و يمنعوا الولي من الاقتصاص، كما عليه عادة الجاهلية،

و من أشبههم من ((إيواء المحدثين)).

ثم بيَّن تفصيل ذلك فقال:

(ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ)

يدخل بمنطوقها، الذكر بالذكر،

(وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ)

(وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ)

والأنثى بالذكر، والذكر بالأنثى، فيكون منطوقها مقدما على مفهوم قوله:

« الأنثى بالأنثى »

مع دلالة السنة، على أن الذكر يقتل بالأنثى،

❍وخرج من عموم هذا الأبـــــوان و إن علوا،

فلا يقتلان بالولد، لورود السنة بذلك،

مع أن في قوله: (الْقِصَاصُ) ما يدل على أنه ليس من العدل،

أن يقتل الوالد بولده،

ولأن في قلب الوالد من الشفقة والرحمة ما يمنعه من القتل لولده إلا بسبب:-

1-اختـــــلال في عقله

2- أو أذيـــــة شديدة جدا من الولد له.

❍وخرج من العموم أيضا، الكافر بالسنة، مع أن الآية في خطاب المؤمنين خاصة.

***صحيح البخاري

111 - عَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ:
هَلْ عِنْدَكُمْ كِتَابٌ؟ قَالَ: " لاَ، إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، أَوْ فَهْمٌ أُعْطِيَهُ رَجُلٌ مُسْلِمٌ، أَوْ مَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. قَالَ: قُلْتُ: فَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ؟
قَالَ: العَقْلُ،
وَفَكَاكُ الأَسِيرِ،
وَلاَ يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ "( )

(كتاب) شيء مكتوب من عند رسول الله ﷺ.

***مَسْأَلَةٌ: وَمَذْهَبُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَالْجُمْهُورِ أَنَّ الْجَمَاعَةَ يُقْتَلُونَ بِالْوَاحِدِ

Oوأيضا فليس من العدل أن يقتل ولي الله بعدوه، والعبد بالعبد، ذكرا كان أو أنثى، تساوت قيمتهما أو اختلفت،

Oودل بمفهومها على أن الحر، لا يقتل بالعبد، لكونه غير مساو له، والأنثى بالأنثى، أخذ بمفهومها بعض أهل العلم فلم يجز قتل الرجل بالمرأة، وتقدم وجه ذلك.

وفي هذه الآية دليل على أن الأصل :-

1-وجـــــوب القود(Ò) في القتل،

2-و أن الـــــدية بدل عنه، فلهذا قال:

(فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ)

أي: عفا ولي المقتول عن القاتل إلى الدية، أو عفا بعض الأولياء، فإنه يسقط القصاص، وتجب الدية،

وتكون الخيـــــرة في القـــــود واختيـــــار الدية إلى الولي.

فإذا عفا عنه وجب على الولي، أي: ولي المقتول أن يتبع القاتل

(فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ)

(الصحيفة) الورقة المكتوبة وكانت معلقة بسيفه.

(العقل) الدية.

(فكاك الأسير) ما يخلص به من الأسر

معجم اللغة العربية المعاصرة :قَوَد [مفرد]: قِصاصٌ وقتل القاتل بدل القتيل "طلب القَوَدَ من القاتل- لم يعد القَوَد من مهمّات أقارب القتيل بل هو أمرٌ يحكم به القضاء".

من غير أن يشق عليه، ولا يحمله ما لا يطيق،

بل يحسن الاقتضاء والطلب، ولا يحرجه.

***فَعَلَى الطَّالِبِ اتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ إِذَا قَبِل الدِّيَةَ

وعلى القاتل (وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ)

من غير مطـــــل ولا نقـــــص، و لا إســـــاءة فعليـــــة أو قـــــولية،

فهل جزاء الإحسان إليه بالعفو، إلا الإحسان بحسن القضاء،

وهذا مأمور به في كل ما ثبت في ذمم الناس للإنسان،

مأمور من له الحق بالاتباع بالمعروف، ومن عليه الحق، بالأداء بإحسان .

(ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ)

*** إِنَّمَا شَرَعَ لَكُمْ أَخْذَ الدِّيَةِ فِي الْعَمْدِ تَخْفِيفًا مِنَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةً بِكُمْ، مِمَّا كَانَ مَحْتُومًا عَلَى الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْقَتْلِ أَوِ الْعَفْوِ،

***رَحِمَ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَأَطْعَمَهُمُ الدِّيَةَ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلَهُمْ،

✡فَكَانَ أَهْلُ التَّوْرَاةِ إِنَّمَا هُوَ الْقِصَاصُ وَعَفْوٌ لَيْسَ بَيْنَهُمْ أَرْشٌ

✡وَكَانَ أَهْلُ الْإِنْجِيلِ إِنَّمَا هُوَ عَفْوٌ أُمِرُوا بِهِ،

وَجَعَلَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ الْقِصَاصَ وَالْعَفْوَ وَالْأَرْشَ.

وفي قوله:

(فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ)

ترقيق وحث على العفو إلى الدية، وأحسن من ذلك العفو مجانا.

وفي قوله: (أَخِيـــــــــــــــــهِ)

دليل على أن القاتل لا يكفر، لأن المراد بالأخوة هنا أخوة الإيمان،
فلم يخرج بالقتل منها،
ومن باب أولى أن سائر المعاصي التي هي دون الكفر، لا يكفر بها فاعلها،
وإنما ينقص بذلك إيمانه.
وإذا عفا أولياء المقتول، أو عفا بعضهم، احتقن دم القاتل،
وصار معصوما منهم ومن غيرهم، ولهذا قال:

(فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ)

***فَمَنْ قَتَلَ بَعْدَ أَخْذِ الدِّيَةِ أَوْ قَبُولِهَا
أي: بعد العفو

(فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

أي: في الآخرة، وأما قتله وعدمه، فيؤخذ مما تقدم، لأنه قتل مكافئا له،
فيجب قتله بذلك.

وأما من فسر العذاب الأليم بالقتل:-

1-فإن الآية تدل على أنه يتعين قتله،
2-ولا يجـــــوز العفـــــو عنه،

وبذلك قال بعض العلماء والصحيح الأول،
((لأن جنايته لا تزيد على جناية غيره)).
ثم بين تعالى حكمته العظيمة في مشروعية القصاص فقال:

(وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ)

1- تنـــــحقن بذلك الدماء،

2- وتنقمــــــع به الأشقياء،

لأن من عرف أنه مقتول إذا قتل، لا يكاد يصدر منه القتل،

وإذا رئي القاتل مقتولا انذعر بذلك غيره وانزجر،

فلو كانت عقوبة القاتل غير القتل، لم يحصل انكفاف الشر،

الذي يحصل بالقتل، وهكذا سائر الحدود الشرعية، فيها من النكاية والانزجار،

ما يدل على حكمة الحكيم الغفار،

ونكَّر « الحياة » لإفادة التعظيــــــم والتكثيــــــر.

ولما كان هذا الحكم، لا يعرف حقيقته،

((إلا أهل العقول الكاملة والألباب الثقيلة)) خصهم بالخطاب دون غيرهم،

وهذا يدل على أن الله تعالى،

يحب من عباده، أن يُعملوا أفكارهم وعقولهم، في تدبر:-

1-ما في أحكـــــــامه من الحكم،

2- والمصالح الدالة على كماله، وكمال حكمته وحمده، وعدله ورحمته الواسعة

(يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ)

وأن من كان بهذه المثابة فقد استحق المدح بأنه من ذوي الألباب

الذين وجه إليهم الخطاب، وناداهم رب الأرباب،

وكفى بذلك فضلا وشرفا لقوم يعقلون.

وقوله: (لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ)

وذلك أن من عرف ربه وعرف ما في دينه وشرعه من الأسرار العظيمة والحكم البديعة والآيات الرفيعة، أوجب له ذلك أن :-

1-ينقـــــاد لأمر الله،

2- ويعظـــــم معاصيه فيتركها، فيستحق بذلك أن يكون من المتقين.

***التقوي:اسم جامع لفعل الطـــــــاعات و ترك المنـــــــــكرات

كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾

فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿١٨١﴾

(كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ)

أي: فرض الله عليكم، يا معشر المؤمنين

(إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ)

أسبابه، كالمرض المشرف على الهلاك، وحضور أسباب المهالك،

(إِن تَرَكَ خَيۡرًا)

أي: مالا وهو المال الكثير عرفا،

(ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ)

فعليه أن يوصي لوالديه وأقرب الناس إليه بالمعروف،

على قدر حاله من غير سرف،

ولا اقتصار على الأبعد، دون الأقرب،

بل يرتبهم على القرب والحاجة، ولهذا أتى فيه بأفعل التفضيل.

***صحيح البخاري

3936 - عَنْ عَامِرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ:

عَادَنِي النَّبِيُّ ﷺعَامَ حَجَّةِ الوَدَاعِ مِنْ مَرَضٍ أَشْفَيْتُ مِنْهُ عَلَى المَوْتِ،
فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلَغَ بِي مِنَ الوَجَعِ مَا تَرَى، وَأَنَا ذُو مَالٍ،
وَلاَ يَرِثُنِي إِلَّا ابْنَةٌ لِي وَاحِدَةٌ، أَفَأَتَصَدَّقُ بِثُلُثَيْ مَالِي؟
قَالَ: «لاَ»، قَالَ: فَأَتَصَدَّقُ بِشَطْرِهِ؟
قَالَ: «الثُّلُثُ يَا سَعْدُ، وَالثُّلُثُ كَثِيرٌ،
إِنَّكَ أَنْ تَذَرَ ذُرِّيَّتَكَ أَغْنِيَاءَ، خَيْرٌ مِنْ أَنْ تَذَرَهُمْ عَالَةً يَتَكَفَّفُونَ النَّاسَ
وَلَسْتَ بِنَافِقٍ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ،
إِلَّا آجَرَكَ اللَّهُ بِهَا حَتَّى اللُّقْمَةَ تَجْعَلُهَا فِي فِي امْرَأَتِكَ»( )

(حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ)

دل على وجوب ذلك، لأن الحق هو: الثابت،

(أشفيت منه) أشرفت من الوجع منه.

(ذو مال) صاحب مال كثير.

(ورثتك) وفي رواية (ذريتك).

و قد جعله الله من موجبات التقوى.

✡واعلم أن جمهور المفسرين يرون أن هذه الآية منسوخة بآية المواريث،

✡وبعضهم يرى أنها في الوالدين والأقربين غير الوارثين،

مع أنه لم يدل على التخصيص بذلك دليل،

و الأحســــــن في هذا أن يقال:

❍إن هذه الوصية للوالدين والأقربين مجملة، ردها الله تعالى إلى العرف الجاري.

❍ثم إن الله تعالى قدر للوالدين الوارثين وغيرهما من الأقارب الوارثين هذا المعروف في آيات المواريث،

بعد أن كان مجملا

وبقي الحكم فيمن لم يرثوا من الوالدين الممنوعين من الإرث وغيرهما ممن حجب بشخص أو وصف

فإن الإنسان مأمور بالوصية لهؤلاء وهم أحق الناس ببره،

وهذا القول تتفق عليه الأمة، ويحصل به الجمع بين القولين المتقدمين،

لأن كلا من القائلين بهما كل منهم لحظ ملحظا، واختلف المورد.

فبهذا الجمع، يحصل الاتفاق، والجمع بين الآيات،

لأنه مهما أمكن الجمع كان أحسن من ادعاء النسخ،

الذي لم يدل عليه دليل صحيح.

*** بَقِيَ الْأَقَارِبُ الَّذِينَ لَا مِيرَاثَ لَهُمْ، يُسْتَحَبُّ لَهُ أَنْ يُوصَى لَهُمْ مِنَ الثُّلُثِ، اسْتِئْنَاسًا بِآيَةِ الْوَصِيَّةِ وَشُمُولِهَا
وَالْآيَاتُ وَالْأَحَادِيثُ بِالْأَمْرِ بِبِرِّ الْأَقَارِبِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، كَثِيرَةٌ جِدًّا.

ولما كان الموصي قد يمتنع من الوصية، لما يتوهمه أن من بعده،

قد يبدل ما وصى به قال تعالى:

(فَمَنۢ بَدَّلَهُۥ)

أي: الإيصاء للمذكورين أو غيرهم

***فَمَنْ بَدَّلَ الْوَصِيَّةَ وَحَرَّفَهَا، فَغَيَّرَ حُكْمَهَا وَزَادَ فِيهَا أَوْ نَقَصَ - وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ الْكِتْمَانُ لَهَا بِطَرِيقِ الْأَوْلَى

(بَعۡدَ مَا سَمِعَهُۥ)

أي: بعدما عقله، وعرف طرقه وتنفيذه،

(فَإِنَّمَآ إِثۡمُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُۥٓۚ)

وإلا فالموصي وقع أجره على الله، وإنما الإثم على المبدل المغير.

(إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ)

يسمع سائر الأصوات، ومنه سماعه لمقالة الموصي ووصيته،

فينبغي له أن يراقب من يسمعه ويراه، وأن لا يجور في وصيته،

(عَلِيمٌ) بنيتـــــه، وعليم بعمل الموصى إليه،

فإذا اجتهد الموصي، وعلم الله من نيته ذلك، أثابه و لو أخطأ،

وفيه التحذير للموصى إليه من التبديل،

فإن الله عليم به، مطلع على ما فعله، فليحذر من الله،

هذا حكم الوصية العادلة.

فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ
رَّحِيمٞ ﴿١٨٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ
مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ
عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ
فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١٨٤﴾
شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ
ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ
عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ
ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ
تَشۡكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ
إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ
رَّحِيمٞ ﴿١٨٢﴾

***اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ عَلَى الْأَمْرِ بِالْوَصِيَّةِ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ.
وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ وَاجِبًا -عَلَى أَصَحِّ الْقَوْلَيْنِ -قَبْلَ نُزُولِ آيَةِ الْمَوَارِيثِ،
فَلَمَّا نزَلَتْ آيَةُ الْفَرَائِضِ نَسَخَتْ هَذِهِ،
وَصَارَتِ الْمَوَارِيثُ الْمُقَدَّرَةُ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ،
يَأْخُذُهَا أَهْلُوهَا حَتْمًا مِنْ غَيْرِ وَصِيَّةٍ وَلَا تَحْمِلُ منَّة الْمُوصِي،
وَلِهَذَا جَاءَ الْحَدِيثُ فِي السُّنَنِ وَغَيْرِهَا
سنن الترمذي ت شاكر

2121 - عَنْ عَمْرِو بْنِ خَارِجَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَطَبَ عَلَى نَاقَتِهِ
وَأَنَا تَحْتَ جِرَانِهَا وَهِيَ تَقْصَعُ بِجِرَّتِهَا،
وَإِنَّ لُعَابَهَا يَسِيلُ بَيْنَ كَتِفَيَّ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ
«إِنَّ اللَّهَ أَعْطَى كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، وَلَا وَصِيَّةَ لِوَارِثٍ
***وَهَذَا يَشْمَلُ أَنْوَاعَ الْخَطَأِ كُلَّهَا، بِأَنْ زَادَ وَارِثًا بِوَاسِطَةٍ أَوْ وَسِيلَةٍ،
كَمَا إِذَا أَوْصَى بِبَيْعِهِ الشيءَ الفُلانيّ مُحَابَاةً،
أَوْ أَوْصَى لِابْنِ ابْنَتِهِ لِيَزِيدَهَا،
أَوْ نَحْوَ ذَلِكَ مِنَ الْوَسَائِلِ، إِمَّا مُخْطِئًا غَيْرَ عَامِدٍ،
بَلْ بِطَبْعِهِ وَقُوَّةِ شَفَقَتِهِ مِنْ غَيْرِ تَبَصُّرٍ، أَوْ مُتَعَمِّدًا آثِمًا فِي ذَلِكَ،
فَلِلْوَصِيِّ -وَالْحَالَةُ هَذِهِ -أَنْ يُصْلِحَ الْقَضِيَّةَ
ويعدلَ فِي الْوَصِيَّةِ عَلَى الْوَجْهِ الشَّرْعِيِّ.
وَيَعْدِلَ عَنِ الذي أَوْصَى بِهِ الْمَيِّتُ إِلَى مَا هُوَ أَقْرَبُ الْأَشْيَاءِ إِلَيْهِ
وَأَشْبَهُ الْأُمُورِ بِهِ جَمْعًا بَيْنَ مقصود الموصي وَالطَّرِيقِ الشَّرْعِيِّ.
وَهَذَا الْإِصْلَاحُ وَالتَّوْفِيقُ لَيْسَ مِنَ التَّبْدِيلِ فِي شَيْءٍ.
وَلِهَذَا عَطَفَ هَذَا -فَبَيَّنَهُ -عَلَى النَّهْيِ لِذَلِكَ،
لِيُعْلَمَ أَنَّ هَذَا لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ بِسَبِيلٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(فَمَنۡ خَافَ مِن مُّوصٖ جَنَفًا أَوۡ إِثۡمٗا فَأَصۡلَحَ بَيۡنَهُمۡ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۚ)

وأما الوصية التي فيها حيـــــف و جنـــــف، و إثـــــم،

فينبغي لمن حضر الموصي وقت الوصية بها،

1- أن ينصحه بما هو الأحســــن والأعــــدل،

2- وأن ينــــهاه عن الجــــور

و الجــــنف:-

وهو: الميــــل بها عن خطــــأ، من غير تعمد،

و الإثـــــم: وهو التعمـــــد لـــــذلك.

فإن لم يفعل ذلك، فينبغي له أن يصلح بين الموصى إليهم،

ويتوصل إلى العدل بينهم على وجه التراضي والمصالحة،

ووعظهم بتبرئة ذمة ميتهم فهذا قد فعل معروفا عظيما،

وليس عليهم إثم، كما على مبدل الوصية الجائزة، ولهذا قال:

(إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ)

أي: يغفر جميع الزلات، ويصفح عن التبعات لمن تاب إليه،

ومنه مغـــــفرته لمن غض من نفسه،

وترك بعض حقه لأخيه،

لأن من سامح، سامحه الله، غفور لميتهم الجائر في وصيته،

إذا احتسبوا بمسامحة بعضهم بعضا لأجل براءة ذمته،

(رَّحِيمٌ)

بعباده، حيث شرع لهم كل أمر به يتراحمون ويتعاطفون،

فدلت هذه الآيـــــات على:-

1- الحـــــث على الوصية،

2-وعلى بيـــــان من هي له،

3- وعلى وعيـــــد المبدل للوصية العادلة،

4- والـــــترغيب في الإصلاح في الوصية الجائرة.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣ أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۚ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيۡرٗا فَهُوَ خَيۡرٞ لَّهُۥۚ وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٤

شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ هُدٗى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ

وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٖ فَعِدَّةٞ مِّنۡ أَيَّامٍ أُخَرَۗ

يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلۡيُسۡرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلۡعُسۡرَ وَلِتُكۡمِلُواْ ٱلۡعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُواْ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمۡ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ١٨٥

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ

***صحيح البخاري

1905 -عَنْ عَلْقَمَةَ، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي، مَعَ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَالَ:

كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ:

«مَنِ اسْتَطَاعَ البَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ، فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ، وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ،

وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ، فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ»( )

يخبر تعالى بما منَّ به على عباده، بأنه فرض عليهم الصيام،

كما فرضه على الأمـــــم الســـــابقة،

لأنه من الشرائع والأوامر التي هي مصلحة للخلق في كل زمان.

وفيه تنشيط لهذه الأمة، بأنه ينبغي لكم أن تنافسوا غيركم في تكميل الأعمال،

والمسارعة إلى صالح الخصال،

وأنه ليس من الأمور الثقيلة، التي اختصيتم بها.

ثم ذكر تعالى حكمته في مشروعية الصيام فقال:

(لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ)

(العزوبة) العزب من لا زوج له والعزبة من لا زوج لها أي خاف أن يقع في الزنا لعدم الزواج وبعده عنه.

(الباءة) هي في اللغة الجماع والتقدير من استطاع منكم الجماع لقدرته على مؤن النكاح وقيل المراد بالباءة هنا مؤن الزواج.

(أغض للبصر) أدعى إلى غض البصر.

(أحصن للفرج) أدعى إلى إحصان الفرج أي حفظه من الزنا.

(وجاء) قاطع للشهوة]

فإن الصيام من أكبر أسباب التقوى،

لأن فيه امتثال أمر الله واجتناب نهيه.

فمما اشتمل عليه من التقوى:-

1- أن الصائم يترك ما حرم الله عليه من الأكل والشرب والجماع ونحوها، التي تميل إليها نفسه، متقربا بذلك إلى الله، راجيـــــا بتركها، ثوابه،

فهذا من التقوى.

2- أن الصائم يدرب نفسه على مراقبة الله تعالى، فيترك ما تهوى نفسه، مع قدرته عليه، لعلمه باطلاع الله عليه،

3- أن الصيام يُضيق مجاري الشيطان، فإنه يجري من ابن آدم مجرى الدم، فبالصيام، يضعف نفوذه، وتقل منه المعاصي،

4-أن الصائم في الغالب، تكثر طاعته، والطاعات من خصال التقوى

5-أن الغني إذا ذاق ألم الجوع، أوجب له ذلك، مواساة الفقراء المعدمين، وهذا من ((خصـــــال التقـــــوى)).

ولما ذكر أنه فرض عليهم الصيام، أخبر أنه

(أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ)

أي: قليـــــلة في غاية السهولة.

ثم سهل تسهيلا آخر. فقال:

(فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ)

وذلك للمشقة، في الغالب، رخص الله لهما، في الفطر.

ولما كان لا بد من حصول مصلحة الصيام لكل مؤمن،

أمرهما أن يقضياه في أيام أخر إذا زال المرض، وانقضى السفر، وحصلت الراحة. و في قوله:

(فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)

فيه دليل على أنه يقضي عدد أيام رمضان، كاملا كان، أو ناقصا،

وعلى أنه يجوز أن يقضي أياما قصيرة باردة، عن أيام طويلة حارة كالعكس.

وقوله: (وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ)

أي: يطيقون الصيام

(فِدْيَةٌ)

عن كل يوم يفطرونه

(طَعَامُ مِسْكِينٍ)

وهذا في ابتداء فرض الصيام، لما كانوا غير معتادين للصيام،

وكان فرضه حتما، فيه مشقة عليهم، درجهم الرب الحكيم، بأسهل طريق،

وخيَّر المطيق للصوم بين أن يصوم، وهو أفضل، أو يطعم،

(فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ)

*** أيسر التفاسير:زاد على المُدّين([1]) أو أطعم أكثر من مسكين فهو خير له.**

ولهذا قال:

(وَأَن تَصُومُواْ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ) .

ثم بعد ذلك، جعل الصيام حتما على المطيق وغير المطيق، يفطر ويقضيه في أيام أخر وقيل:

(وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ)

أي: يتكلفونه، و يشق عليهم مشقة غير محتملة، كالشيخ الكبير، فدية عن كل يوم مسكين و هذا هو الصحيح .

(إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ)

(شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ)

أي: الصوم المفروض عليكم، هو شهر رمضان، الشهر العظيم، الذي قد حصل لكم فيه من الله الفضل العظيم، وهو القرآن الكريم،

*****كقوله**﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ﴾القدر: ١

﴿ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾الدخان: ٣

(هُدٗى لِّلنَّاسِ)

---

[1] هل الواجب مد أو مدان خلاف، فمن الفقهاء من يرى مدين، ومنهم من يرى مداً واحداً، والمد: الحفنة بحفنة الرجل المعتدل بين القصر والطول.

***هدي لقلوب العباد ممن آمن به و صدقه

(وَبَيِّنَٰتٖ مِّنَ ٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡفُرۡقَانِۚ)

-المشتمل على الهداية لمصالحكم الدينيـــــة و الدنيـــــوية،

و تبييــــــن الحق بأوضح بيـــــان،

و الفـــــرقان بين الحـــــق و الباطـــــل،

و الهــــــدى و الضـــــلال،

و أهل السعـــــادة و أهل الشقـــــاوة.

***وَدَلَائِلُ وحُجَج بَيِّنَةٌ وَاضِحَةٌ جَلِيَّةٌ لِمَنْ فَهِمَهَا وتدبَّرها دَالَّةٌ عَلَى صِحَّةِ مَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْهُدَى الْمُنَافِي لِلضَّلَالِ،

وَ الرُّشْـــــــــــدِ الْمُخَالَفِ لِلْغَـــــــــــيِّ،

وَ مُفَرِّقًا بَيْنَ الْحَـــــــــــلَالِ، وَ الْحَـــــــــــرَامِ.

-فحقيق بشهر، هذا فضله، وهذا إحسان الله عليكم فيه،

أن يكون موسما للعباد مفروضا فيه الصيام.

فلما قرره، وبين فضيلته، و حكمة الله تعالى في تخصيصه قال:

(فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ)

***ونَسَخت هَذِهِ الْآيَةُ الْإِبَاحَةَ الْمُتَقَدِّمَةَ لِمَنْ كَانَ صَحِيحًا مُقِيمًا أَنْ يُفْطِرَ وَيَفْدِيَ بِإِطْعَامِ مِسْكِينٍ عَنْ كُلِّ يَوْمٍ، كَمَا تَقَدَّمَ بَيَانُهُ

-هذا فيه تعيين الصيام على القادر الصحيح الحاضر.

(وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ)

ولما كان النسخ للتخيير، بين الصيـــــام والفــــداء خاصة،

أعاد الرخصة((للمريض))و ((المسافر)) لئلا يتوهم أن الرخصة أيضا منسوخة

***مع تحتمه في حق المقيم الصحيح تيسيرا عليكم و رحمة بكم

فقال (يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ)

أي: يريد الله تعالى أن ييسر عليكم الطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم تيسير،

ويسهــــــلها أشـــــد تسهيـــــل،

و لهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله.

و إذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقـــــله، سهَّله تسهيلا آخر،

إما بإسقـــــاطه، أو تخفيفــــــه بأنواع التخفيفات.

و هذه جملة لا يمكن تفصيلها، لأن تفاصيلها، جميع الشرعيات،

ويدخل فيها جميع الرخــــص والتخفيـــــفات.

(وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ)

وهذا – والله أعلم – لئلا يتوهم متوهم،

أن صيام رمضان، يحصل المقصود منه ببعضه،

دفع هذا الوهم بالأمر بتكميل عدته،

ويشكر الله تعالى عند إتمامه على توفيقه وتسهيله وتبيينه لعباده،

(وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ)

و بالتكبير عند انقضائه،

و يدخل في ذلك التكبير عند رؤية هلال شوال إلى فراغ خطبة العيد.

***كقوله﴿ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ﴾البقرة: ٢٠٠

***﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾الجمعة: ١٠

***وَلِهَذَا جَاءَتِ السُّنَّةُ بِاسْتِحْبَابِ التَّسْبِيحِ، وَالتَّحْمِيدِ وَالتَّكْبِيرِ بَعْدَ الصَّلَوَاتِ الْمَكْتُوبَاتِ.

***صحيح البخاري

842 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

«كُنْتُ أَعْرِفُ انْقِضَاءَ صَلاَةِ النَّبِيِّ ﷺبِالتَّكْبِيرِ»

(وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

*** إِذَا قُمْتُمْ بِمَا أَمَرَكُمُ اللَّهُ مِنْ طَاعَتِهِ بِأَدَاءِ فَرَائِضِهِ، وَتَرْكِ مَحَارِمِهِ، وَحِفْظِ حُدُودِهِ، فَلَعَلَّكُمْ أَنْ تَكُونُوا مِنَ الشَّاكِرِينَ بِذَلِكَ.

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ

فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ

*** صحيح مسلم

(2704) عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ:

كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺفِي سَفَرٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَجْهَرُونَ بِالتَّكْبِيرِ،
فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:
«أَيُّهَا النَّاسُ ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا،
إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ»
قَالَ وَأَنَا خَلْفَهُ، وَأَنَا أَقُولُ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ،
فَقَالَ يَا عَبْدَ اللهِ بْنَ قَيْسٍ: أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى كَنْزٍ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ،
فَقُلْتُ: بَلَى، يَا رَسُولَ اللهِ قَالَ: " قُلْ: لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ "( )

*** صحيح مسلم

(2675) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
" إِنَّ اللهَ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي "

*** مشكاة المصابيح

2259 عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:
" مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِثْــــمٌ وَلَا قَطِيعَةُ رَحِــــمٍ
إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ:
1-إِمَّا أَنْ يُعَجِّلَ لَهُ دَعْوَتَهُ
2-وَ إِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ
3-وَ إِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عنهُ من السُّوءِ مثلَها "
قَالُوا: إِذَنْ نُكثِرُ قَالَ: «اللهُ أَكثر» . رَوَاهُ أَحْمد –

(اربعوا) معناه ارفقوا بأنفسكم واخفضوا أصواتكم
فإن رفع الصوت إنما يفعله الإنسان لبعد من يخاطبه ليسمعه
وأنتم تدعون الله تعالى وليس هو بأصم ولا غائب بل هو سميع قريب

*** صحيح البخاري

6340 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:

" يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي ( )

***وَفِي ذِكْرِهِ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ الْبَاعِثَةَ عَلَى الدُّعَاءِ، مُتَخَلِّلَةً بَيْنَ أَحْكَامِ الصِّيَامِ، إِرْشَادٌ إِلَى الِاجْتِهَادِ فِي الدُّعَاءِ عِنْدَ إِكْمَالِ العِدّة، بَلْ وعندَ كُلِّ فِطْرٍ، كَمَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ فِي مُسْنَدِهِ:

***مسند أبي داود الطيالسي

2376 - ، عن عبد الله بن عمرو قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:

«لِلصَّائِمِ عِنْدَ إِفْطَارِهِ دَعْــــــــــــوَةٌ مُسْتَجَــــــــــــابَةٌ»

فَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو إِذَا أَفْطَرَ دَعَا أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ وَدَعَا

–هذا جواب سؤال، سأل النبي ﷺبعض أصحابه فقالوا:

يا رسول الله، أقريب ربنا فنناجيه، أم بعيد فننـــــاديه؟ فنزل:

(وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ)

لأنه تعالى، الرقيب الشهيد، المطلع على السر وأخفى،

يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، فهو قريب أيضا من داعيه، بالإجابة،

ولهذا قال:

(أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ)

– و الـــــدعاء نوعان:–

(يستجاب لأحدكم) يجاب دعاؤه.

(ما لم يعجل) يسأم ويترك الدعاء أو يستبطئ الإجابة

1- دعاء عبـــــادة

2-و دعاء مســـــألة.

-و القــــرب نوعان:-

1- قرب بعلـــــمه من كل خلقه،

2-وقرب من عـــــابديه وداعيه((بالإجـــــابة و المعـــونة والتـــــوفيق))

-فمن دعا ربه بقلب حاضر، ودعاء مشروع، ولم يمنع مانع من إجابة الدعاء، كأكل الحرام ونحوه، فإن الله قد وعده بالإجابة،

(فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي)

وخصوصـــــا إذا أتى بأســـــباب إجـــــابة الدعـــــاء،

وهي الاستجــــــابة لله تعالى :-

1-بالانقياد لأوامـــــره ونـــــواهيه((القـــــولية والفعـــــلية))

2-والإيمـــــان به، الموجب للاستجـــــابة، فلهذا قال:

(لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ)

أي: يحصل لهم الرشد الذي هو الهداية للإيمان والأعمال الصالحة،

ويزول عنهم الغي المنافي للإيمان والأعمال الصالحة.

ولأن الإيمان بالله والاستجابة لأمره، سبب لحصول العلم كما قال تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا ﴾الأنفال: ٢٩

من أوجه الإعجاز العلمي في الصيام

د. عبد الجواد الصاوي

يعتقد كثير من الناس أن للصيام تأثيراً سلبياً على صحتهم،
وينظرون إلى أجسامهم نظرتهم إلى الآلة الصماء، التي لا تعمل إلا بالوقود، وقد اصطلحوا على أن تناول ثلاث وجبات يومياً،أمر ضروري لحفظ حياتهم، وأن ترك وجبة طعام واحدة سيكون لها من الأضرار والأخطار الشيء الكثير كنتيجة طبيعية للجهل العلمي، بطبيعة الصيام الإسلامي وفوائده المحققة
وفي هذه المقالة سنلقي الضوء على أوجه الإعجاز العلمي في الصيام.

☼الوجه الأول: الوقاية من العلل والأمراض:

أخبر الله سبحانه وتعالى أنه فرض علينا الصيام وعلى كل أهل الملل قبلنا، لنكتسب به التقوى الإيمانية التي تحجزنا عن المعاصي والآثام، ولنتوقى به كثيراً من الأمراض والعلل الجسمية والنفسية،

قال تعالى:

{ يا أيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون }[البقرة 183]

*****صحيح مسلم**

1151عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ:

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الصِّيَامُ جُنَّةٌ»( )

وقد ثبت من خلال الأبحاث الطبية بعض الفوائد الوقائية للصيام ضد كثير من الأمراض والعلل الجسمية والنفسية، منها على سبيل المثال لا الحصر:

(الصيام جنة) معناه سترة ومانع من الرفث والأثام ومانع أيضا من النار ومنه المجن وهو الترس ومنه الجن لاستتارهم]

1- يقوي الصيام جهاز المناعة:-

فيقي الجسم من أمراض كثيرة، حيث يتحسن المؤشر الوظيفي للخلايا اللمفاوية عشرة أضعاف،

كما تزداد نسبة الخلايا المسئولة عن المناعة النوعية (T.lymphocytes) زيادة كبيرة، كما ترتفع بعض أنواع الأجسام المضادة في الجسم،

وتنشط الردود المناعية نتيجة لزيادة البروتين الدهني منخفض الكثافة( )

2- الوقاية من مرض السمنة وأخطارها:-

حيث إنه من المعتقد أن السمنة كما قد تنتج عن خلل في تمثيل الغذاء،

فقد تتسبب عن ضغوط بيئية أو نفسية أو اجتماعية،

وقد تتضافر هذه العوامل جميعاً في حدوثها،

وقد يؤدي الاضطراب النفسي إلى خلل في التمثيل الغذائي،

وكل هذه العوامل التي يمكن أن تنجم عنها السمنة،

يمكن الوقاية منها بالصوم من خلال الاستقرار النفسي والعقلي الذي يتحقق بالصوم نتيجة الجو الإيماني الذي يحيط بالصائم،

وكثرة العبادة والذكر، وقراءة القرآن، والبعد عن الانفعال والتوتر،

وضبط النوازع والرغبات، وتوجيه الطاقات النفسية والجسمية توجيهاً إيجابياً نافعاً.

3- يقي الصيام الجسم من تكون حصيات الكلى:-

إذ يرفع معدل الصوديوم في الدم فيمنع تبلور أملاح الكالسيوم،

كما أن زيادة مادة البولينا في البول، تساعد في عدم ترسب أملاح البول، التي تكون حصيات المسالك البولية( )

Riyad Albiby and Ahmed Elkadi, A Priliminary Report on effects of Islamic fasting on -2)
.(lipoproteins and immunity. the joumal of JMA vol 17. 188, page 84

4-يقي الصيام الجسم من أخطار السموم المتراكمة في خلاياه، وبين أنسجته، من جراء تناول الأطعمة، وبين أنسجته، من جراء تناول الأطعمة، وخصوصاً المحفوظة والمصنعة منها وتناول الأدوية واستنشاق الهواء الملوث بهذه السموم ( )

5- يخفف الصيام ويهدئ ثورة الغريزة الجنسية، وخصوصاً عند الشباب، وبذلك يقي الجسم من الإضرابات النفسية والجمسية،

والانحرافات السلوكية، وذلك تحقيقاً للإعجاز في حديث النبي ﷺ" يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء" إذا التزم الشاب الصيام وأكثر منه

وذلك لقوله النبي ﷺ" فعليه بالصوم " أي فليكثر من الصوم المتواصل ( )

- وقد وُجد أن الإكثار من الصوم مع الاعتدال في الطعام والشراب، وبذل الجهد المعتاد ((الذي))يقترب من الصيام المتواصل، ويجني الشاب فائدته في تثبيط غرائزه المتأججه بيسر، كما لا يتعرض إلى أخطار هذا النوع من الصيام.

وهذا البحث يجلي بوضوح الإعجاز في قول النبي ﷺ"

<u>*فإنه له وجاء" من وجهين:</u>

<u>الأول:</u>

الإشارة إلى أن الخصيتين هما مكان إنتاج عوامل الإثارة الجنسية، حيث أن معنى الوجاء( ) أن ترض أنثيا الفحل (خصيتاه) رضاً شديداً،

(د. فاهم عبد الرحيم وآخرون. تاثير الصيام الإسلامي على مرضى الكلى والمسالك البولية، نشرة الطب الإسلامي، العدد الرابع - أعمال وأبحاث المؤتمر العالمي الرابع عن الطب الإسلامي - منظمة الطب الإسلامي، الكويت،1407هـ - 1986، ص707-714).

(الصيام معجزة علمية. د. عبد الجواد الصاوي ص1223، 144 - 1413هـ - 1992م ط 1 دار القبلة).

K. Inesh, Beitins, Thomas, Badger et al (1981) Reproductive Function during Faasting -Men.J. of clin) (endocrin and Metabol. 53: 258 - 266

يذهب شهوة الجماع، ويتنزل في قطعة منزلة الخَصْي

وقد ثبت أن في الخصيتين خلايا متخصصة في إنتاج هرمون التيستوستيرون (Testosterone) وهو الهرمون المحرك و المثير للرغبة الجنسية،

وأن قطع الخصيتين (الخَصْي) يذهب هذه الرغبة، ويخمدها تماماً.

<u>الثـــــــــاني:</u>

إن الإكثار من الصوم مثبط للرغبة الجنسية وكابح لها،

وقد ثبت في هذا البحث هبوط مستوى هرمون الذكورة (التيستوستيرون)، هبوطاً كبيراً أثناء الصيام المتواصل،

بل وبعد إعادة التغذية بثلاثة أيام، ثم ارتفع ارتفاعاً كبيراً بعد ذلك،

وهذا يؤكد أن الصيام له القدرة على كبح الرغبة الجنسية مع تحسينها بعد ذلك،

وهذا يؤكد فائدة الصوم في زيادة الخصوبة عند الرجل بعد الإفطار.

فالصيام يقوي جهاز المناعة ويقي الجسم من تكون حصيات الكلى.

☼<u>الوجه الثاني: { وأن تصوموا خير لكم }</u>

بعد أن أخبرنا الله سبحانه وتعالى، وأخبرنا رسوله ﷺأن الصيام يحقق لنا وقاية من العلل الجسمية والنفسية،

ويشكل حاجزاً وستراً لنا من عقاب الله، أخبرنا جل في علاه أن في الصيام خيراً ليس للأصحاء المقيمين فقط،

بل أيضاً للمرضى والمسافرين، والذين يستطيعون الصوم بمشقة،

ككبار السن ومن في حكمهم،

لسان العرب :ووَجَأَ التَّيْسَ وَجْأً ووِجَاءً، فَهُوَ مَوْجُوءٌ ووَجِيءٌ :إِذَا دَقَّ عُروقَ خُصْيَتَيْه بَيْنَ حَجَرَيْنِ مِنْ غَيْرِ أَن يُخْرِجَهما.

{ أياماً معدودات فى من كان منكم مريضاً أو على سفر فعدة من أيام أخر وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خيراً فهو خير له وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون}

[البقرة: 184] أي فضيلة الصوم وفوائده ( )

وذلك لعموم اللفظ و وذالك فى قوله تعالى

{ وأن تصوموا خير لكم }

وقد تجلت هذه الفوائد واستقر خبرها في زماننا هذا،

لمن أوجب الله عليهم الصيام، ولمن أطاقوه من أهل الرخص،

الذين يستطيعون تناول وجبتي الفطور والسحور كالأصحاء.

<u>بعض الأمراض الخطرة التي كان يخشى عليها من الصيام:-</u>

*كان وما زال الأطباء يعتقدون أن الصيام يؤثر على مرضى المسالك البولية، وخصوصاً الذين يعانون من تكوين الحصيات،

أو الذين يعانون من تكوين الحصيات،

أو الذين يعانون من فضل كلوي فينصحون مرضاهم بالفطر وتناول كميات كبيرة من السوائل.

وقد ثبت خلاف ذلك، إذ ربما كان الصيام سبباً في عدم تكون بعض الحصيات، وإذابة بعض الأملاح،

ولم يؤثر الصيام مطلقاً حتى علي من يعانون أخطر الأمراض الجهاز البولي، وهو مرض الفشل الكلوي مع الغسيل المتكرر .

5- كان يعتقد أن الفقدان النسبي لسوائل الجسم، وانخفاض عدد ضربات القلب، وزيادة الإجهاد أثناء الصوم يؤثر تأثيراً سلبياً على التحكم في منع

(محاسن التأويل للقاسمي 87/2).

تجلط الدم، وهو من أخر الأمراض، وقد ثبت أن الصيام الإسلامي لا يؤثر على ذلك في المرضى الذين يتناولون الجرعات المحددة من العلاج ( )

* ثبت أن الصيام لا يشكل خطراً على معظم مرضى السكر، إن لم يكن يفيد الكثيرين منهم ( )

بعض الأمـــــــــــــراض التي يعالجها الصيام

يعالج الصيام عدداً من الأمراض الخطيرة أهمها:

أ- الأمراض الناتجة عن السمنة: كمرض تصلب الشرايين، وضغط الدم، وبعض أمراض القلب .

ب- يعالج بعض أمراض الدورة الدموية الطرفية مثل:

مرض الرينود (Raynaud's disease) ومرض برجر ( )

جـ- يعالج الصيام المتواصل الطبي مرض إلتهاب المفاصل المزمن الروماتويد ( )

د- يعالج الصيام الإسلامي ارتفاع حموضة المعدة، وبالتالي يساعد في التئام قرحة المعدة مع العلاج المناسب ( )

هـ- لا يسبب الصيام أي خطر على المرضعات، أو الحوامل، ولا يغير من التركيب الكيميائي، أو التبدلات الاستقلابية في الجسم عند المرضعات، وخلال الشهور الأولى والمتوسطة من الحمل( )

Jalal Saour, Does Ramadan fasting complicate anticoagulant therapy ? Fasting: its effcts on health and diseases basic) .(principles and clinical practice (Abstracts) college of Medicine King Saudi University. Riydh, December /1990. 5

Sulimami RA. Famuyiwa FO, Laagan MA. Diabetes mellitus and Ramadan fasting (1988): the need for critical appraisal.) .(.Diabetic Medicine 8:549-552

.(.S.M. Bakir (1991) Can fasting in Ramadan help in some periphral vascular diseases ? JIMA: VOL. 23: 163 - 164)

A N N. Mariuden. 1. Trang. N venizelos, and pamblad. (1983) Neutrophil functions and clinical performance after total) .(fasting in patients with rheumatis. Annals of rheumatic diseases. 42: 54 - 51

Muazzam MG., Ali M. N. and Husain A. (1963) Observations on the effects of Ramadan Fasting on Gasric acidity. The) .(.Meducus, 25:228

.(.Prentice, AM ; prentice, A, Lamb WH, Lunn PG: (1983) Austins, Hum Nutr clin Nutr 37 (4) 283 - 94).

فـــــــــــوائد أخرى تجنى بالصوم:

1-يمكن الصيام آليات الهضم والامتصاص في الجهاز الهضمي وملحقاته، من أداء وظائفها على أتم وأكمل وجه، وذلك بعدم إدخال الطعام والشراب على الوجبة الغذائية، أثناء هضمها وامتصاصها.

كما يتيح الصيام راحة فسيولوجية للجهاز الهضمي وملحقاته،

وذلك بمنع تناول الطعام والشراب لفترة زمنية، تتراوح من 9 - 11 ساعة بعد امتصاص الغذاء كما تستريح آليات الامتصاص في الأمعاء طوال هذه الفترة من الصيام .

وتتمكن الانقباضات الخاصة (Migrating Motor Complex)

بتنظيف الأمعاء، من عملها المستمر دون توقف( )

2- يمكن الصيام الغدد الصماء ذات العلاقة بعمليات الاستقلاب،

في فترة ما بعد الامتصاص، ومن أداء وظائفها، في تنظيم وإفراز هرموناتها الحيوية على أتم حال، وذلك بتنشيط آليات التثبيط والتنبيه لها يومياً، ولفترة دورية ثابتة، ومتغيرة طوال العام،

وبالتالي يحصل توازن بين الهرمونات المتضادة في العمل،

مثل هرموني: النمو والإنسولين، كهرمونات بناء من ناحية،

وهرموني: الجلوكاجون والكوريتزول، كهرمونات هدم من ناحية أخرى،

والذي يتوقف على توازنها الدقيق، تركيز الأحماض الأمينية في الدم، توازن الاستقلاب.

3-ينشط الصيام آليات الاستقلاب أو التمثيل الغذائي في البناء والهدم للجلوكوز والدهون، والبروتينات في الخلايا، لتقوم بوظائفها على أكمل وجه.

M.S. M. Ardawi 1993, " Concise Human Physiology" Blackwell Scientific Publication, & M.Y. Sukkar, H. A. El-Munshid) (Oxford, pp 175 - 181

4- أما إذا اقتصر الجسم على البناء فقط، وكان همه التخزين للغذاء في داخله، فإن آليات البناء تغلب آليات الهدم،
فيعتري الأخيرة - لعدم استعمالها بكامل طاقتها -، وهن تدريجي،
تظهر ملامحه عند تعرض الجسم لشدة مفاجئة، بانقطاع الطعام عنه في الصحة، أو المرض، فقد لا يستطيع هذا الإنسان مواصلة حياته، أو مقاومة مرضه .
5- يحسن الصيام خصوبة المرأة والرجل على السواء (   )
6- يستفيد الإنسان من العطش أثناء الصيام استفادة كبيرة، حيث يساعد في إمداد الجسم بالطاقة، وتحسين القدرة على التعلم، وتقوية الذاكرة .
7- تتهدم الخلايا المريضة والضعيفة في الجسم عندما يتغلب الهدم على البناء أثناء الصيام، وتتجدد الخلايا أثناء مرحلة البناء .
8-كذلك فإن أداء الصيام الإسلامي طاعة لله وخشوعاً له،
ورجاء فيما عنده سبحانه من الأجر والمثوبة،
لعمل ذو فائدة جمة لنفس الإنسان وجسمه،
حيث يبث في النفس السكينة والطمأنينة،
وينعكس هذا بدوره على آليات الاستقلاب
فيجعلها تتم في أوفق وأيسر وأنفع السبل،
مما يعود بالنفع والفائدة على الجسم
إن الصيام كاقتناع فكري وممارسة عملية، يقوي لدى الإنسان كثيراً من جوانبه النفسية، فيقوي لديه:-
الصبر، والجلد، وقوة الإرادة، وضبط النوازع والرغبات،

Husan Nastrat and Mansour Suliman, Effect of Ramadan fasting on plasma progeserone and prolactin. Islamic) the Current Medical problms 2-3 Fib 987 Cairo - Egypt)) S.M.A. Abbas & international conferance on Islamic legalation .(and A. H. Basalamah Effects of Ramadan Fast on Male Fertility (1986) , Archives of Andrology, 16: 161 - 166

ويضفي على نفسه السكينة والرضا والفرح...
وقد أخبر بذلك النبي ﷺ فقال: " للصائم فرحتان يفرحهما:
إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه " متفق عليه.
9- ثبت بالدليل العلمي القاطع أن الصيام الإسلامي
ليس له أي تأثير سلبي على الآداء العضلي وتحمل المجهود البدني،
بل بالعكس أظهرت نتائج البحث القيم الذي أجراه الدكتور أحمد القاضي
وزملاؤه دليل جديد على الإعجاز العلمي لحديث " صوموا تصحوا "
وأية { وإن تصوموا خير لكم }
بالولايات المتحدة الأمريكية أن درجة تحمل المجهود البدني
وبالتالي كفاءة الآداء العضلي
قد ازداد بنسبة 200% عند 30% من أفراد التجربة،
و7% عند 40% منهم،
وتحسنت سرعة دقات القلب بمقدار 9%،
كما تحسنت درجة الشعور بإرهاق الساقين بقمدار 11%.(   )
وهذا يبطل المفهوم الشائع عند كثير من الناس من أن الصيام يضعف
المجهود البدني، ويؤثر على النشاط فيقضون معظم النهار في النوم والكسل.

☼الوجه الثالث: يســـــــــــر الصيام الإسلامي وسهولته:

تشير الدراسات العلمية المحققة، في وظائف أعضاء الجسم،
أثناء مراحل التجويع، إلى يسر الصيام الإسلامي وسهولته،
تحقيقاً لقوله تعالى:
{يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر} [البقرة:185]

(د. أحمد القاضي - معهد الطب الإسلامي للتعليم والبحوث - بنماسيتي - فلوريدا - الولايات المتحدة)

وفي تفسير الآية قال الرازي: إن الله تعالى أوجب الصوم على سبيل السهولة واليسر، وما أوجبه إلا في مدة قليلة من السنة،
ثم ما أوجب هذا القليل على المريض ولا على المسافر ( )
كما يتجلى يسر الصيام الإسلامي في إمداد الجسم بجميع احتياجاته الغذائية، وعدم حرمانه من كل ما هو لازم ومفيد له،
فالإنسان في هذا الصيام، يمتنع عن الطعام والشراب فترة زمنية محدودة، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس،
وله حرية المطعم والمشرب من جميع الأغذية والأشربة المباحة ليلاً،
ويعتبر الصيام الإسلامي بهذا تغييراً لمواعيد تناول الطعام والشراب فحسب فلم يفرض الله سبحانه الانقطاع الكلي عن الطعام لمدد طويلة،
أو حتى لمدة يوم وليلة، تيسيراً وتخفيفاً على أمة خاتم الأنبياءﷺ،
وقد تجلى هذا اليسر بعد تقدم وسائل المعرفة والتقنية في هذا العصر.
فقد قسمت المراجع الطبية التجويع إلى ثلاث مراحل:-
1-مرحلة مبكرة 2-ومتوسطة 3-وطويلة الأجل ( )
وتقع المرحلة المبكرة بعد نهاية فترة امتصاص آخر وجبة
(أي بعد حوالي 5 ساعات من الأكل)
وحتى نهاية فترة ما بعد الامتصاص والتي تتراوح مدتها حوالي 12 ساعة، وقد تمتد إلى 40 ساعة عند بعض العلماء،
في هذه الفترة يقع الصيام الإسلامي كما يقع في فترة امتصاص الغذاء، وهذه الفترة من الانقطاع عن الطعام آمنة تماماً بالمقاييس العلمية،

(التفسير الكبير للرازي 82/2 ط3 دار الباز).

J. Hywel Thomas and Brian Gillham, Will's Biochemical Basis of Medicine - 2nd Edition, (1989), Landon. pp 97-114 , 272-)
.(79

فالجلوكوز هو الوقود الوحيد للمخ، والدهون لا تتأكسد بالقدر الذي يولد أجساماً كيتونية بالدم أثناء هذه الفترة،
كما لا يستهلك البروتين في إنتاج الطاقة بالقدر الذي يحدث خللاً في التوازن النتروجيني في الجسم.
مما حدا ببعض العلماء أن يسقط فترة ما بعد الامتصاص من مراحل التجويع أصلاً،
وهذه الحقيقة تجعل الصيام الإسلامي متفرداً في يسره وسهولته عكس مراحل التجويع الأخرى.
من خلال عرض الحقائق السابقة، ندرك أن مدة الصيام الإسلامي
والتي تتراوح من 12-16 ساعة في المتوسط
يقع جزء منها في فترة الامتصاص، ويقع معظمها في فترة ما بعد الامتصاص،
ويتوفر فيها تنشيط جميع آليات الامتصاص والاستقلاب بتوازن،
فتنشط آلية تحلل الجليكوجين،
وأكسدة الدهون، وتحللها
وتحلل البروتين،
وتكوين الجلوكوز الجديد منه،
ولا يحدث للجسم البشري أي خلل في أي وظيفة من وظائفه،
فلا تتأكسد الدهون بالقدر الذي يولد أجساماً كيتونية تضر بالجسم،
ولا يحدث توازن نتروجيني سلبي لتوازن استقلاب البروتين،
*ويعتمد المخ البشري، وخلايا الدم الحمراء، والجهاز العصبي، على الجلوكوز وحده للحصول منه على الطاقة
*بينما التجويع أو الصيام الطبي - القصير والطويل منه - لا يقف عند تنشيط هذه الآليات،
بل يشتد حتى يحدث خللاً في بعض وظائف الجسم.

يعتبر الصيام الإسلامي تمثيلاً غذائياً فريداً،إذ يشتمل على مرحلتي البناء والهدم،
***فبعد وجبتي الإفطار والسحور،يبدأ البناء للمركبات الهامة في الخلايا،**
وتجديد المواد المختزنة، والتي استهلكت في إنتاج الطاقة،
وبعد فترة امتصاص وجبة السحور، يبدأ الهدم،
فيتحلل المخزون الغذائي من الجليكوجين والدهون،ليمد الجسم بالطاقة اللازمة، أثناء الحركة والنشاط في نهار الصيام .
لذلك كان تأكيد النبي ﷺوحثه على ضرورة تناول وجبة السحور،
فعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ:
" تسحروا فإن في السحور بركة " متفق عليه.
وذلك لإمداد الجسم بوجبة بناء يستمر لمدة 4 ساعات،
محسوبة من زمن الانقطاع عن الطعام،
وبهذا أيضاً يمكن تقليص فترة ما بعد الامتصاص إلى أقل زمن ممكن،
كما أن النبي ﷺحث على تعجيل الفطر حيث قال:
" لا يزال الناس بخير ما عجلوا الفطر - متفق عليه "
وتأخير السحور فقد روى عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال:
"تسحرنا مع رسول الله ﷺثم قمنا إلى الصلاة، قيل: كم كان بينهما ؟
قال خمسون آية " (متفق عليه)
وهذا من شأنه تقليص فترة الصيام أيضاً إلى أقل حد ممكن، حتى لا يتجاوز فترة ما بعد الامتصاص ما أمكن،
وبالتالي فإن الصيام الإسلامي لا يسبب شدة، ولا يشكل ضغطاً نفسياً ضاراً على الجسم البشري، بحال من الأحوال.
وبناء على هذه الحقائق يمكننا أن نؤكد أن الذي يتوقف أثناء الصيام،

هو عمليات الهضم والامتصاص، وليست عمليات التغذية،
فخلايا الجسم تعمل بصورة طبيعية،وتحصل على جميع احتياجاتها اللازمة لها، من هذا المخزون بعد تحلله، والذي يعتبر هضماً داخل الخلية،
فيتحول الجليكوجين إلى سكر الجلوكوز،
والدسم والبروتينات إلى أحماض دهنية وأحماض أمينية،
بفعل شبكة معقدة من الإنزيمات، والتفاعلات الكيمائية الحيوية الدقيقة، والتي يقف الإنسان أمامها مشدوهاً معترفاً بجلال الله وعلمه، وعظيم قدرته وإحكام صنعه.

فمن أخبر محمداً ﷺأن في الصيام وقاية للإنسان من أضرار نفسية وجسدية؟
ومن أخبره أن فيه منافع وفوائد يجنيها الأصحاء؟
بل ومن يستطيع الصيام من المرضى وأصحاب الأعذار !!

ومن أخبره ﷺبأن الصيام سهل ميسور، لا يضر بالجسم ولا يجهد بالنفس؟
ومن أطلعه على أن كثرة الصوم تثبط الرغبة الجنسية؟
وتخفف من حدتها وثورتها خصوصاً عند الشباب !!
فيصير الشباب آمناً من الاضطرابات الغريزية النفسية،
ومحصناً ضد الانحرافات السلوكية !! وخصوصاً أنه نشأ في بيئة لا تعرف هذا الصيام ولا تمارسه. " إنه الله.. آمنت بالله "

أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ

عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ

بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ

مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ

عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ

لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ١٨٧ وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى

ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨ ۞

يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ

ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ

وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ

وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ ١٩٠

أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ

عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَخۡتَانُونَ أَنفُسَكُمۡ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ فَٱلۡـَٰٔنَ

بَٰشِرُوهُنَّ وَٱبۡتَغُواْ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلۡخَيۡطُ ٱلۡأَبۡيَضُ

مِنَ ٱلۡخَيۡطِ ٱلۡأَسۡوَدِ مِنَ ٱلۡفَجۡرِۖ ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِۚ وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ ﴿١٨٧﴾

(أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ)

-كان في أول فرض الصيام، يحرم على المسلمين في الليل بعد النوم

الأكل والشرب والجماع، فحصلت المشقة لبعضهم،

فخفف الله تعالى عنهم ذلك، وأباح في ليالي الصيام كلها

(الأكل و الشرب و الجماع) سواء نام أو لم ينم،

*** الرفث أي الْجِمَاعُ.

***هَذِهِ رُخْصة مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْمُسْلِمِينَ، ورَفْع لِمَا كَانَ عَلَيْهِ الْأَمْرُ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّهُ كَانَ إِذَا أَفْطَرَ أَحَدُهُمْ

إِنَّمَا يَحِلُّ لَهُ الْأَكْلُ وَالشُّرْبُ وَالْجِمَاعُ إِلَى صَلَاةِ الْعِشَاءِ أَوْ يَنَامُ قَبْلَ ذَلِكَ، فَمَتَى نَامَ أَوْ صَلَّى الْعِشَاءَ حَرُمَ عَلَيْهِ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ وَالْجِمَاعُ إِلَى اللَّيْلَةِ الْقَابِلَة.

فَوَجَدُوا مِنْ ذَلِكَ مَشَقة كَبِيرَةً.

(إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡۚ هُنَّ لِبَاسٞ لَّكُمۡ وَأَنتُمۡ لِبَاسٞ لَّهُنَّۗ)

*** يَعْنِي هُنَّ سَكَن لَكُمْ، وَأَنْتُمْ سَكَنٌ لَهُنَّ.

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: هُنَّ لِحَافٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِحَافٌ لَهُنَّ.

وَحَاصِلُهُ أَنَّ الرَّجُلَ وَالْمَرْأَةَ كُلٌّ مِنْهُمَا يُخَالِطُ الْآخَرَ ويُماسه وَيُضَاجِعُهُ، فَنَاسَبَ أَنْ يُرخَّص لَهُمْ فِي الْمُجَامَعَةِ فِي لَيْلِ رمضانَ،

لِئَلَّا يَشُقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَيُحْرَجُوا،

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

***** صحيح البخاري**

1915 - عَن البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

" كَانَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺإِذَا كَانَ الرَّجُلُ صَائِمًا، فَحَضَرَ الإِفْطَارُ،

فَنَامَ قَبْلَ أَنْ يُفْطِرَ لَمْ يَأْكُلْ لَيْلَتَهُ وَلاَ يَوْمَهُ حَتَّى يُمْسِيَ،

وَإِنَّ قَيْسَ بْنَ صِرْمَةَ الأَنْصَارِيَّ كَانَ صَائِمًا،

فَلَمَّا حَضَرَ الإِفْطَارُ أَتَى امْرَأَتَهُ، فَقَالَ لَهَا: أَعِنْدَكِ طَعَامٌ؟

قَالَتْ: لاَ وَلَكِنْ أَنْطَلِقُ فَأَطْلُبُ لَكَ، وَكَانَ يَوْمَهُ يَعْمَلُ، فَغَلَبَتْهُ عَيْنَاهُ،

فَجَاءَتْهُ امْرَأَتُهُ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: خَيْبَةً لَكَ،

فَلَمَّا انْتَصَفَ النَّهَارُ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ

فَنَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ}

[البقرة: 187] فَفَرِحُوا بِهَا فَرَحًا شَدِيدًا،

وَنَزَلَتْ: {وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ}

[البقرة: 187]()

(كان أصحاب محمد) أي وهو معهم أول ما افترض الله تعالى الصيام.

(فغلبته عيناه) كناية عن النوم.

(خيبة لك) حرمانا لك يقال خاب الرجل إذا لم ينل ما طلبه.

(غشي عليه) من الغشيان وهو تعطيل القوى المحركة والأوردة الحساسة لضعف القلب بسبب وجع شديد أو برد أو جوع مفرط وهو نوع من الإغماء.

(ونزلت) أي تتمة الآية.

(الخيط الأبيض) بياض الصبح الصادق أول ما يبدو معترضا في الأفق كالخيط الممدود و (الخيط الأسود) ما يمتد معه من غبش الليل وسواده]

(عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ)

*** الميسر:علم الله أنكم كنتم تخونون أنفسكم بمخالفة ما حرّمه الله عليكم من مجامعة النساء بعد العشاء في ليالي الصيام-وكان ذلك في أول الإسلام**

-لكونهم يختانون أنفسهم بترك بعض ما أمروا به.

(فَتَابَ)

الله

(عَلَيْكُمْ)

بأن وسع لكم أمرا كان – لولا توسعته – موجبا للإثم

(وَعَفَا عَنكُمْ)

ما سلف من التخون.

(فَٱلْـَٰٔنَ)

بعد هذه الرخصة والسعة من الله

(بَٰشِرُوهُنَّ)

وطـــــأً و قبــــــلةً و لمســــــًا و غير ذلك.

(وَٱبْتَغُوا۟ مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ)

*** الميسر :واطلبوا ما قدّره الله لكم من الأولاد**

-انــــــووا في مباشرتكم لزوجاتكم التقرب إلى الله تعالى

و المقصود الأعظم من الـــــوطء، وهو :-

1-حصول الـــذرية

2-وإعفـــاف فرجه وفرج زوجته،

3- و حصـــول مقاصد النكاح.

و مما كتب الله لكم ليلة القدر، الموافقة لليالي صيام رمضان،

فلا ينبغي لكم أن تشتغلوا بهذه اللذة عنها وتضيعوها،

فاللذة مدركة، وليلة القدر إذا فاتت لم تدرك.

(وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ)

*الميسر:-كلوا واشربوا حتى يتبيّن ضياء الصباح من سواد الليل،
بظهور الفجر الصادق،

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:-

***صحيح البخاري

1917 - عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ:" أُنْزِلَتْ:

{وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ * مِنَ الخَيْطِ الأَسْوَدِ}
[البقرة: 187]

وَلَمْ يَنْزِلْ {مِنَ الفَجْرِ} [البقرة: 187]،

فَكَانَ رِجَالٌ إِذَا أَرَادُوا الصَّوْمَ رَبَطَ أَحَدُهُمْ فِي رِجْلِهِ الخَيْطَ الأَبْيَضَ وَالخَيْطَ الأَسْوَدَ، وَلَمْ يَزَلْ يَأْكُلُ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُ رُؤْيَتُهُمَا،

فَأَنْزَلَ اللَّهُ بَعْدُ:

{مِنَ الفَجْرِ} [البقرة: 187] فَعَلِمُوا أَنَّهُ إِنَّمَا يَعْنِي اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ "

***صحيح البخاري

4509 عَنْ عَدِيٍّ، قَالَ: أَخَذَ عَدِيٌّ عِقَالًا أَبْيَضَ، وَعِقَالًا أَسْوَدَ حَتَّى كَانَ بَعْضُ اللَّيْلِ نَظَرَ فَلَمْ يَسْتَبِينَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: جَعَلْتُ تَحْتَ وِسَادِي عِقَالَيْنِ، قَالَ: «إِنَّ وِسَادَكَ إِذًا لَعَرِيضٌ أَنْ كَانَ الخَيْطُ الأَبْيَضُ، وَالأَسْوَدُ تَحْتَ وِسَادَتِكَ»

الاعجاز العلمي

– هذا غاية للأكل والشرب والجماع،

1–وفيه أنه إذا أكل ونحوه شاكا في طلوع الفجر فلا بأس عليه.

2–وفيه: دليل على استحباب السحور للأمر،

وأنه يستحب تأخيره أخذًا من معنى رخصة الله وتسهيله على العباد.

*** صحيح البخاري

1923 - عن أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «تَسَحَّرُوا فَإِنَّ فِي السَّحُورِ بَرَكَةً»( )

*** صحيح مسلم

(1096) عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ: «فَصْلُ مَا بَيْنَ صِيَامِنَا وَصِيَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ، أَكْلَةُ السَّحَرِ»( )

(تسحروا) من السحور والأمر للندب.

(بركة) دنيوية في التقوى على صيام النهار وأخروية بمزيد الأجر والثواب]

(فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر)

معناه الفارق والمميز بين صيامنا وصيامهم السحور

فإنهم لا يتسحرون ونحن يستحب لنا السحور وأكلة السحر هي السحور

3–وفيه أيضا دليل على أنه يجوز أن يدركه الفجر وهو جُنُبٌ من الجماع قبل أن يغتسل، ويصح صيامه، لأن لازم إباحة الجماع إلى طلوع الفجر، أن يدركه الفجر وهو جنب، ولازم الحق حق.

(ثُمَّ)

إذا طلع الفجر

(أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ)

أي: الإمساك عن المفطرات

(إِلَى ٱلَّيۡلِ)

و هو غروب الشمس ولما كان إباحة الوطء في ليالي الصيام ليست إباحته عامة لكل أحد،

*** صحيح البخاري

1954 - عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِﷺ: «إِذَا أَقْبَلَ اللَّيْلُ مِنْ هَا هُنَا، وَأَدْبَرَ النَّهَارُ مِنْ هَا هُنَا، وَ غَرَبَتِ الشَّمْسُ فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ»( )

وهي بفتح الهمزة هكذا ضبطناه وهكذا ضبطه الجمهور وهو المشهور في روايات بلادنا وهي عبارة عن المرة الواحدة من الأكل كالغدوة والعشوة
وإن كثر المأكول فيها وأما الأكلة بالضم فهي اللقمة الواحدة]
(ها هنا) جهة المشرق.
(أدبر) ذهب.
(ها هنا) جهة المغرب.
(أفطر الصائم) دخل وقت فطره]

*** صحيح البخاري

1957 - عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، قَالَ:

«لاَ يَزَالُ النَّاسُ بِخَيْرٍ مَا عَجَّلُوا الفِطْرَ»( )

– فإن المعتكف لا يحل له ذلك، استثناه بقوله:

(وَلَا تُبَٰشِرُوهُنَّ وَأَنتُمۡ عَٰكِفُونَ فِي ٱلۡمَسَٰجِدِۗ)

*** الميسر:ولا تجامعوا نساءكم أو تتعاطوا ما يفضي إلى جماعهن إذا كنتم معتكفين في المساجد؛**

***الْمُرَادُ بِالْمُبَاشِرَةِ: إِنَّمَا هُوَ الْجِمَاعُ وَدَوَاعِيهِ مِنْ ((تَقْبِيلٍ، وَمُعَانَقَةٍ وَنَحْوِ ذَلِكَ)) فَأَمَّا مُعَاطَاةُ الشَّيْءِ وَنَحْوَهُ فَلَا بَأْسَ بِهِ؛ فَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ، صحيح البخاري

2029 - عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا - زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺ- قَالَتْ:

وَإِنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

«لَيُدْخِلُ عَلَيَّ رَأْسَهُ وَهُوَ فِي المَسْجِدِ، فَأُرَجِّلُهُ،

وَكَانَ لاَ يَدْخُلُ البَيْتَ إِلَّا لِحَاجَةٍ إِذَا كَانَ مُعْتَكِفًا»

***صحيح مسلم

297 عن عَائِشَةَ زَوْجَ النَّبِيِّ ﷺقَالَتْ:

«إِنْ كُنْتُ لَأَدْخُلُ الْبَيْتَ لِلْحَاجَةِ، وَ الْمَرِيضُ فِيهِ،

فَمَا أَسْأَلُ عَنْهُ إِلَّا وَأَنَا مَـــــارَّةٌ،

(لا يزال) أي يبقون في سعة وراحة إذا هم أفطروا عقب تحقق الغروب لأنه أرفق بهم وأقوى لهم على العبادة.

وكذلك يحصل لهم مزيد من الأجر والمثوبة لتمسكهم بسنة رسول الله ﷺ]

أي: وأنتم متصفون بذلك، ودلت الآية على مشروعية الاعتكاف،
وهو لزوم المسجد لطاعة الله تعالى ، وانقطاعا إليه،
وأن الاعتكاف لا يصح إلا في المسجد.
ويستفاد من تعريف المساجد، أنها المساجد المعروفة عندهم،
وهي التي تقام فيها الصلوات الخمس.
وفيه أن الوطء من مفسدات الاعتكاف.

(تِلْكَ)

المذكورات – وهو تحريم الأكل و الشرب و الجماع
و نحوه من المفطرات في الصيام،
و تحريم الفطر على غير المعذور،
و تحريم الوطء على المعتكف،
و نحو ذلك من المحرمات

(حُدُودُ ٱللَّهِ)

التي حدها لعباده، ونهاهم عنها، فقال:

(فَلَا تَقۡرَبُوهَاۗ)

أبلغ من قوله: « فلا تفعلوها » لأن القربان،
يشمل النهي عن فعل المحرم بنفسه، و النهي عن وسائله الموصلة إليه.
و العبد مأمور بترك المحرمات،

و البعد منها غاية ما يمكنه،

و ترك كل سبب يدعو إليها، و أما الأوامر فيقول الله فيها:

(تلك حدود الله فلا تعتدوها)

فينهى عن مجاوزتها.

(كَذَٰلِكَ)

أي: بيَّن الله لعباده الأحكام السابقة أتم تبيين، و أوضحها لهم أكمل إيضاح.

(يُبَيِّنُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَّقُونَ)

فإنهم إذا بان لهم الحق اتبعوه، وإذا تبين لهم الباطل اجتنبوه،

فإن الإنسان قد يفعل المحرم على وجه الجهل بأنه محرم،

ولو علم تحريمه لم يفعله،

فإذا بين الله للناس آياته، لم يبق لهم عذر ولا حجة، فكان ذلك سببا للتقوى.

***﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ﴾الحديد: ٩

وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ وَتُدۡلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلۡحُكَّامِ لِتَأۡكُلُواْ فَرِيقٗا مِّنۡ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلۡإِثۡمِ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ١٨٨

(وَلَا تَأۡكُلُوٓاْ أَمۡوَٰلَكُم بَيۡنَكُم بِٱلۡبَٰطِلِ)

*** الميسر:ولا يأكل بعضكم مال بعض بسبب باطل كاليمين الكاذبة، والغصب، والسرقة، والرشوة، والربا ونحو ذلك**

أي: ولا تأخذوا أموالكم أي: أموال غيركم، أضافها إليهم،

لأنه ينبغي للمسلم أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه،

و يحترم ماله كما يحترم ماله؛

و لأن أكله لمال غيره يجرئ غيره على أكل ماله عند القدرة.

*****هَذَا فِي الرَّجُلِ يَكُونُ عَلَيْهِ مَالٌ، وَ لَيْسَ عَلَيْهِ فِيهِ بَيِّنَة،**
فَيَجْحَدُ الْمَالَ وَ يُخَاصِمُ إِلَى الْحُكَّامِ، وَ هُوَ يَعْرِفُ أَنَّ الْحَقَّ عَلَيْهِ،
وَ هُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ آثِمٌ آكِلُ حرامٍ.
*****قيل:- لَا تُخَاصِمْ وَ أَنْتَ تعلمُ أنَّك ظَالِمٌ**
*****صحيح البخاري**
2680 - عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:
" إِنَّكُمْ تَخْتَصِمُونَ إِلَيَّ، وَ لَعَلَّ بَعْضَكُمْ أَلْحَنُ بِحُجَّتِهِ مِنْ بَعْضٍ،
فَمَنْ قَضَيْتُ لَهُ بِحَقِّ أَخِيهِ شَيْئًا، بِقَوْلِه:
فَإِنَّمَا أَقْطَعُ لَهُ قِطْعَةً مِنَ النَّارِ فَلاَ يَأْخُذْهَا( )
*****قَالَ قَتَادَةُ: اعْلَمْ -يَا ابْنَ آدَمَ -أَنَّ قَضَاءَ الْقَاضِي لَا يُحِل لَكَ حَرَامًا،**
وَ لَا يُحِقُّ لَكَ بَاطِلًا
وَ إِنَّمَا يَقْضِي الْقَاضِي بِنَحْوِ مَا يَرَى وَيَشْهَدُ بِهِ الشُّهُودُ،
وَ الْقَاضِي بَشَر يُخْطِئُ وَيُصِيبُ،
وَ اعْلَمُوا أَنَّ مَنْ قُضِي لَهُ بِبَاطِلٍ أَنَّ خُصُومَتَهُ
لَمْ تَنْقَض حَتَّى يَجْمَعَ اللَّهُ بَيْنَهُمَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ،

(ألحن بحجته) أفطن وأفصح ببيان حجته وإظهار أن الحق له]

فَيَقْضِيَ عَلَى الْمُبْطِلِ لِلْمُحِقِّ بأجودَ مِمَّا قُضِيَ بِهِ لِلْمُبْطِلِ عَلَى الْمُحِقِّ فِي الدُّنْيَا.

-و لما كان أكلها نـــــوعين:

1-نوعا بحــــق،

2-و نوعا بباطـــــل،

و كان المحرم إنما هو أكلها بالباطل، قيده تعالى بذلك،و يدخل في ذلك:-

1-أكلها على وجه الغصـــــب

2-و الســـرقة

3-و الخيانة في [وديعة أو عارية، أو نحو ذلك]

4-و يدخل فيه أيضا، أخذها على وجه المعاوضة، بمعاوضة محرمة،

[كعقود الربا، و القمار كلها] فإنها من أكل المال بالباطل،

لأنه ليس في مقابلة عوض مباح،

5-و يدخل في ذلك أخذها بسبب غـــــش في:-

[البيع و الشراء و الإجارة، و نحوها]

6-و يدخل في ذلك استعمال الأجراء و أكل أجرتهم،

7-و كذلك أخذهم أجرة على عمل لم يقوموا بواجبه،

8-و يدخل في ذلك أخذ الأجرة على العبادات و القربات التي لا تصح حتى يقصد بها وجه الله تعالى،

9–و يدخل في ذلك الأخذ من[الزكوات و الصدقات،و الأوقاف،و الوصايا]
لمن ليس له حق منها، أو فوق حقه.
فكل هذا و نحوه، من أكل المال بالباطل، فلا يحل ذلك بوجه من الوجوه،
(وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)

*** الميسر:و لا تلقوا بالحجج الباطلة إلى الحكام؛**
لتأكلوا عن طريق التخاصم أموال طائفة من الناس بالباطل،
وأنتم تعلمون تحريم ذلك عليكم.

–حتى ولو حصل فيه النزاع وحصل الارتفاع إلى حاكم الشرع،
وأدلى من يريد أكلها بالباطل بحجة، غلبت حجة المحق،
وحكم له الحاكم بذلك،
–فإن حكم الحاكم، لا يبيح محرما، ولا يحلل حراما،
إنما يحكم على نحو مما يسمع، وإلا فحقائق الأمور باقية،
فليس في حكم الحاكم للمبطل راحة، ولا شبهة، ولا استراحة.
فمن أدلى إلى الحاكم بحجة باطلة، وحكم له بذلك، فإنه لا يحل له،
ويكون آكلا لمال غيره، بالباطل والإثم، وهو عالم بذلك.
فيكون أبلغ في عقوبته، وأشد في نكاله.
وعلى هذا فالوكيل إذا علم أن موكله مبطل في دعواه،
لم يحل له أن يخاصم عن الخائن كما قال تعالى:

﴿وَلَا تَكُن لِّلۡخَآئِنِينَ خَصِيمٗا﴾ النساء: ١٠٥

أي :مجادلاً عنهم

۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلۡحَجِّۗ وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٨٩

(۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡأَهِلَّةِۖ)

جمع – هلال – ما فائدتها وحكمتها؟ أو عن ذاتها،

(قُلۡ هِيَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ)

أي: جعلها الله تعالى بلطفه ورحمته على هذا التدبير يبدو الهلال ضعيفا في أول الشهر، ثم يتزايد إلى نصفه، ثم يشرع في النقص إلى كماله، وهكذا، ليعرف الناس بذلك، مواقيت عباداتهم من:-

1- الصيام

2-و أوقات الزكاة

3-و الكفارات

4-و أوقات الحج.

5-أوقات الديون المؤجلات

6-و مدة الإجارات

7–و مدة العـــــدد و الحمـــــل،

و لما كان الحج يقع في أشهر معلومات، و يستغرق أوقاتا كثيرة قال:

(وَٱلْحَجِّۗ)

و غير ذلك مما هو من حاجات الخلق، فجعله تعالى، حسابا،

يعرفه كل أحد، من صغير، و كبير، و عالم، و جاهل،

فلو كان الحساب بالسنة الشمسية، لم يعرفه إلا النادر من الناس.

(وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا)

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

1803 - عن البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَقُولُ:

«نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا، كَانَتِ الأَنْصَارُ إِذَا حَجُّوا فَجَاءُوا،

لَمْ يَدْخُلُوا مِنْ قِبَلِ أَبْوَابِ بُيُوتِهِمْ، وَلَكِنْ مِنْ ظُهُورِهَا،

فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَدَخَلَ مِنْ قِبَلِ بَابِهِ،

فَكَأَنَّهُ عُيِّرَ بِذَلِكَ، فَنَزَلَتْ»:

{وَلَيْسَ البِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا* وَلَكِنَّ البِرَّ مَنِ اتَّقَى* وَأْتُوا البُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا} [البقرة: 189]

(فجاؤوا) إلى منازلهم.

(عير) من التعيير وهو التعييب.

(البر) اسم جامع لوجوه الخير والطاعة.

(ظهورها) سقوفها ويكون ذلك بنقبها وإحداث فتحة فيها أو غير ذلك. (اتقى) بفعل ما أمر به وترك ما نهي عنه في شرع الله عز وجل.

وهذا كما كان الأنصار وغيرهم من العرب، إذا أحرموا،

لم يدخلوا البيوت من أبوابها، تعبدا بذلك، وظنا أنه بــــــر.

-فأخبر الله أنه ليس ببر لأن الله تعالى، لم يشرعه لهم،

وكل من تعبد بعبادة لم يشرعها الله ولا رسوله، فهو متعبد ببدعة،

وأمرهم أن يأتوا البيوت من أبوابها لما فيه من السهولة عليهم،

التي هي قاعدة من قواعد الشرع.

❍و يستفاد من إشارة الآية:-

☼أنه ينبغي في كل أمر من الأمور، أن يأتيه الإنسان من الطريق السهل القريب، الذي قد جعل له موصلا

فالآمر بالمعروف، والناهي عن المنكر، ينبغي أن ينظر في حالة المأمور، ويستعمل معه الرفق والسياسة، التي بها يحصل المقصود أو بعضه،

☼و المتعلم والمعلم، ينبغي أن يسلك أقرب طريق وأسهله يحصل به مقصوده

وهكذا كل من حاول أمرا من الأمور و أتاه من أبوابه و ثابر عليه،

فلا بد أن يحصل له المقصود بعون الملك المعبود.

(وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِنۡ أَبۡوَٰبِهَاۚ)

* الميسر:و ادخلوا البيوت من أبوابها عند إحرامكم بالحج أو العمرة

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ)

هذا هو البر الذي أمر الله به، و هو لزوم تقواه على الدوام،

بامتثال أوامره، و اجتناب نواهيه،

(لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)

فإنه سبب للفلاح، الذي هو الفوز بالمطلوب، و النجاة من المرهوب،

فمن لم يتق الله تعالى، لم يكن له سبيل إلى الفلاح، و من اتقاه،

فاز بالفلاح والنجاح.

وَقَاتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ

إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿١٩٠﴾

(وَقَاتِلُوا۟)

هذه الآيات، تتضمن الأمر بالقتال في سبيل الله،

وهذا كان بعد الهجرة إلى المدينة، لما قوي المسلمون للقتال،أمرهم الله به،

بعد ما كانوا مأمورين بكف أيديهم، و في تخصيص القتال

(فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ)

حث على الإخلاص، و نهي عن الاقتتال في الفتن بين المسلمين.

(ٱلَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ)

أي: الذين هم مستعدون لقتالكم، وهم المكلفون الرجال،

غير الشيوخ الذين لا رأي لهم و لا قتال.

(وَلَا تَعۡتَدُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ)

-والنهي عن الاعتداء، يشمل أنواع الاعتداء كلها، من قتل من لا يقاتل من:-

1- النـــــساء،

2-و المجـــــانين

3-و الأطفــــال،

4-و الرهبـــــان ونحوهم ***و أصحاب الصوامع

5-و التمثيـــــل بالقتلى،

6-و قتـــــل الحيوانات،

7-و قطع الأشجـــــار ونحوها ،

لغير مصلحة تعود للمسلمين.

8-و من الاعتداء،مقاتلة من تقبل منهم الجزية إذا بذلوها، فإن ذلك لا يجوز.

9-***الغلول

***صحيح مسلم

1731- عَنْ بُرَيْدَةَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ
إِذَا أَمَّرَ أَمِيرًا عَلَى جَيْشٍ، أَوْ سَرِيَّةٍ، أَوْصَاهُ فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى اللهِ،
وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْرًا،
ثُمَّ قَالَ: «اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ،
اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا،

***صحيح البخاري

3014 - عن أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَخْبَرَهُ:

أَنَّ امْرَأَةً وُجِدَتْ فِي بَعْضِ مَغَازِي النَّبِيِّ ﷺمَقْتُولَةً، «فَأَنْكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺقَتْلَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ»

*** مسند أحمد ط الرسالة

2728 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺإِذَا بَعَثَ جُيُوشَهُ قَالَ: " اخْرُجُوا بِسْمِ اللهِ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، لَا تَغْدِرُوا، وَلا تَغُلُّوا، وَلا تُمَثِّلُوا، وَلا تَقْتُلُوا الْوِلْدَانَ، وَلا أَصْحَابَ الصَّوَامِعِ "

الاعجاز العلمي في حديث القـــــفا

الحقائق العلمية:

1 ـ مركز الإبصار يقع في القفا من القشرة الدماغية (الشكل رقم 1).

2 ـ أعضاء الإحساس ممثلة بمساحة على القشرة الدماغية (الشكل رقم 2) وتمثيل العين هنا فقط للإحساس (كاللمس)

أما تمثيل العين فيما يخص النظر فهو في القفا (الشكل رقم 1).

3 ـ هذه المساحة من القشرة الدماغية تتناسب مع المهارة المطلوبة (جدول رقم 1).

4 ـ الرؤية تقدر بالزاوية التي تقابل الجسم المرئي على الشبكية (شكل رقم 3).

5 ـ خلايا الشبكية نوعان (قضبانية ومخروطية):-

1- قضبانية الشكل هي وحدها المسؤولة عن الرؤية الليلية ولا تستطيع أن ترى سوى الأبيض والأسود.

2- أما المخروطية فهى المسؤولة عن رؤية الألوان ولكنها لا ترى في الليل على الإطلاق.

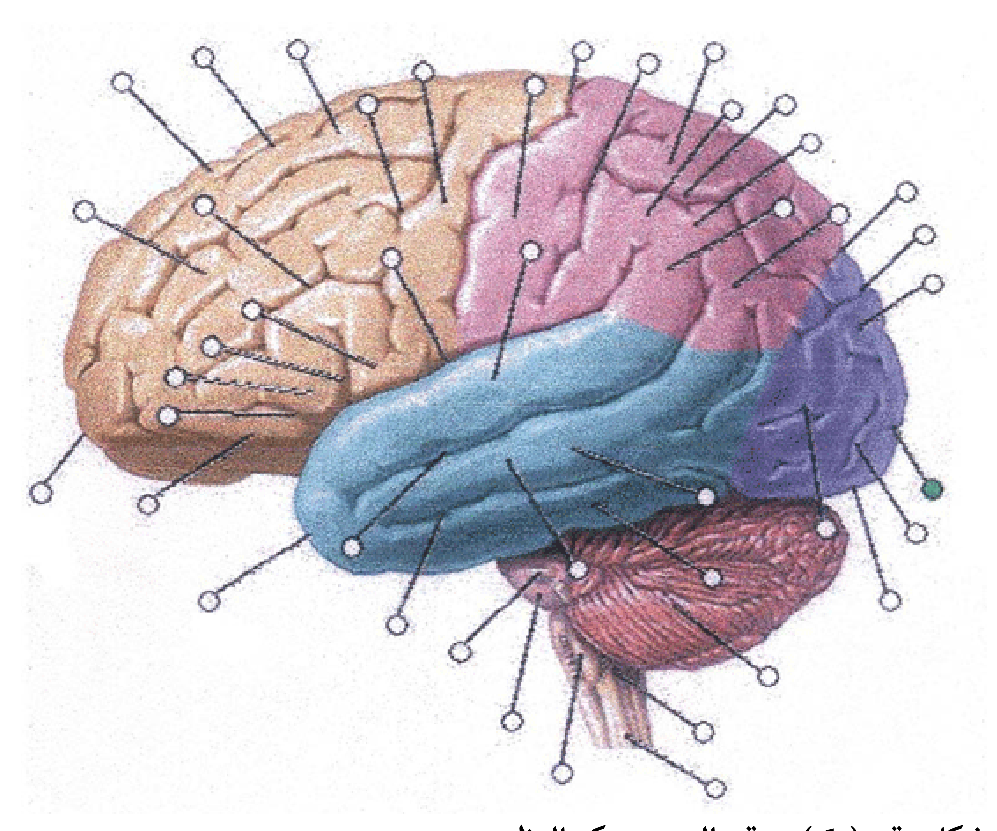
التمهيـــــــــــــــد:

تبدأ الرؤية عندما تسقط أشعة الضوء المنكسرة من الجسم المرئي فتكــون صورة على شبكية العين (الشكل رقم 2) فتقوم خلايا الشـــبكية (قضبـانية و مخروطية) بتحويل هذه الصورة إلى موجات أو إشارات عصبية التي تنقل عن طريق عصب العين إلى القشرة الدماغية (مركز النظر) الموجودة في القفا (الشكل رقم 1)

حيث يقوم هذا المركز بتحويل هذه الإشارات مرة أخرى إلى صورة تعكس تماما الجسم المرئي بكل تفاصيله الدقيقة.

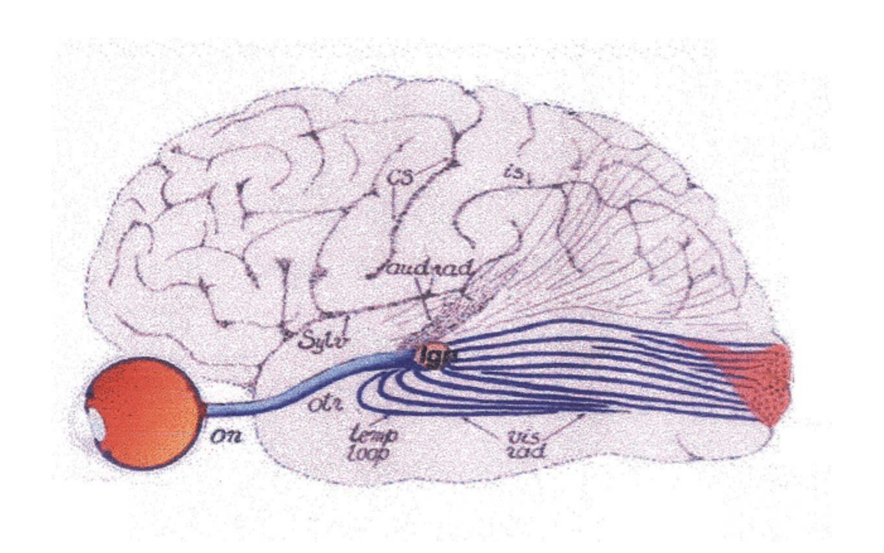
أعضاء الجسم	قدرة التفريق بين نقطتين (سم)	التمثيل النسبي في القشرة الدماغية
القضيب	٠,٣	٣,٣٣
فروة الرأس	٥,٤	٠,١٩
الجبهة	١,٩	٠,٥٣
الأنف	٠,٩	١,١١
الجفن	٠,٦٥	١,٥٤
الخد	١,٦	٠,٦٣
الشفة السفلى	٠,٣	٣,٣
الشفة العلياء	٠,٢٥	٤
الأذن	٢,٤	٠,٤٢
الرقبة (خلف)	١,٣٥	٠,٧٤
الرقبة (جانب)	١,٨٥	٠,٥٤
الرقبة (أمام)	٢,٥٥	٠,٣٩
الساعد	٤,٦	٠,٢٢
ظهر اليد	١,٧	١,٢٥
السبابة (أمام)	٠,٢٥	٤
السبابة (خلف)	٠,٢٥	٤
الإبهام (خلف)	٠,٧٥	١,٣٣
الإبهام (أمام)	٠,٣	٣,٣٣
الظهر	٤,٢	٠,٢٤
الصدر	٣,٨	٠,٢٦
الفخذ (الوحشي)	٢,٦٥	٠,٣٧
الفخذ (الأنسي)	٣,٣٥	٠,٣
الساق (امام)	٤	٠,٢٥
إصبع القدم الكبرى	٢,٦	٠,٣٨

جدول رقم (1) مقدرة العضو والمساحة النسبية من القشرة الدماغية



شكل رقم (1) موقع العين ومركز النظر

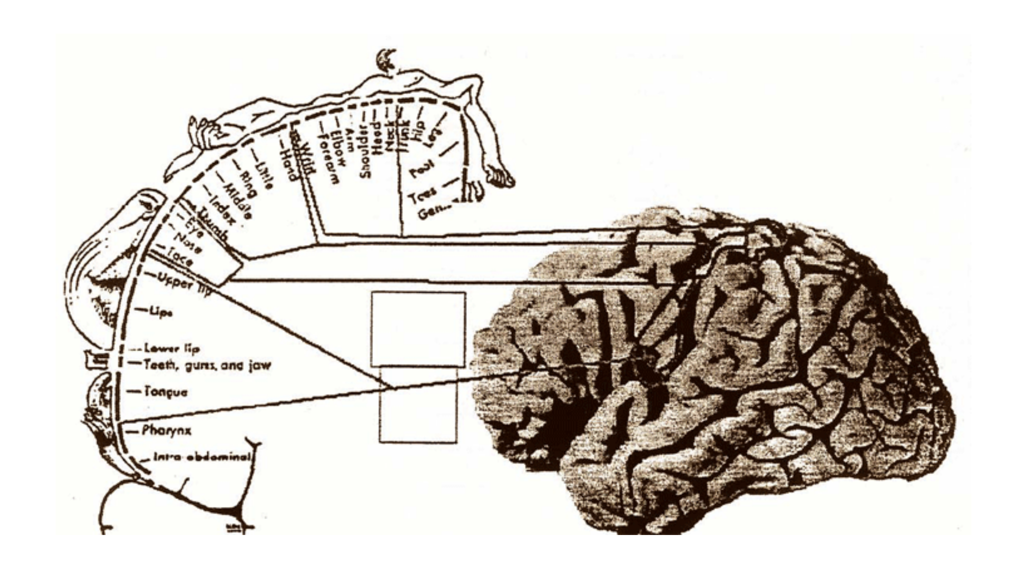
-في كل شبكية عين 105 مليون خلية منها 5 مليون فقط مخروطية الشكل.
أما عدد ألياف عصب العين فهو واحد مليون فقط التي تنقل إلى مليون خلية في القشرة الدماغية (مركز النظر)
مع العلم أن القشرة الدماغية بكاملها تتكون من 20 بليون خلية تنتشر على حوالي 2 متر مربع.



شكل رقم (2) تمثيل الأعضاء على القشرة الدماغية

مركز النظر يقوم بوظائف كثيرة إلى جانب حدة النظر منها تحديد شكل الجسم المرئي واللون والبعد والموقع والاسم وكذلك التنسيق مع المراكز الدماغية الأخرى وهلم جرا.

ولذلك فإن مساحة مركز النظر لابد أن تكون أعرض من ناتج العملية الحسابية للمعطيات السابقة.



شكل رقم (3) زاوية الرؤية

التعليـــــــــــــــق:

أولا: الحديث قال: (إنك لعريض القفا)

ولم يقل كبير القفا لأن المساحة وليس الحجم هي الأهم وفي ذلك إعجاز.

ثانيا: الحديث قال: (الخيط الأبيض من الخيط الأسود)

ولم يقل مثل الخيط الأحمر من الخيط الأصفر ولو قال ذلك لما كان هنا إعجاز

لأنه لا يمكن أن يراهما ولو كان قفاه بعرض السماء والأرض وفي ذلك إعجاز أيضا.

ثالثا: لزيدة الرؤية في النهار فإنه لا يحتاج لعرض القفا كما يحتاجه للرؤية الليلية حيث إن كل خلية مخروطية يقابلها 20 خلية قضيبية (الرؤية الليلية).

فلهذا فإننا نجد أن بعض الكائنات البحرية

(مثل الأخطبوط) فإن مركز النظر يحتل لديها أكثر من نصف مساحة القشرة الدماغية لأنها تعيش في ظلام دامس كما وصف ذلك القرآن الكريم بقوله:

أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ (النور: 40).

رابعا: ما هي المساحة اللازمة التي تمكننا من رؤية الخيط الأبيض من الخيط الأسود؟ وهل يمكن أن نخمن؟

يبدو لي أن ذالك بالإمكان. اللفظ الثاني للحديث يقول:

(إن وسادك لعريض طويل) وهو يتكلم أيضا عن مساحة.

فمتوسط الوسادة هو 90 سم إلى متر في 40 سم إلى 50سم وبعملية حسابية بسيطة فإن ذلك يساوي حوالي 18 ـ 25% من القشرة الدماغية وهذه النسبة ربما تكون كافية ذلك أن الأخطبوط الذي يرى في قعر البحار مع تلكم الظلمات فمركز النظر لديه يشكل حوالي 50% من القشرة الدماغية.

الخلاصة:

الحديث يبدو لفظه نشاز (وحاشا لله أن يكون كذلك)

وذلك لمن يجهل معناه فما علاقة العين بالقفا، حتى أن بعض من فسر الحديث ذهب إلى القول بأن عرض القفا كناية عن الغباء

والحقيقة أنه كلام من يعني ما يقول ويعلم ما يعني وهو الذي لا ينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى.

وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۚ وَلَا
تُقَٰتِلُوهُمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ
ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٢﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ
ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾ ٱلشَّهْرُ ٱلْحَرَامُ بِٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ
وَٱلْحُرُمَٰتُ قِصَاصٌ ۚ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱعْتَدُوا۟ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا ٱعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟
ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ
وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾ وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ ۚ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ
مِنَ ٱلْهَدْىِ ۖ وَلَا تَحْلِقُوا۟ رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ ٱلْهَدْىُ مَحِلَّهُۥ ۚ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن
رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ ۚ فَإِذَآ أَمِنتُمْ فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا
ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْىِ ۚ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِى ٱلْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ ۗ
تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ۗ ذَٰلِكَ لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ
وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمْ
عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمْ فِيهِ ۖ فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ ۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٩١﴾

﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١٩٢ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٩٣﴾

(وَٱقۡتُلُوهُمۡ حَيۡثُ ثَقِفۡتُمُوهُمۡ وَأَخۡرِجُوهُم مِّنۡ حَيۡثُ أَخۡرَجُوكُمۡۚ)

***الميسر :-ثقفتموهم:وجدتموهم**

***** لِتَكُنْ هِمَّتُكُمْ مُنْبَعِثَةً عَلَى قِتَالِهِمْ، كَمَا أَنَّ هِمَّتَهُمْ مُنْبَعِثَةٌ عَلَى قِتَالِكُمْ، وَعَلَى إِخْرَاجِهِمْ مِنْ بِلَادِهِمُ التِي أَخْرَجُوكُمْ مِنْهَا، قِصَاصًا.**

-هذا أمر بقتالهم، أينما وجدوا في كل وقت، وفي كل زمان قتال مدافعة، وقتال مهاجمة

(وَٱلۡفِتۡنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۚ وَلَا تُقَٰتِلُوهُمۡ)

-ولما كان القتال عند المسجد الحرام، يُتوهم أنه مفسدة في هذا البلد الحرام، أخبر تعالى أن المفسدة بالفتنة عنده بالشرك، والصد عن دينه، أشد من مفسدة القتل، فليس عليكم - أيها المسلمون - حرج في قتالهم. ويستدل بهذه الآية على القاعدة المشهورة، وهي:

((أنه يرتكب أخف المفسدتين، لدفع أعلاهما)).

-ثم استثنى من هذا العموم قتالهم

(عِندَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ حَتَّىٰ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِيهِۖ)

*****دفعـــــــــــــــــــ للصائل**

***** صحيح البخاري**

1834 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺيَوْمَ افْتَتَحَ مَكَّةَ:
«لاَ هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ، فَانْفِرُوا،
فَإِنَّ هَذَا بَلَدٌ حَرَّمَ اللَّهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ،
وَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ،
وَ إِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ القِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي،
وَ لَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ،
فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ،
لاَ يُعْضَدُ شَوْكُهُ،
وَ لاَ يُنَفَّرُ صَيْدُهُ،
وَ لاَ يَلْتَقِطُ لُقَطَتَهُ إِلَّا مَنْ عَرَّفَهَا،
وَ لاَ يُخْتَلَى خَلاَهَا»،
قَالَ العَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِلَّا الإِذْخِرَ فَإِنَّهُ لِقَيْنِهِمْ وَلِبُيُوتِهِمْ،
قَالَ: قَالَ: «إِلَّا الإِذْخِرَ»( )

(لا يعضد) العضد القطع
(ولا يختلى خلاها) الخلا هو الرطب من الكلأ قالوا الخلا والعشب اسم للرطب منه والحشيش والهشيم اسم لليابس منه والكلأ يقع على الرطب واليابس ومعنى يختلى يؤخذ ويقطع
(الإذخر) الإذخر نبات عشبي من فصيلة النجيليات له رائحة ليمونية عطرة أزهاره تستعمل منقوعا كالشاي ويقال له أيضا طيب العرب
والإذخر المكي من الفصيلة نفسها جذوره من الأفاويه ينبت في السهول وفي المواضع الجافة الحارة ويقال له أيضا حلفاء مكة
(لقينهم ولبيوتهم) القين هو الحداد والصائغ
ومعناه يحتاج إليه القين في وقود النار ويحتاج إليه في القبور لتسد به فرج اللحد المتخللة بين اللبنات
ويحتاج إليه في سقوف البيوت يجعل فوق الخشب]

(فَإِن قَٰتَلُوكُمۡ فَٱقۡتُلُوهُمۡۗ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ)

وأنه لا يجوز إلا أن يبدأوا بالقتال، فإنهم يقاتلون جزاء لهم على اعتدائهم،

وهذا مستمر في كل وقت،

(فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ)

حتى ينتهوا عن كفرهم فيسلموا،

فإن الله يتوب عليهم، ولو حصل منهم ما حصل من الكفر بالله والشرك

في المسجد الحرام، وصد الرسول والمؤمنين عنه

وهذا من رحمته وكرمه بعباده.

(وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ)

***شـــــــرك

ثم ذكر تعالى المقصود من القتال في سبيله، وأنه ليس المقصود به،

سفك دماء الكفار، وأخذ أموالهم، ولكن المقصود به :-

(وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ)تعالى، فيظهر دين الله تعالى على سائر الأديان،

ويدفع كل ما يعارضه، من الشـــــرك وغيره، وهو المراد [بالفتنة]

فإذا حصل هذا المقصود، فلا قتل ولا قتال،

***صحيح البخاري

2810 - عَنْ أَبِي مُوسَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ
فَقَالَ الرَّجُلُ: يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ،
وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟

قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ العُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»( )

(فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ) عن قتالكم عند المسجد الحرام

(فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ)

فليس عليهم منكم اعتداء،إلا من ظلم منهم،فإنه يستحق المعاقبة،بقدر ظلمه.

*** صحيح البخاري

25 - عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:
«أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ،
فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ
إِلَّا بِحَقِّ الإِسْلاَمِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ»( )

(رجل) قيل هو لاحق بن ضميرة الباهلي رضي الله عنه.
(للمغنم) أي من أجل الغنيمة.
(للذكر) الشهرة بين الناس.
(ليرى مكانه) مرتبته في الشجاعة]
(أقاتل الناس) أي بعد عرض الإسلام عليهم.
(يشهدوا) يعترفوا بكلمة التوحيد أي يسلموا أو يخضعوا لحكم الإسلام إن كانوا أهل كتاب يهودا أو نصارى.
(عصموا) حفظوا وحقنوا والعصمة الحفظ والمنع.
(إلا بحق الإسلام) أي إلا إذا فعلوا ما يستوجب عقوبة مالية أو بدنية في الإسلام فإنهم يؤاخذون بذلك قصاصا.
(وحسابهم على الله) أي فيما يتعلق بسرائرهم وما يضمرون

﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ ١٩٤﴾

يقول تعالى: (ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ)

***الميسر:قتالكم -أيها المؤمنون- للمشركين في الشهر الذي حرّم الله القتال فيه هو جزاء لقتالهم لكم في الشهر الحرام.**

*** مسند أحمد ط الرسالة

14713 - عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: " لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَغْزُو فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ، إِلَّا أَنْ يُغْزَى، أَوْ يُغْزَوْا، فَإِذَا حَضَرَهُ، أَقَامَ حَتَّى يَنْسَلِخَ "

1–يحتمل أن يكون المراد به ما وقع من صد المشركين للنبي ﷺوأصحابه

عام الحديبية، عن الدخول لمكة، وقاضوهم على دخولها من قابل،

وكان الصد والقضاء في شهر حرام، وهو ذو القعدة، فيكون هذا بهذا،

فيكون فيه، تطييب لقلوب الصحابة، بتمام نسكهم، وكماله.

2–ويحتمل أن يكون المعنى: إنكم إن قاتلتموهم في الشهر الحرام فقد

قاتلوكم فيه، وهم المعتدون، فليس عليكم في ذلك حرج،

و على هذا فيكون قوله: (وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٞۚ)

من باب عطف العام على الخاص،

أي: كل شيء يحترم من شهر حرام، أو بلد حرام، أو إحرام،

أو ما هو أعم من ذلك، جميع ما أمر الشرع باحترامه،

فمن تجرأ عليها فإنه يقتص منه،

فمن قاتل في الشهر الحرام، قوتل،

و من هتك البلد الحرام، أخذ منه الحد، ولم يكن له حرمة،

و من قتل مكافئا له قتل به،

و من جرحه أو قطع عضوا، منه، اقتص منه

و من أخذ مال غيره المحترم، أخذ منه بدله،

(وَٱلۡحُرُمَٰتُ قِصَاصٌۚ)

***الميسر:والذي يعتدي على ما حَرّم الله من المكان والزمان، يُعاقب بمثل فعله، ومن جنس عمله.**

ولكن هل لصاحب الحق أن يأخذ من ماله بقدر حقه أم لا؟

خـــــلاف بين العلماء، الراجـــــح من ذلك:-

أنه إن كان سبب الحق ظاهرا كالضيف، إذا لم يقره غيره، والزوجة، والقريب

إذا امتنع من تجب عليه النفقة من الإنفاق عليه

فإنه يجوز أخذه من ماله.

وإن كان السبب خفيا، كمن جحد دين غيره، أو خانه في وديعة، أو سرق منه

ونحو ذلك، فإنه لا يجوز له أن يأخذ من ماله مقابلة له،

جمعا بين الأدلة، ولهذا قال تعالى، تأكيدا وتقوية لما تقدم:

(فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱعۡتَدُواْ عَلَيۡهِ بِمِثۡلِ مَا ٱعۡتَدَىٰ عَلَيۡكُمۡ

*** أَمْر بِالْعَدْلِ حَتَّى فِي الْمُشْرِكِينَ كَمَا قَالَ:

{وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ} [النَّحْلِ: 126] .

وَقَالَ: {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} [الشُّورَى: 40] .

–هذا تفسير لصفة المقاصة، وأنها هي المماثلة في مقابلة المعتدي.

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ)

ولما كانت النفوس – في الغالب – لا تقف على حدها إذا رُخص لها في المعاقبة لطلبها التشفي، أمر تعالى بلزوم تقواه، التي هي الوقوف عند حدوده، وعدم تجاوزها، (وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ)

و أخبر تعالى أنه

(مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ)

أي: بالعـــــون، والنصـــــر، والتـــــأييد، والتـــــوفيق.

ومن كان الله معه، حصل له السعادة الأبدية،

ومن لم يلزم التقوى تخلى عنه وليه، وخذله،

فوكله إلى نفسه فصار هلاكه أقرب إليه من حبل الوريد.

وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

صحيح البخاري

4516 - عَنْ حُذَيْفَةَ{وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} [البقرة195] قَالَ: «نَزَلَتْ فِي النَّفَقَةِ»()

(في النفقة) أي في ترك النفقة في سبيل الله تعالى

*سنن الترمذي ت شاكر

2972 - عَنْ أَسْلَمَ أَبِي عِمْرَانَ التُّجِيبِيِّ، قَالَ:

كُنَّا بِمَدِينَةِ الرُّومِ، فَأَخْرَجُوا إِلَيْنَا صَفًّا عَظِيمًا مِنَ الرُّومِ،

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ مِنَ المُسْلِمِينَ مِثْلُهُمْ أَوْ أَكْثَرُ، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، وَعَلَى الجَمَاعَةِ فَضَالَةُ بْنُ عُبَيْدٍ،

فَحَمَلَ رَجُلٌ مِنَ المُسْلِمِينَ عَلَى صَفِّ الرُّومِ حَتَّى دَخَلَ فِيهِمْ،

فَصَاحَ النَّاسُ و قَالُوا: سُبْحَانَ اللَّهِ يُلْقِي بِيَدَيْهِ إِلَى التَّهْلُكَةِ.

فَقَامَ أَبُو أَيُّوبَ الأَنْصَارِيُّ فَقَالَ:

"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّكُمْ لَتُؤَوِّلُونَ هَذِهِ الْآيَةَ هَذَا التَّأْوِيلَ،

وَإِنَّمَا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ فِينَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ لَمَّا أَعَزَّ اللَّهُ الْإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ،

فَقَالَ بَعْضُنَا لِبَعْضٍ سِرًّا دُونَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ:

إِنَّ أَمْوَالَنَا قَدْ ضَاعَتْ، وَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَزَّ الإِسْلَامَ وَكَثُرَ نَاصِرُوهُ،

فَلَوْ أَقَمْنَا فِي أَمْوَالِنَا، فَأَصْلَحْنَا مَا ضَاعَ مِنْهَا.

فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ يَرُدُّ عَلَيْنَا مَا قُلْنَا:

وَأَنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}[البقرة: 195]

فَكَانَتِ التَّهْلُكَةُ الإِقَامَةَ عَلَى الأَمْوَالِ وَإِصْلَاحِهَا،

وَتَرْكَنَا الغَزْوَ

«فَمَا زَالَ أَبُو أَيُّوبَ، شَاخِصًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَتَّى دُفِنَ بِأَرْضِ الرُّومِ»

* وفي مجمع الزوائد ج 6 ص 317 وعن أبي جبيرة بن الضحاك

والمعنى لا تتركوا الإنفاق في سبيل الخير والجهاد فيؤدي ذلك بكم إلى الهلاك.]

قال كانت الأنصار يتصدقون ويعطون ما شاء الله فأصابتهم مصيبة فأمسكوا فأنزل الله عز وجل:-

{وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ} **رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح وزاد في الأوسط**

{وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} .

*** وفي الفتح ج 9 ص 251 من حديث البراء نحوه قال الحافظ: وسنده صحيح ثم قال**

والأول أظهر لتصدير الآية بذكر النفقة فهو المعتمد في نزولها

(**وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ**)

يأمر تعالى عباده بالنفقة في سبيله،

وهو إخراج الأموال في الطرق الموصلة إلى الله، وهي كل طرق الخير،

من صدقة على مسكين، أو قريب، أو إنفاق على من تجب مؤنته.

وأعظم ذلك وأول ما دخل في ذلك الإنفاق في الجهاد في سبيل الله،

فإن النفقة فيه جهاد بالمال، وهو فرض كالجهاد بالبدن،

وفيها من المصالح العظيمة، الإعانة على تقوية المسلمين،

وعلى توهية الشرك وأهله،

وعلى إقامة دين الله وإعزازه،

فالجهاد في سبيل الله لا يقوم إلا على ساق النفقة،

فالنفقة له كالروح، لا يمكن وجوده بدونها،

وفي ترك الإنفاق في سبيل الله، إبطال للجهاد،

وتسليط للأعداء، وشدة تكالبهم، فيكون قوله تعالى:

(وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ)

كالتعليل لذلك، والإلقاء باليد إلى التهلكة يرجع إلى أمرين:–

1– ترك ما أُمر به العبد، إذا كان تركه موجبا أو مقاربا لهلاك البدن أو الروح، وفعل ما هو سبب موصل إلى تلف النفس أو الروح،

فيدخل تحت ذلك أمور كثيرة، فمن ذلك،

☼ترك الجهاد في سبيل الله، أو النفقة فيه، الموجب لتسلط الأعداء،

☼ومن ذلك تغرير الإنسان بنفسه في مقاتلة أو سفر مخوف، أو محل مسبعة أو حيات، أو يصعد شجرا أو بنيانا خطرا،

☼أو يدخل تحت شيء فيه خطر ونحو ذلك، فهذا ونحوه، ممن ألقى بيده إلى التهلكة.

2–ومن الإلقاء باليد إلى التهلكة الإقامة على معاصي الله، واليأس من التوبة، ومنها ترك ما أمر الله به من الفرائض، التي في تركها هلاك للروح والدين.

*** [1]*وعن النعمان بن بشير في قوله:**

{وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ}

قال: كان الرجل يذنب فيقول لا يغفر الله لي فأنزل الله تعالى:

{وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ} **رواه الطبراني في الكبير والأوسط ورجالهما رجال الصحيح ا. هـ.**

-ولما كانت النفقة في سبيل الله نوعا من أنواع الإحسان، أمر بالإحسان عموما فقال: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

وهذا يشمل جميع أنواع الإحسان، لأنه لم يقيده بشيء دون شيء،

1-فيدخل فيه الإحسان بالمال كما تقدم.

2-ويدخل فيه الإحسان بالجاه، بالشفاعات ونحو ذلك،

3-ويدخل في ذلك، الإحسان بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر،

4- وتعليم العلم النافع،

5-ويدخل في ذلك قضاء حوائج الناس، من تفريج كرباتهم

و إزالة شداتهم،

و عيادة مرضاهم،

و تشييع جنائزهم،

و إرشاد ضالهم،

و إعانة من يعمل عملا والعمل لمن لا يحسن العمل ونحو ذلك،

مما هو من الإحسان الذي أمر الله به،

6- ويدخل في الإحسان أيضا، الإحسان في عبادة الله تعالى،

وهو كما ذكر النبي ﷺ:« أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك »

فمن اتصف بهذه الصفات، كان من الذين قال الله فيهم:

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌۖ ﴾يونس: ٢٦

وكان الله معه يسدده ويرشده ويعينه على كل أموره.

ولما فرغ تعالى من ذكر أحكام الصيام فالجهاد، ذكر أحكام الحج فقال:

وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِقُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ فَفِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ

تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلُهُ حَاضِرِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ

وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ (١٩٦)

***الصحيح المسند من أسباب النزول :-**

قال الطبراني كما في مجمع البحرين من زوائد المعجمين مخطوط ج2 ص141:

عن عطاء بن أبي رباح عن صفوان بن يعلى بن أمية عن أبيه قال: جاء إلى رسول ﷺ وقال:

كيف تأمرني في عمرتي، فأنزل الله عز وجل

{وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ} فقال رسول الله ﷺ:

"من السائل عن العمرة" فقال: أنا.

فقال: "ألق ثيابك واغتسل واستنشق ما استطعت وما كنت صانعا في حجتك فاصنع في عمرتك"

لم يروه عن أبي الزبير إلا إبراهيم ولم يدخل أبو الزبير بين عطاء وصفوان أحدا.

ورواه مجاهد عن عطاء عن صفوان عن أبيه قلت هذا في الصحيح سوى قوله {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ} **ا. هـ.**

وقال: في مجمع الزوائد ج3 ص205 وعن يعلى بن أمية قال:

جاء رجل إلى رسول الله ﷺ متضمخ بالخلوق عليه مقطعات قد أحرم بعمرة وذكر الحديث ثم قال:

رواه الطبراني في الأوسط ورجاله رجال الصحيح ا. هـ.

وذكره الحافظ في الفتح وسكت عليه.

وأما استغراب ابن كثير رحمه الله له في تفسيره فلا وجه له لأن قوله عند الطبراني فنزل عليه {وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ} **مبين لحديث الصحيحين**

–يستدل بقوله تعالى:

(وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ) على أمور: –

أحدها:وجوب الحج والعمرة، وفرضيتهما.

الثاني:وجوب إتمامهما بأركانهما و واجباتهما،

التي قد دل عليها فعل النبي ﷺ وقوله:« خذوا عني مناسككم »

الثالث:أن فيه حجة لمن قال بوجوب العمرة.

الرابع:أن الحج والعمرة يجب إتمامهما بالشروع فيهما، و لو كانا نفلا.

الخامس:الأمر بإتقانهما وإحسانهما، وهذا قدر زائد على فعل ما يلزم لهما.

السادس:و فيه الأمر بإخلاصهما لله تعالى.

السابع: أنه لا يخرج المحرم بهما بشيء من الأشياء حتى يكملهما،

إلا بما استثناه الله، و هو الحصر، فلهذا قال:

(فَإِنۡ أُحۡصِرۡتُمۡ)

أي: منعتم من الوصول إلى البيت لتكميلهما، بمرض، أو ضلالة، أو عدو،

ونحو ذلك من أنواع الحصر، الذي هو المنع.

***صحيح البخاري

5089 - عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ:

دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺعَلَى ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ،

فَقَالَ لَهَا: «لَعَلَّك أَرَدْتِ الحَجَّ؟»

قَالَتْ: وَاللَّهِ لاَأَجِدُنِي إِلَّا وَجِعَةً،

فَقَالَ لَهَا: " حُجِّي وَاشْتَرِطِي، وَقُولِي:

اللَّهُمَّ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي " وَ كَانَتْ تَحْتَ المِقْدَادِ بْنِ الأَسْوَدِ( )

(فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۖ)

(ضباعة) بنت الزبير بن عبد المطلب بنت عم رسول الله ﷺ(محلي) مكان تحللي من الحرام.

(حيث حبستني) هو المكان الذي قدرت لي فيه الإصابة بعلة المرض وعجزت عن الإتيان بالمناسك.

(تحت المقداد) زوجة له أي وهذا يدل على أن الكفاءة ليست معتبرة بالنسب وإلا لما جاز للمقداد أن يتزوج ضباعة وهي بنت أشراف القوم وهو كان حليفا متبنى

أي: فاذبحوا ما استيسر من الهدي، وهو سبع بدنة، أو سبع بقرة، أو شاة يذبحها المحصر،و يحلق و يحل من إحرامه بسبب الحصر كما فعل النبي ﷺ، لما صدهم المشركون عام الحديبية،

فإن لم يجد الهدي، فليصم بدله عشرة أيام كما في المتمتع ثم يحل.

ثم قال تعالى:

(وَلَا تَحۡلِقُواْ رُءُوسَكُمۡ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡهَدۡيُ مَحِلَّهُۥ)

وهذا من محظورات الإحرام، إزالـــــة الشعر، بحلق أو غيره،

لأن المعنى واحد من الرأس، أو من البدن،

لأن المقصود من ذلك، حصول الشعث والمنع من الترفه بإزالته، وهو موجود في بقية الشعر.

وقاس كثير من العلماء على إزالة الشعر، تقـــــليم الأظفار بجامع الترفه،

ويستمر المنع مما ذكر، حتى يبلغ الهدي محله، وهو يوم النحر([2])

والأفضل أن يكون الحلق بعد النحر، كما تدل عليه الآية.

ويستـــــــدل بهذه الآية:-

على أن المتمتع إذا ساق الهدي، لم يتحلل من عمرته قبل يوم النحر،

فإذا طاف وسعى للعمرة،أحرم بالحج،و لم يكن له إحلال بسبب سوق الهدي،

وإنما منع تبارك وتعالى من ذلك، لما فيه من الذل والخضوع لله والانكسار له،

والتواضع الذي هو عين مصلحة العبد، وليس عليه في ذلك من ضرر،

(فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوۡ بِهِۦٓ أَذٗى مِّن رَّأۡسِهِۦ فَفِدۡيَةٞ مِّن صِيَامٍ أَوۡ صَدَقَةٍ أَوۡ نُسُكٖۚ)

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

صحيح البخاري

1815 - عن كَعْبَ بْنَ عُجْرَةَ، قَالَ: وَقَفَ عَلَيّ رَسُولُ ﷺ بِالحُدَيْبِيَةِ وَرَأْسِي يَتَهَافَتُ قَمْلًا، فَقَالَ: «يُؤْذِيكَ هَوَامُّكَ؟»

قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: " فَاحْلِقْ رَأْسَكَ، أَوْ - قَالَ: احْلِقْ - "

قَالَ: فِيَّ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ{فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ أَذًى مِنْ رَأْسِهِ} **[البقرة: 196] إِلَى آخِرِهَا،**

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ:

«صُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، أَوْ تَصَدَّقْ بِفَرَقٍ بَيْنَ سِتَّةٍ، أَوْ انْسُكْ بِمَا تَيَسَّرَ»(1)

***صحيح البخاري**

4517 - عن سَمِعْتُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَعْقِلٍ، قَالَ:

قَعَدْتُ إِلَى كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ فِي هَذَا المَسْجِدِ يَعْنِي مَسْجِدَ الكُوفَةِ، فَسَأَلْتُهُ عَنْ فِدْيَةٌ مِنْ صِيَامٍ،

فَقَالَ: حُمِلْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَالقَمْلُ يَتَنَاثَرُ عَلَى وَجْهِي،

فَقَالَ: «مَا كُنْتُ أُرَى أَنَّ الْجَهْدَ قَدْ بَلَغَ بِكَ هَذَا، أَمَا تَجِدُ شَاةً».

قُلْتُ: لَا، قَالَ: «صُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ،

(يتهافت قملا) يتساقط منه القمل شيئا فشيئا.

(بفرق) مكيال كان معروفا في المدينة ويساوي تسعة ألتار تقريبا.

(انسك بما تيسر) اذبح ما تيسر لك من أنواع الهدي]

أَوْ أَطْعِمْ سِتَّةَ مَسَاكِينَ لِكُلِّ مِسْكِينٍ نِصْفُ صَاعٍ مِنْ طَعَامٍ، وَاحْلِقْ رَأْسَكَ»
فَنَزَلَتْ فِيَّ خَاصَّةً وَهْيَ لَكُمْ عَامَّةً
*** مَذْهَبُ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَعَامَّةُ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ يُخَيَّرُ فِي هَذَا الْمَقَامِ،
**إِنْ شَاءَ صَامَ، وَإِنْ شَاءَ تَصَدَّقُ بِفَرَق،
وَهُوَ ثَلَاثَةُ آصُعٍ، لِكُلِّ مِسْكِينٍ نصفُ صَاعٍ، وَهُوَ مُدّان،
**وَإِنْ شَاءَ ذَبَحَ شَاةً وَتَصَدَّقَ بِهَا عَلَى الْفُقَرَاءِ، أَيَّ ذَلِكَ فَعَلَ أَجْزَأَهُ.

-فإذا حصل الضرر بأن كان به أذى من مرض، ينتفع بحلق رأسه له، أو قروح،

أو قمل ونحو ذلك فإنه يحل له أن يحلق رأسه،

-ولكن يكون عليه فـــدية من:-

1-صيـــام ثلاثة أيام،

2-أو صـــدقة على ستة مساكين

3- أو نســـك ما يجزئ في أضحية، فهو مخير،

والنســـك أفضل، فالصـــدقة، فالصيـــام.

ومثل هذا، كل ما كان في معنى ذلك:-

من تقليم الأظفار، أو تغطية الرأس،أو لبس المخيط، أو الطيب،

فإنه يجوز عند الضرورة،

مع وجوب الفدية المذكورة لأن القصد من الجميع، إزالة ما به يترفه.

(فَإِذَآ أَمِنتُمۡ)

أي: بأن قدرتم على البيت من غير مانع عدو وغيره،

(فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلۡعُمۡرَةِ إِلَى ٱلۡحَجِّ)

بأن توصل بها إليه، وانتفع بتمتعه بعد الفراغ منها.

(فَمَا ٱسۡتَيۡسَرَ مِنَ ٱلۡهَدۡيِۚ)

أي: فعليه ما تيسر من الهدي، وهو ما يجزئ في أضحية، وهذا دم نسك،

مقابلة لحصول النسكين له في سَفْرةٍ واحدة،

و لإنعام الله عليه بحصول الانتفاع بالمتعة بعد فراغ العمرة،

وقبل الشروع في الحج، ومثلها القِران لحصول النسكين له.

ويدل مفهوم الآية، على أن المفرد للحج، ليس عليه هدي،

ودلت الآية، على جواز، بل فضيلة المتعة،

وعلى جواز فعلها في أشهر الحج.

*** إِذَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ أَدَاءِ الْمَنَاسِكِ، فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مُتَمتِّعًا بالعُمرة إِلَى الْحَجِّ،
وَهُوَ يَشْمَلُ مَنْ أَحْرَمَ بِهِمَا، أَوْ أَحْرَمَ بِالْعُمْرَةِ أَوَّلًا فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهَا أَحْرَمَ بِالْحَجِّ
وَهَذَا هُوَ التَّمَتُّعُ الْخَاصُّ، وَهُوَ الْمَعْرُوفُ فِي كَلَامِ الْفُقَهَاءِ.
وَالتَّمَتُّعُ الْعَامُّ يَشْمَلُ الْقِسْمَيْنِ، كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الأحاديثُ الصِّحَاحُ،
فَإِنَّ مِنَ الرُواة مَنْ يقولُ:
تَمَتَّعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَآخَرُ يَقُولُ: قَرَن. وَلَا خِلَافَ أَنَّهُ سَاقَ الْهَدْيَ.
وَقَالَ تَعَالَى: {فَمَنْ تَمَتَّعَ بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ}
أَيْ: فَلْيَذْبَحْ مَا قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْهَدْيِ، وَأَقَلُّهُ شَاةٌ، وَلَهُ أَنْ يَذْبَحَ الْبَقَرَ؛
لِأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺذَبَحَ عَنْ نِسَائِهِ الْبَقَرَ.

***صحيح البخاري

1709 - عن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَقُولُ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِﷺ ،
لِخَمْسٍ بَقِينَ مِنْ ذِي القَعْدَةِ، لاَ نُرَى إِلَّا الحَجَّ،

فَلَمَّا دَنَوْنَا مِنْ مَكَّةَ «أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ هَدْيٌ إِذَا طَافَ وَسَعَى بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَةِ أَنْ يَحِلَّ»

قَالَتْ: فَدُخِلَ عَلَيْنَا يَوْمَ النَّحْرِ بِلَحْمِ بَقَرٍ،

فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالَ: نَحَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَزْوَاجِهِ،

***وَ فِي هَذَا دَلِيلٌ عَلَى شَرْعِيَّةِ التَّمَتُّعِ،

صحيح البخاري

4518 - عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

" أُنْزِلَتْ آيَةُ المُتْعَةِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، فَفَعَلْنَاهَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ،

وَلَمْ يُنْزَلْ قُرْآنٌ يُحَرِّمُهُ، وَلَمْ يَنْهَ عَنْهَا حَتَّى مَاتَ، قَالَ: رَجُلٌ بِرَأْيِهِ مَا شَاءَ

(فَمَن لَّمۡ يَجِدۡ)

أي الهدي أو ثمنه

(فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٖ فِي ٱلۡحَجِّ)

أول جوازها من حين الإحرام بالعمرة، وآخرها ثلاثة أيام بعد النحر،

أيام رمي الجمار، والمبيت بـ « منى »

ولكن الأفضل منها، أن يصوم السابع، والثامن، والتاسع، ([3])

(وَسَبۡعَةٍ إِذَا رَجَعۡتُمۡۗ)

أي فرغتم من أعمال الحج، فيجوز فعلها في مكة،

وفي الطريق، وعند وصوله إلى أهله.

(تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ)

(ذَٰلِكَ)

المذكور من وجوب الهدي على المتمتع

(لِمَن لَّمْ يَكُنْ أَهْلُهُۥ حَاضِرِي ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ)

بأن كان عند مسافة قصر فأكثر، أو بعيدا عنه عرفات،

فهذا الذي يجب عليه الهدي، لحصول النسكين له في سفر واحد،

و أما من كان أهله من حاضري المسجد الحرام،

فليس عليه هدي لعدم الموجب لذلك.

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ)

أي: في جميع أموركم، بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه،

ومن ذلك، امتثالكم، لهذه المأمورات،

واجتناب هذه المحظورات المذكورة في هذه الآية.

(وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ)

أي: لمن عصاه، وهذا هو الموجب للتقوى،

فإن من خاف عقاب الله، انكف عما يوجب العقاب،

كما أن من رجا ثواب الله← عمل لما يوصله إلى الثواب،

وأما من لم يخف العقاب، ولم يرج الثواب← اقتحم المحارم، وتجرأ على ترك الواجبات.

---

[1] جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول

وأقول(الوادعي): لا داعي لإلغاء الروايتين أعني رواية النعمان والبراء مع صحتهما فالآية تشمل من ترك الجهاد وبخل وتشمل من أذنب وظن أن الله لا يغفر له ولا مانع من أن تكون الآية نزلت في الجميع

[2] العاشر من ذي الحجة

[3] قال الشيخ العدوي:-و اذا لم يستطع صيامها صامها أيام التشريق (11-12-13) من شهر ذي الحجة للترخيص الوارد في ذلك و الله أعلم

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ
فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ
وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا
مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ
ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ
ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ
إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ
كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ
ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ
ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

ٱلْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَٰتٌ ۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ
فِى ٱلْحَجِّ ۗ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَتَزَوَّدُوا۟ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ ۚ
وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٧﴾

يخبر تعالى أن (ٱلۡحَجُّ)

واقع في

(أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ)

عند المخاطبين، مشهورات، بحيث لا تحتاج إلى تخصيص،

كما احتاج الصيام إلى تعيين شهره، وكما بين تعالى أوقات الصلوات الخمس.

وأما الحج فقد كان من ملة إبراهيم، التي لم تزل مستمرة في ذريته معروفة بينهم.

والمراد بالأشهر المعلومات عند جمهور العلماء:-

1- شـــــوال

2-و ذو القعــــــدة

3-و عشر من ذي الحجـــــة، فهي التي يقع فيها الإحرام بالحج غالبا.

(فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ)

أي: أحرم به، لأن الشروع فيه يصيره فرضا، ولو كان نفلا.

-واستدل بهذه الآية الشافعي ومن تابعه، على أنه :-

لا يجوز الإحرام بالحج قبل أشهره، قلت لو قيل: إن فيها دلالة لقول الجمهور، بصحة الإحرام بالحج قبل أشهره لكان قريبا،

فإن قوله:(فَمَنْ فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ)

دليل على أن الفرض قد يقع في الأشهر المذكورة وقد لا يقع فيها،

وإلا لم يقيده.

وقوله: (فَلَا رَفَثَ)

أي: يجب أن تعظموا الإحرام بالحج، وخصوصا الواقع في أشهره،

وتصونوه عن كل ما يفسده أو ينقصه،من الرفث وهو الجماع و مقـــدماته

[الفعـــــلية و القــــولية] خصوصا عند النساء بحضرتهن.

*** كَمَا قَالَ تَعَالَى: {أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ}
[الْبَقَرَة: 187]

وَكَذَلِكَ يَحْرُمُ تَعَاطِي دَوَاعِيهِ مِنَ الْمُبَاشَرَةِ وَالتَّقْبِيلِ وَنَحْوِ ذَلِكَ، وَكَذَا التَّكَلُّمُ بِهِ بِحَضْرَةِ النِّسَاءِ.

(وَلَا فُسُوقَ)

والفسوق وهو: جميع المعاصي، ومنها محظورات الإحرام.

*** الفسوقُ هَا هُنَا السِّبَابُ

(وَلَا جِدَالَ فِي ٱلْحَجِّۗ)

والجــــدال وهو: الممـــــاراة والمنــــازعة والمخـــاصمة،

لكونها تثـــــير الشر، وتــــوقع العداوة.

-والمقصـــــود من الحـــــج:-

1- الــــذل والانكســـــار لله،

2-و التقـــــرب إليه بما أمكن من القربات،

3-و التنــــزه عن مقارفة السيئات،

فإنه بذلك يكون مبرورا والمبرور، ليس له جزاء إلا الجنة،

وهذه الأشياء وإن كانت ممنوعة في كل مكان وزمان،

فإنها يتغلظ المنع عنها في الحج.

واعلم أنه لا يتم التقرب إلى الله بترك المعاصي حتى يفعل الأوامر، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ﴾

أتى بـ « من » لتنصيص على العموم، فكل خير وقربة وعبادة، داخل في ذلك،

أي: فإن الله به عليم،

وهذا يتضمن غاية الحث على أفعال الخير، وخصوصا في تلك البقاع الشريفة والحرمات المنيفة،

فإنه ينبغي تدارك ما أمكن تداركه فيها من

[صـــــلاة، وصيـــــام، وصـــــدقة، وطـــــواف، وإحسان قولي وفعلي].

﴿وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۚ﴾

*** صحيح البخاري

1523 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

" كَانَ أَهْلُ اليَمَنِ يَحُجُّونَ وَلاَ يَتَزَوَّدُونَ،

وَيَقُولُونَ: نَحْنُ المُتَوَكِّلُونَ،

فَإِذَا قَدِمُوا مَكَّةَ سَأَلُوا النَّاسَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى:

{وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى} [البقرة: 197][( )

*** لَمَّا أَمَرَهُمْ بِالزَّادِ لِلسَّفَرِ فِي الدُّنْيَا أَرْشَدَهُمْ إِلَى زَادِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ اسْتِصْحَابُ التَّقْوَى إِلَيْهَا، كَمَا قَالَ:

{وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ} [الْأَعْرَافِ: 26] .

لَمَّا ذَكَرَ اللَّبَاسَ الْحِسِّيَّ نَبّه مُرْشِدًا إِلَى [اللَّبَاسِ الْمَعْنَوِيِّ]، وَهُوَ الْخُشُوعُ، وَالطَّاعَةُ وَالتَّقْوَى، وَذَكَرَ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ هَذَا، وَأَنْفَعُ.

–ثم أمر تعالى بالتزود لهذا السفر المبارك،

فإن التزود فيه الاستغناء عن المخلوقين، والكف عن أموالهم،

سؤالا واستشرافا،

–و في الإكثار منه نفع وإعانة للمسافرين، وزيادة قربة لرب العالمين،

وهذا الزاد الذي المراد منه إقامة البنية بلغة ومتاع.

وأما الزاد الحقيقي المستمر نفعه لصاحبه، في دنياه، وأخراه فهو:–

زاد التقوى الذي هو زاد إلى دار القرار، وهو الموصل لأكمل لذة، وأجل نعيم دائم أبدا،

–و من ترك هذا الزاد، فهو المنقطع به الذي هو عرضة لكل شر،

(المتوكلون) المعتمدون على الله عز وجل ولا يكون المتوكل شرعيا إلا إذا أخذ بالأسباب المادية المألوفة وإلا فهو تواكل.

(تزودوا) خذوا معكم من الزاد ما يبلغكم سفركم وتستغنون به عن سؤال الناس. (التقوى) خشية الله تعالى والعمل للآخرة ومنه عدم التواكل. هذا مع إشارة إلى أن التزود للآخرة أولى بالاهتمام من التزود لسفر الدنيا.

وممنوع من الوصول إلى دار المتقين. فهذا مدح للتقوى.

ثم أمر بها أولي الألباب فقال:

(وَٱتَّقُونِ يَـٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ)

أي: يا أهل العقول الرزينة، اتقوا ربكم الذي تقواه أعظم ما تأمر به العقول، وتركها دليل على الجهل، وفساد الرأي.

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَـٰتٍ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِ ۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَـٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ)

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

صحيح البخاري

2050 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ:

"كَانَتْ عُكَاظٌ، وَمَجَنَّةُ، وَذُو المَجَازِ، أَسْوَاقًا فِي الجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا كَانَ الإِسْلاَمُ، فَكَأَنَّهُمْ تَأَثَّمُوا فِيهِ، فَنَزَلَتْ:

{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ} [البقرة: 198]

فِي مَوَاسِمِ الحَجِّ " قَرَأَهَا ابْنُ عَبَّاسٍ()

-لما أمر تعالى بالتقوى، أخبر تعالى أن ابتغاء فضل الله بالتكسب في مواسم الحج وغيره، ليس فيه حـــــــرج إذا لم:-

1-يشغل عما يجب إذا كان المقصود هو الحج،

2-و كان الكسب حلالا منسوبا إلى فضل الله، لا منسوبا إلى حذق العبد، و الوقوف مع السبب، ونسيان المُسَبِبِ، فإن هذا هو الحرج بعينه.

وفي قوله:

(فَإِذَآ أَفَضۡتُم مِّنۡ عَرَفَٰتٖ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلۡمَشۡعَرِ ٱلۡحَرَامِۖ)

(ٱلۡمَشۡعَرِ)

(أسواقا) يتاجرون فيها في موسم الحج.

(تأثموا فيه) اجتنبوا التجارة في موسم الحج احترازا عن الإثم وخشية أن يذهب الأجر.

(مواسم) جمع موسم وهو وقت الاجتماع للتجارة ونحوها سمي بذلك لأنه معلم يجتمع الناس إليه.

(قرأها .) أي قرأ هذه اللفظة " في مواسم الحج "في جملة القرآن وهو خلاف المشهور فهي قراءة شاذة ولها حكم حديث الآحاد فتكون تفسيرا للآية وليست بقرآن]

***المعالم الظاهرة و انما سميت المزدلفة بالمشعر الحرام لانها داخل الحرم

-دلالـــــة على أمور: -

أحدها: الوقوف بعرفة، وأنه كان معروفا أنه ركن من أركان الحج،

فالإفاضة من عرفات، لا تكون إلا بعد الوقوف.

الثاني: الأمر بذكر الله عند المشعر الحرام، وهو المزدلفة، وذلك أيضا

معروف، يكون ليلة النحر بائتا بها، وبعد صلاة الفجر،

يقف في المزدلفة داعيا، حتى يسفر جدا،

ويدخل في ذكر الله عنده، إيقاع الفرائض والنوافل فيه.

الثالث: أن الوقوف بمزدلفة، متأخر عن الوقوف بعرفة، كما تدل عليه الفاء

والترتيب.

الرابع، والخامس: أن عرفات ومزدلفة، كلاهما من مشاعر الحج المقصود

فعلها، وإظهارها.

السادس: أن مزدلفة في الحرم، كما قيده بالحرام.

السابع: أن عرفة في الحل، كما هو مفهوم التقييد بـ « مزدلفة »

*** سنن الترمذي ت شاكر

2975 عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَعْمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

" الحَجُّ عَرَفَاتٌ، الحَجُّ عَرَفَاتٌ، الحَجُّ عَرَفَاتٌ، أَيَّامُ مِنًى ثَلَاثٌ

{فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ} [البقرة: 203]

وَمَنْ أَدْرَكَ عَرَفَةَ قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ الفَجْرُ فَقَدْ أَدْرَكَ الحَجَّ "

*** وَوَقْتُ الْوُقُوفِ مِنَ الزَّوَالِ يومَ عَرَفَةَ إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ الثَّانِي مِنْ يَوْمِ النَّحْرِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺوَقَفَ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ، بَعْدَ أَنْ صَلَّى الظُّهْرَ إِلَى أَنْ غَرَبَتِ الشَّمْسُ، وَقَالَ: "لتأخُذوا عَنِّي مَنَاسككُمْ"

*** وَقَالَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: "فَمَنْ أَدْرَكَ عَرَفَةَ قَبْلَ أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ فَقَدْ أَدْرَكَ" وَهَذَا مَذْهَبُ مَالِكٍ، وَأَبِي حَنِيفَةَ،

*** وَذَهَبَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ إِلَى أَنَّ وَقْتَ الْوُقُوفِ مِنْ أَوَّلِ يَوْمِ عَرَفة.

وَاحْتَجُّوا بِحَدِيثِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ عُرْوَةَ بْنِ مُضَرِّسِ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ لَامٍ الطَّائِيِّ

***في سنن أبي داود

1950 - عن عُرْوَةُ بْنُ مُضَرِّسٍ الطَّائِيُّ، قَالَ:

أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْمَوْقِفِ يَعْنِي بِجَمْعٍ قُلْتُ:

جِئْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ جَبَلِ طَيِّئٍ أَكْلَلْتُ مَطِيَّتِي وَأَتْعَبْتُ نَفْسِي

وَاللَّهِ مَا تَرَكْتُ مِنْ حَبْلٍ إِلَّا وَقَفْتُ عَلَيْهِ فَهَلْ لِي مِنْ حَجٍّ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«مَنْ أَدْرَكَ مَعَنَا هَذِهِ الصَّلَاةَ، وَأَتَى عَرَفَاتَ، قَبْلَ ذَلِكَ لَيْلًا أَوْ نَهَارًا،

فَقَدْ تَمَّ حَجُّهُ، وَقَضَى تَفَثَهُ»

***وفي حديث جابر الطويل صحيح مسلم **1218**

(..... حَتَّى أَتَى الْمُزْدَلِفَةَ، فَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ،

وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا شَيْئًا،

ثُمَّ اضْطَجَعَ رَسُولُ اللهِ ﷺحَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ، وَصَلَّى الْفَجْرَ،

حِينَ تَبَيَّنَ لَهُ الصُّبْحُ، بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ،

ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ، حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ،

فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَدَعَاهُ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ،

فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفًا حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا، فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ)

﴿وَٱذۡكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمۡ وَإِن كُنتُم مِّن قَبۡلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾

أي: اذكروا الله تعالى كما منّ عليكم بالهداية بعد الضلال،

وكما علمكم ما لم تكونوا تعلمون،

فهذه من أكبر النعم، التي يجب شكرها ومقابلتها بذكر المنعم بالقلب واللسان.

﴿لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾

***مِنْ قَبْلِ هَذَا الْهَدْيِ، وَقَبْلَ الْقُرْآنِ، وَقَبْلَ الرَّسُولِ،

وَالْكُلُّ مُتَقَارِبٌ، وَمُتَلَازِمٌ، وَصَحِيحٌ.

﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنۡ حَيۡثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ﴾

***(ثُمَّ)هَاهُنَا لِعَطْفِ خَبَرٍ عَلَى خَبَرٍ وَتَرْتِيبِهِ عَلَيْهِ،
كَأَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ الْوَاقِفَ بِعَرَفَاتٍ أَنْ يَدْفَعَ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ،
لِيَذْكُرَ اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ،
وَأَمَرَهُ أَنْ يَكُونَ وُقُوفُهُ مَعَ جُمْهُورِ النَّاسِ بِعَرَفَات،
كَمَا كَانَ جُمْهُورُ النَّاسِ يَصْنَعُونَ، يَقِفُونَ بِهَا إِلَّا قُرَيْشًا،
فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَخْرُجُونَ مِنَ الْحَرَمِ،
فَيَقِفُونَ فِي طَرَفِ الْحَرَمِ عِنْدَ أَدْنَى الحِل،
وَيَقُولُونَ: نَحْنُ أَهْلُ اللَّهِ فِي بَلَدَتِهِ، وقُطَّانُ بَيْتِهِ.

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

صحيح البخاري

1665عَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ، قَالَ عُرْوَةُ:
«كَانَ النَّاسُ يَطُوفُونَ فِي الجَاهِلِيَّةِ عُرَاةً إِلَّا الحُمْسَ،
وَالحُمْسُ قُرَيْشٌ وَمَا وَلَدَتْ،
وَكَانَتِ الحُمْسُ يَحْتَسِبُونَ عَلَى النَّاسِ،
يُعْطِي الرَّجُلُ الرَّجُلَ الثِّيَابَ يَطُوفُ فِيهَا،
وَتُعْطِي المَرْأَةُ المَرْأَةَ الثِّيَابَ تَطُوفُ فِيهَا،
فَمَنْ لَمْ يُعْطِهِ الحُمْسُ طَافَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانًا،
وَكَانَ يُفِيضُ جَمَاعَةُ النَّاسِ مِنْ عَرَفَاتٍ،
وَيُفِيضُ الحُمْسُ مِنْ جَمْعٍ»
قَالَ: وَأَخْبَرَنِي أَبِي، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا "
أَنَّ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ فِي الحُمْسِ:
ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ} [البقرة: 199]
قَالَ: كَانُوا يُفِيضُونَ مِنْ جَمْعٍ، فَدُفِعُوا إِلَى عَرَفَاتٍ "()
* صحيح البخاري
4520 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا:
«كَانَتْ قُرَيْشٌ وَمَنْ دَانَ دِينَهَا يَقِفُونَ بِالْمُزْدَلِفَةِ،
وَكَانُوا يُسَمَّوْنَ الحُمْسَ، وَكَانَ سَائِرُ العَرَبِ يَقِفُونَ بِعَرَفَاتٍ،
فَلَمَّا جَاءَ الإِسْلاَمُ أَمَرَ اللَّهُ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يَأْتِيَ عَرَفَاتٍ، ثُمَّ يَقِفَ بِهَا،

(يحتسبون على الناس) يعطونهم حسبة بدون مقابل.
(يفيض) يدفع من عرفة.
(جماعة الناس) باقي الناس غير قريش.
(جمع) مزدلفة.

ثُمّ يُفِيضَ مِنْهَا» فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى:

{ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ} [البقرة: 199]

أي: ثم أفيضوا من مزدلفة من حيث أفاض الناس، من لدن إبراهيم عليه السلام إلى الآن، والمقصود من هذه الإفاضة كان معروفا عندهم، وهو:-

1-رمي الجمار

2-و ذبح الهدايا

3-و الطواف

4-و السعي،

5-و المبيت بـ « منى » ليالي التشريق

6-و تكميل باقي المناسك.

﴿وَٱسۡتَغۡفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾

*** كَثِيراً مَا يَأْمُرُ اللَّهُ بِذِكْرِهِ بَعْدَ قَضاءِ الْعِبَادَاتِ

كما في صحيح مسلم

عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلَاتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلَاثًا

﴿فَإِذَا قَضَيۡتُم مَّنَٰسِكَكُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ﴾

ولما كانت هذه الإفاضة، يقصد بها ما ذكر، والمذكورات آخر المناسك، أمر تعالى عند الفراغ منها باستغفاره والإكثار من ذكره،

(دان دينها) اتبع طريقها.

(سائر) باقي

فالاستغفار للخلل الواقع من العبد، في أداء عبادته وتقصيره فيها،

وذكر الله شكر الله على إنعامه عليه بالتوفيق لهذه العبادة العظيمة والمنة الجسيمة.

<u>-وهكذا ينبغي للعبد، كلما فـــــرغ من عبادة، أن:-</u>

1-يستغفـــــر الله عن التقصيـــــر،

2-و يشكـــــره على التوفيــــق،

-لا كمن يرى أنه قد أكمل العبادة، و مَنَّ بها على ربه،

و جعلت له محلا و منزلة رفيعة، فهذا حقيق بالمقت،و رد الفعل،

كما أن الأول،حقيق بالقبول و التوفيق لأعمال أخر.

(كَذِكۡرِكُمۡ ءَابَآءَكُمۡ أَوۡ أَشَدَّ ذِكۡرٗاۗ)

*****اخْتَلَفُوا فِي مَعْنَاهُ عَنْ عَطَاءٍ:-**

هُوَ كَقَوْلِ الصَّبِيِّ:"أَبَهْ أَمَّهْ"، يَعْنِي:كَمَا يَلْهَج الصَّبِيُّ بِذِكْرِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَكَذَلِكَ أَنْتُمْ،فَالْهَجُوا بِذِكْرِ اللَّهِ بَعْدَ قَضَاءِ النُّسُكِ.

-ثم أخبر تعالى عن أحوال الخلق، وأن الجميع يسألونه مطالبهم،

ويستدفعونه ما يضرهم، ولكن مقاصدهم تختلف، فمنهم:

(وَمِنۡهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا)

*****وذَمَّ مَنْ لَا يَسْأَلُهُ إِلَّا فِي أَمْرِ دُنْيَاهُ،**

أي: يسأله من مطالب الدنيا ما هو من شهواته،

(وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖ)

*** وَهُوَ مُعْرِضٌ عَنْ أُخْرَاهُ

وليس له في الآخرة من(خَلَـٰقٍ): نصيب، لرغبته عنها، وقصر همته على الدنيا،

(وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً)

ومنهم من يدعو الله لمصلحة الدارين، ويفتقر إليه في مهمات دينه ودنياه،

وكل من هؤلاء وهؤلاء، لهم نصيب من كسبهم وعملهم،

وسيجازيهم تعالى على حسب أعمالهم، وهماتهم ونياتهم،

جزاء دائرا بين العدل والفضل، يحمد عليه أكمل حمد وأتمه،

وفي هذه الآية دليل على أن:-

-الله يجيب دعوة كل داع، مسلما أو كافرا، أو فاسقا،

-ولكن ليست إجابته دعاء من دعاه، دليلا على محبته له وقربه منه،

[إلا في مطالب الآخرة ومهمات الدين].

والحسنة المطلوبة في الدنيا يدخل فيها كل ما يَحْسُن وقعه عند العبد من:-

1-رزق هنـــــيء واسع حلال،

2-و زوجـــــة صالحة،

3-و ولــــد تقر به العين،

4-و راحــــة،

5-و علــــم نافع،

6–و عمـــــل صالح، ونحو ذلك، من المطالب المحبوبة والمباحة.

وحسنـــــة الآخرة، هي:–

1–السلامة من العقوبات، في [القبر، والموقف، والنار]

[*** الْأَمْنِ مِنَ الْفَزَعِ الْأَكْبَرِ فِي العَرَصات]

2-*** وَتَيْسِيرِ الْحِسَابِ

3–وحصول رضا الله،

4–والفوز بالنعيم المقيم،

5–والقرب من الرب الرحيم،

فصار هذا الدعاء، أجمع دعاء وأكمله، وأولاه بالإيثار،

ولهذا كان النبي ﷺيكثر من الدعاء به، والحث عليه.

(وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ)

وَأَمَّا النَّجَـــــاةُ مِنَ النَّارِ فَهُوَ يَقْتَضِي تَيْسِيرَ أَسْبَابِهِ فِي الدُّنْيَا، مِنَ:-

1-اجْتِنَـــــــــابِ الْمَحَـــــــــــــارِمِ وَالْآثَـــــــامِ

2- وَتَــــــــــــرْكِ الشُّبَهَـــــــــــــاتِ وَالْحَـــــــرَامِ.

***صحيح مسلم

(2690) سَأَلَ قَتَادَةُ أَنَسًا أَيُّ دَعْوَةٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَ،
قَالَ: كَانَ أَكْثَرُ دَعْوَةٍ يَدْعُو بِهَا يَقُولُ:
«اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»
قَالَ: وَكَانَ أَنَسٌ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدَعْوَةٍ دَعَا بِهَا،
فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْعُوَ بِدُعَاءٍ دَعَا بِهَا فِيهِ

***صحيح مسلم

688 عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، عَادَ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَدْ خَفَتَ فَصَارَ مِثْلَ الْفَرْخِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى ﷺ:
«هَلْ كُنْتَ تَدْعُو بِشَيْءٍ أَوْ تَسْأَلُهُ إِيَّاهُ؟ »
قَالَ: نَعَمْ، كُنْتُ أَقُولُ:
اللهُمَّ مَا كُنْتَ مُعَاقِبِي بِهِ فِي الْآخِرَةِ فَعَجِّلْهُ لِي فِي الدُّنْيَا،
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:" سُبْحَانَ اللهِ لَا تُطِيقُهُ - أَوْ لَا تَسْتَطِيعُهُ - أَفَلَا قُلْتَ:
اللهُمَّ آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ "
قَالَ: فَدَعَا اللهَ لَهُ، فَشَفَاهُ.( )

(أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ)

*الميسر:أولئك الداعون بهذا الدعاء لهم ثواب عظيم بسبب ما كسبوه من الأعمال الصالحة.

(وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ)

*أيسر التفاسير:فيعجل لهم تقديم الثواب وهو الجنة

*الميسر:مُحْصٍ أعمال عباده، ومجازيهم بها.

(مثل الفرخ) أي ضعف

(في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة) أظهر الأقوال في تفسير الحسنة في الدنيا أنها العبادة والعافية وفي الآخرة الجنة والمغفرة]

۞ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ
وَمَن تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ
﴿٢٠٣﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي
قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ
ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ
بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٢٠٦﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي
نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ
لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ
فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ
ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ﴿٢١٠﴾

وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوۡمَيۡنِ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِ وَمَن
تَأَخَّرَ فَلَآ إِثۡمَ عَلَيۡهِۖ لِمَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ

(وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ فِيٓ أَيَّامٖ مَّعۡدُودَٰتٖۚ)

يأمر تعالى بذكره في الأيام المعدودات،

و هي أيام التشريق(1) الثلاثة بعد العيد، لمزيتها وشرفها،

و كون بقية أحكام المناسك تفعل بها،

ولكون الناس أضيافا لله فيها، ولهذا حرم صيامها،

فللذكر فيها مزية ليست لغيرها،ولهذا قال النبي ﷺ في صحيح مسلم:-

1141- عَنْ نُبَيْشَةَ الْهُذَلِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ

«أَيَّامُ التَّشْرِيقِ أَيَّامُ أَكْلٍ وَشُرْبٍ»

ويدخل في ذكر الله فيها، ذكره عند رمي الجمار، وعند الذبح،

والذكر المقيد عقب الفرائض، بل قال بعض العلماء:

إنه يستحب فيها التكبير المطلق، كالعشـــــــر، وليس ببعيد.

*** ذِكْرُ اللَّهِ عَلَى الْأَضَاحِيِّ، وَقَدْ تَقَدَّمَ،

وَيَتَعَلَّقُ بِهِ أَيْضًا الذِّكْرُ الْمُؤَقَّتُ خَلْفَ الصَّلَوَاتِ، وَالْمُطْلَقُ فِي سَائِرِ الْأَحْوَالِ.

وَفِي وَقْتِهِ أَقْوَالٌ لِلْعُلَمَاءِ، وَأَشْهَرُهَا الذِي عَلَيْهِ الْعَمَلُ أنَّه:-

مِنْ صَلَاةِ الصُّبْحِ يَوْمَ عَرَفَةَ إِلَى صَلَاةِ الْعَصْرِ مِنْ آخِرِ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ،

وَهُوَ آخِرُ النَّفْرِ الآخِرِ.

*** صحيح البخاري

جاء فِي (بَابُ التَّكْبِيرِ أَيَّامَ مِنًى، وَإِذَا غَدَا إِلَى عَرَفَةَ)

وَكَانَ عُمَـــــــــــرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

«يُكَبِّرُ فِي قُبَّتِهِ بِمِنًى فَيَسْمَعُهُ أَهْلُ المَسْجِدِ،

---

(1) القاموس المحيط (ص: 897):أيامُ التَّشْرِيقِ، أو: لأنَّ الهَدْيَ لا يُنْحَرُ حتى تَشْرُقَ الشمسُ.

فَيُكَبِّرُونَ وَيُكَبِّرُ أَهْلُ الأَسْوَاقِ حَتَّى تَرْتَجَّ مِنًى تَكْبِيراً»
وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ «يُكَبِّرُ بِمِنًى تِلْكَ الأَيَّامَ،
وَخَلْفَ الصَّلَوَاتِ
وَعَلَى فِرَاشِهِ
وَفِي فُسْطَاطِهِ وَمَجْلِسِهِ،
وَمَمْشَاهُ تِلْكَ الأَيَّامَ جَمِيعًا»
وَكَانَتْ مَيْمُونَةُ: «تُكَبِّرُ يَوْمَ النَّحْرِ»
-وَكُنَّ «النِّسَاءُ يُكَبِّرْنَ خَلْفَ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ، وَعُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ
لَيَالِيَ التَّشْرِيقِ مَعَ الرِّجَالِ فِي المَسْجِدِ»( )
***وَيَتَعَلَّقُ بِذَلِكَ أَيْضًا التكبيرُ وَذِكْرُ اللَّهِ عِنْدَ رَمْيِ الْجَمَرَاتِ كُلَّ يَوْمٍ مِنْ أَيَّامِ
التَّشْرِيقِ

(فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ)

أي: خرج من « منى » ونفر منها قبل غروب شمس اليوم الثاني

(فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ)

بأن بات بها ليلة الثالث ورمى من الغد

(فَلَآ إِثْمَ عَلَيْهِ)

وهذا تخفيف من الله تعالى على عباده،

(فسطاطه) بيت من شعر ونحوه وربما كان له أورقة حوله وعند بابه.
(يكبرن) تكبير النساء هذا مشروط بعدم ارتفاع الصوت وتليينه والتكسر فيه
حتى لا تقع فتنة]

-في إبـــــاحة كلا الأمرين،و لكن من المعلوم أنه إذا أبيح كلا الأمرين، فالمتأخر أفضل، لأنه أكثـــــر عبادة.

و لما كان نفي الحرج قد يُفْهمُ منه نفي الحرج في ذلك المذكور و في غيره،

و الحاصل أن الحرج منفي عن المتقدم، والمتأخر فقط قيده بقوله:

(لِمَنِ ٱتَّقَىٰ)

أي: اتقى الله في جميع أموره، و أحوال الحج،

فمن اتقى الله في كل شيء، حصل له نفي الحرج في كل شيء،

و من اتقاه في شيء دون شيء،كان الجزاء من جنس العمل.

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ)

بامتثال أوامره واجتناب معاصيه،

(وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)

*****وَلَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى النَّفْرَ الْأَوَّلَ وَالثَّانِيَ، وَهُوَ تَفَرُّقُ النَّاسِ مِنْ مَوْسِمِ الْحَجِّ إِلَى سَائِرِ الْأَقَالِيمِ وَالْآفَاقِ بَعْدَ اجْتِمَاعِهِمْ فِي الْمَشَاعِرِ وَالْمَوَاقِفِ،**

قَالَ: {وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ}

أَيْ: تَجْتَمِعُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

كَمَا قَالَ:{وَهُوَ الَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى الأرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ} [الْمُؤْمِنُونَ: 79] .

-فمجازيكم بأعمالكم، فمن اتقاه، وجد جزاء التقوى عنده،

ومن لم يتقه، عاقبه أشد العقوبة،

فالعلم بالجزاء من أعظم الدواعي لتقوى الله،

فلهذا حث تعالى على العلم بذلك.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا وَيُهۡلِكَ ٱلۡحَرۡثَ وَٱلنَّسۡلَۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ فَحَسۡبُهُۥ جَهَنَّمُۖ وَلَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ

لما أمر تعالى بالإكثار من ذكره، وخصوصا في الأوقات الفاضلة الذي هو خير ومصلحة وبر، أخبر تعالى بحال من يتكلم بلسانه ويخالف فعله قوله،
فالكلام إما أن يرفع الإنسان أو يخفضه فقال:

(وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا)

***: أَنَّهُ يُظْهِرُ لِلنَّاسِ الْإِسْلَامَ ويبارزُ اللَّهَ بِمَا فِي قَلْبِهِ مِنَ الْكُفْرِ وَالنِّفَاقِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: {يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ} الْآيَةَ [النِّسَاءِ: 108]

***وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّهُ إِذَا أَظْهَرَ لِلنَّاسِ الْإِسْلَامَ حَلَف وَ أَشْهَدَ اللَّهَ لَهُمْ:- -أَنَّ الذِي فِي قَلْبِهِ مُوَافِقٌ لِلِسَانِهِ. وَهَذَا الْمَعْنَى صَحِيحٌ،

أي:إذا تكلم راق كلامه للسامع، وإذا نطق، ظننته يتكلم بكلام نافع، ويؤكد ما يقول ((بأن من صفته))

(وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ)

بأن يخبر أن الله يعلم، أن ما في قلبه موافق لما نطق به، وهو كاذب في ذلك، [لأنه يخالف قوله فعله].

فلو كان صادقا، لتوافق القول والفعل، كحال المؤمن غير المنافق، فلهذا قال:

(وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ)

***الْأَلَدُّ فِي اللُّغَةِ: هُوَ الْأَعْوَجُ،كقوله {وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا} [مَرْيَمَ:97]
أَيْ: عُوجًا. وَهَكَذَا الْمُنَافِقُ فِي حَالِ خُصُومَتِهِ، يَكْذِبُ، ويَزْوَرّ عَنِ الْحَقِّ وَلَا يَسْتَقِيمُ مَعَهُ، بَلْ يَفْتَرِي وَيَفْجُرُ،
كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺأَنَّهُ قَالَ:
"آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ".
***صحيح البخاري
4523 - عَنْ عَائِشَةَ، تَرْفَعُهُ قَالَ: «أَبْغَضُ الرِّجَالِ إِلَى اللَّهِ الأَلَدُّ الخَصِمُ»
أي: إذا خاصمته، وجدت فيه من اللـــــدد و الصعـــــوبة و التعصــــــب،

وما يترتب على ذلك، ما هو من مقابح الصفات، ليس كأخلاق المؤمنين،

الذين جعلوا السهولة مركبهم، والانقياد للحق وظيفتهم، والسماحة سجيتهم.

(وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ)

***هُوَ أَعْوَجُ الْمَقَالِ، سَيِّئُ الفعَال، فَذَلِكَ قَوْلُهُ، وَهَذَا فِعْلُهُ: كَلَامُهُ كَذِب، وَاعْتِقَادُهُ فَاسِدٌ، وَأَفْعَالُهُ قَبِيحَةٌ.
وَالسَّعْيُ هَاهُنَا هُوَ: الْقَصْد. كَمَا قَالَ إِخْبَارًا عَنْ فِرْعَوْنَ:

{ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى * فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى} [النَّازِعَاتِ: 22-26] ،

وَقَالَ تَعَالَى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ} [الْجُمُعَةِ: 9]

أَيِ: اقْصُدُوا وَاعْمَدُوا نَاوِينَ بِذَلِكَ صَلَاةَ الْجُمُعَةِ،

فَإِنَّ السَّعْيَ الْحِسِّيَّ إِلَى الصَّلَاةِ مَنْهِيٌّ عَنْهُ بِالسُّنَّةِ النَّبَوِيَّةِ:

في صحيح مسلم

602عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ:

«إِذَا ثُوِّبَ لِلصَّلَاةِ فَلَا تَأْتُوهَا وَأَنْتُمْ تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ،

فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا،

فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ»

فَهَذَا الْمُنَافِقُ لَيْسَ لَهُ هِمَّةٌ إِلَّا الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ

(وَإِذَا تَوَلَّىٰ)

هذا الذي يعجبك قوله إذا حضر عندك

(سَعَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُفۡسِدَ فِيهَا)

أي: يجتهد على أعمال المعاصي، التي هي إفساد في الأرض

(وَيُهۡلِكَ)

بسبب ذلك

(ٱلۡحَرۡثَ)

فالزروع و الثمار

(وَٱلنَّسۡلَ)

و المواشي، تتلف و تنقص، و تقل بركتها، بسبب العمل في المعاصي،

(وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَسَادَ)

وإذا كان لا يحب الفساد، فهو يبغض العبد المفسد في الأرض، غاية البغض،

وإن قال بلسانه قولا حسنا.

ففي هذه الآية دليل على:-

1-أن الأقوال التي تصدر من الأشخاص،ليست دليلا على صدق ولا كذب،

ولا بر ولا فجور حتى يوجد العمل المصدق لها، المزكي لها

2-وأنه ينبغي اختبار أحوال الشهود، والمحق والمبطل من الناس،

بسبر أعمالهم، والنظر لقرائن أحوالهم،

وأن لا يغتر بتمويههم وتزكيتهم أنفسهم.

(وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ)

ثم ذكر أن هذا المفسد في الأرض بمعاصي الله، إذا أمر بتقوى الله تكبر

وأنف، و

(أَخَذَتۡهُ ٱلۡعِزَّةُ بِٱلۡإِثۡمِۚ)

فيجمع بين العمل بالمعاصي و الكبر على الناصحين.

(فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُۚ)

التي هي دار العاصين و المتكبرين،

(وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ)

أي: المستقر و المسكن، عذاب دائم، و هم لا ينقطع،

و يأس مستمر، لا يخفف عنهم العذاب، و لا يرجون الثواب،

جزاء لجناياتهم ومقابلة لأعمالهم، فعياذا بالله من أحوالهم.

وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٢٠٧﴾

*جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:

المستدرك على الصحيحين للحاكم

5700 - عَنْ عِكْرِمَةَ، قَالَ: لَمَّا خَرَجَ صُهَيْبٌ مُهَاجِراً تَبِعَهُ أَهْلُ مَكَّةَ فَنَثَلَ كِنَانَتَهُ، فَأَخْرَجَ مِنْهَا أَرْبَعِينَ سَهْماً، فَقَالَ:

«لَا تَصِلُونَ إِلَيَّ حَتَّى أَضَعَ فِي كُلِّ رَجُلٍ مِنْكُمْ سَهْماً،

ثُمَّ أَصِيرَ بَعْدُ إِلَى السَّيْفِ فَتَعْلَمُونَ أَنِّي رَجُلٌ،

وَقَدْ خَلَّفْتُ بِمَكَّةَ قَيْنَتَيْنِ فَهُمَا لَكُمْ»

*قَالَ: عَنْ أَنَسٍ - نَحْوَهُ –و نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ:

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ }

فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺقَالَ: «أَبَا يَحْيَى رَبِحَ الْبَيْعُ»

قَالَ: وتلاعَلَيْهِ الْآيَةَ

هؤلاء هم الموفقون الذين باعوا أنفسهم وأرخصوها وبذلوها طلبا لمرضاة الله ورجاء لثوابه، فهم بذلوا الثمن للمليء الوفيّ الرءوف بالعباد، الذي من رأفته ورحمته أن وفقهم لذلك، وقد وعد الوفاء بذلك، فقال:

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشۡتَرَىٰ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَنفُسَهُمۡ وَأَمۡوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلۡجَنَّةَۚ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقۡتُلُونَ وَيُقۡتَلُونَۖ وَعۡدًا عَلَيۡهِ حَقّٗا فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِ وَٱلۡإِنجِيلِ وَٱلۡقُرۡءَانِۚ وَمَنۡ أَوۡفَىٰ بِعَهۡدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِۚ فَٱسۡتَبۡشِرُواْ بِبَيۡعِكُمُ ٱلَّذِي بَايَعۡتُم بِهِۦۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ التوبة: ١١١

وفي هذه الآية أخبر أنهم اشتروا أنفسهم وبذلوها، وأخبر برأفته الموجبة لتحصيل ما طلبوا، وبذل ما به رغبوا، فلا تسأل بعد هذا عن ما يحصل لهم من الكريم، وما ينالهم من الفوز والتكريم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٢٠٨﴾ فَإِن زَلَلۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡكُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٠٩﴾

(يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ)

هذا أمر من الله تعالى للمؤمنين أن يدخلوا

(فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ)

أي: في جميع شـــــرائع الدين، ولا يتركـــــوا منها شيئا،

وأن لا يكونوا ممن اتخذ إلهه هواه، إن وافق الأمر المشروع هواه فعله، وإن خالفه، تركه،

🡸بل الواجب أن يكون الهوى، تبعا للدين،

وأن يفعل كل ما يقدر عليه، من أفعال الخير، وما يعجز عنه، يلتزمه وينويه، فيدركه بنيته.

ولما كان الدخول في السلم كافة، لا يمكن ولا يتصور إلا بمخالفة طرق الشيطان قال:

(وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِۚ)

أي: في العمل بمعاصي الله

***﴿ إِنَّمَا يَأْمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلْفَحْشَآءِ وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ البقرة: ١٦٩

(إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ)

والعدو المبين، لا يأمر إلا بالسوء والفحشاء، وما به الضرر عليكم.

ولما كان العبد لا بد أن يقع منه خلل وزلل، قال تعالى:

(فَإِن زَلَلْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْكُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ)

أي: على علم ويقين

***عَدَلْتُمْ عَنِ الْحَقِّ بَعْدَ مَا قَامَتْ عَلَيْكُمُ الحُجَجُ،**

(فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

*** فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ أَيْ فِي انْتِقَامِهِ، لَا يَفُوتُهُ هَارِبٌ، وَلَا يَغلبه غَالِبٌ.
حَكِيمٌ فِي أَحْكَامِهِ وَنَقْضِهِ وَإِبْرَامِهِ
عَزِيزٌ فِي نِقْمَتِهِ، حَكِيمٌ فِي أَمْرِهِ.
وفيه من الوعيد الشديد، والتخويف، ما يوجب[ترك الـــــزلل]
فإن العزيز القاهر الحكيم،
إذا عصاه العاصي، قهـــــره بقوته،
وعذبه بمقتضى حكــــــمته فإن من حكمته، تعذيب العصاة والجناة.

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ

(هَلْ يَنظُرُونَ)
وهذا فيه من الوعيد الشديد والتهديد ما تنخلع له القلوب، يقول تعالى:
هل ينتظر الساعون في الفساد في الأرض، المتبعون لخطوات الشيطان،
النابذون لأمر الله إلا يوم الجزاء بالأعمال،
الذي قد حُشي من الأهوال والشدائد والفظائع، ما يقلقل قلوب الظالمين،
ويحق به الجزاء السيئ على المفسدين.
(إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ)
وذلك أن الله تعالى يطوي السماوات والأرض، وتنثر الكواكب، وتكور الشمس والقمر، وتنزل الملائكة الكرام، فتحيط بالخلائق، وينزل الباري تبارك تعالى:

(فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ)

*** الميسر:ما ينتظر هؤلاء المعاندون الكافرون بعد قيام الأدلة البينة إلا أن يأتيهم الله عز وجل على الوجه اللائق به سبحانه في ظُلَل من السحاب يوم القيامة ؛ ليفصل بينهم بالقضاء العادل، وأن تأتي الملائكة**

(وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ ۚ)

***الميسر:وحينئذ يقضي الله تعالى فيهم قضاءه**

(وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ)

***الميسر:وإليه وحده ترجع أمور الخلائق جميعها.**

*** ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ الفجر: ٢١ - ٢٣

ليفصل بين عباده بالقضاء العدل.

فتوضع الموازين، وتنشر الدواوين، وتبيض وجوه أهل السعادة وتسود وجوه أهل الشقاوة، ويتميز أهل الخير من أهل الشر، وكل يجازى بعمله، فهنالك يعض الظالم على يديه إذا علم حقيقة ما هو عليه.

-وهذه الآية وما أشبهها دليل لمذهب أهل السنة والجماعة، المثبتين للصفات الاختيارية،[كالاستواء، والنزول، والمجيء ونحو ذلك من الصفات التي أخبر بها تعالى] عن نفسه، أو أخبر بها عنه رسوله ﷺ،

فيثبتونها على وجه يليق بجلال الله وعظمته، من غير تشبيه ولا تحريف،
خلافا للمعطلة على اختلاف أنواعهم، من
[الجهمية، والمعتزلة، والأشعرية ونحوهم،] ممن ينفي هذه الصفات،
ويتأول لأجلها الآيات بتأويلات ما أنزل الله عليها من سلطان،
بل حقيقتها القدح في بيان الله وبيان رسوله، والزعم بأن كلامهم هو الذي تحصل به الهداية في هذا الباب،
فهؤلاء ليس معهم دليل نقلي، بل ولا دليل عقلي،

أما النقـــــلي:-

فقد اعترفوا أن النصوص الواردة في الكتاب والسنة،
ظاهرها بل صريحها، دال على مذهب أهل السنة والجماعة،
وأنها تحتاج لدلالتها على مذهبهم الباطل، أن تخرج عن ظاهرها
ويزاد فيها وينقص، وهذا كما ترى لا يرتضيه من في قلبه مثقال ذرة من إيمان.

وأما العقـــــل:-

فليس في العقل ما يدل على نفي هذه الصفات،
بل العقل دل على أن الفاعل أكمل من الذي لا يقدر على الفعل،
وأن فعله تعالى المتعلق بنفسه والمتعلق بخلقه هو كمال،
فإن زعموا أن إثباتها يدل على التشبيه بخلقه، قيل لهم:-
الكلام على الصفات، يتبع الكلام على الذات،
-فكما أن لله ذاتا لا تشبهها الذوات، فلله صفات لا تشبهها الصفات،

-فصفاته تبع لذاته، وصفات خلقه، تبع لذواتهم،
فليس في إثباتها ما يقتضي التشبيه بوجه.
☼ويقال أيضا،
لمن أثبت بعض الصفات، ونفى بعضا، أو أثبت الأسماء دون الصفات:-
1-إما أن تثبت الجميع كما أثبته الله لنفسه، وأثبته رسوله،
2-وإما أن تنفي الجميع، وتكون منكرا لرب العالمين،
وأما إثباتك بعض ذلك، ونفيك لبعضه، فهذا تناقض،
ففرق بين ما أثبته، وما نفيته، ولن تجد إلى الفرق سبيلا
فإن قلت: ما أثبته لا يقتضي تشبيها،
قال لك أهل السنة: والإثبات لما نفيته لا يقتضي تشبيها،
فإن قلت: لا أعقل من الذي نفيته إلا التشبيه،
قال لك النفاة: ونحن لا نعقل من الذي أثبته إلا التشبيه،
فما أجبت به النفاة، أجابك به أهل السنة، لما نفيته.
والحاصل أن من نفى شيئا وأثبت شيئا مما دل الكتاب والسنة على إثباته،
فهو متناقض، لا يثبت له دليل شرعي ولا عقلي،
بل قد خالف المعقول والمنقول.

سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢١١﴾ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَيَسۡخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ ﴿٢١٢﴾ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾

يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ ﴿٢١٥﴾

سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ

(سَلۡ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ)

*** أَيْ: حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا جَاءَهُمْ بِهِ،

1-كَيَـــــــدِهِ

2-وَ عَصَـــــــاهُ

3-و فَلْقِـــــــه الْبَحْرَ

4-و ضَرْبه الْحَجَــــــــرَ،

5-وَ مَا كَانَ مِنْ تَظْلِيلِ الْغَمَـــــــامِ عَلَيْهِمْ فِي شِدَّةِ الْحَرِّ،

6-وَ مِنْ إِنْزَالِ المَنّ وَالسَّلْوَى

وَغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّاتِ عَلَى وُجُودِ الْفَاعِلِ الْمُخْتَارِ، وَصِدْقِ مَنْ جَرَتْ هَذِهِ الْخَوَارِقُ عَلَى يَدَيه، وَمَعَ هَذَا أَعْرَضَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْهَا،

–تدل على الحق، وعلى صدق الرسل، فتيقنوها وعرفوها،

فلم يقوموا بشكر هذه النعمة، التي تقتضي القيام بها.

(وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ)

***وبَدلوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا أَيِ:اسْتَبْدَلُوا بِالْإِيمَانِ بِهَا الْكُفْرَ بِهَا، وَالْإِعْرَاضَ عَنْهَا.

***كقوله﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ﴾إبراهيم: ٢٨ - ٢٩

بل كفروا بها وبدلوا نعمة الله كفرا،فلهذا استحقوا أن يُنَزِّل الله عليهم عقابه ويحرمهم من ثوابه،

و سمى الله تعالى كفر النعمة تبديلا لها،:–

-لأن من أنعم الله عليه نعمة دينية أو دنيوية، فلم يشكرها، ولم يقم بواجبها،

←اضمحلت عنه وذهبت، وتبدلت بالكفر والمعاصي،فصار الكفر بدل النعمة،

-وأما من شكر الله تعالى، وقام بحقها←فإنها تثبت وتستمر، ويزيده الله منها.

زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۘ وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ فَوْقَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ

-يخبر تعالى أن الذين كفروا بالله وبآياته ورسله، ولم ينقادوا لشرعه،

أنهم زينت لهم الحياة الدنيا، فزينت في أعينهم وقلوبهم،

←فـــــرضوا بها،

←واطمـــــأنوا بها

←وصارت أهـــــواؤهم وإراداتهم وأعمالهم كلها لها،

←فأقبـــــلوا عليها،

←وأكبـــــوا على تحصيلها،←

وعظموها، وعظموا من شاركهم في صنيعهم،

←واحتقـــــروا المؤمنين، واستهزأوا بهم

وقالوا:﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ ﴾الأنعام: ٥٣([1])

وهذا من ضعف عقولهم ونظرهم القاصر،

---

[1] هذه احد الاسباب المؤدية الي الكفر

☼فإن الدنيا دار ابتلاء وامتحان،وسيحصل الشقاء فيها لأهل الإيمان والكفران،

☼بل المؤمن في الدنيا،وإن ناله مكروه← فإنه يصبر ويحتسب،

←فيخفف الله عنه بإيمانه وصبره ما لا يكون لغيره.

وإنما الشأن كل الشأن، والتفضيل الحقيقي، في الدار الباقية،

فلهذا قال تعالى:(وَٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ)

فيكون المتقون في أعلى الدرجات، متمتعين بأنواع النعيم والسرور، والبهجة والحبور.

والكفار تحتهم في أسفل الدركات، معذبين بأنواع العذاب والإهانة، والشقاء السرمدي، الذي لا منتهى له،

ففي هذه الآيـــــة:-

تســـــلية للمؤمنين، ونعـــــي على الكافرين.

ولما كانت الأرزاق الدنيوية والأخروية، لا تحصل إلا بتقدير الله،

ولن تنال إلا بمشيئة الله، قال تعالى:

(وَٱللَّهُ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيۡرِ حِسَابٖ)

***يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقه، وَيُعْطِيهِ عَطَاءً كَثِيرًا جَزِيلًا بِلَا حَصْرٍ وَلَا تَعْدَادٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

*** صحيح البخاري

4684 -عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺقَالَ:

" قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ،

فالرزق الدنيوي يحصل للمؤمن والكافر،

وأما رزق القلوب من العلم والإيمان، ومحبة الله وخشيته ورجائه، ونحو ذلك، فلا يعطيها إلا من يحب.

كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾

(كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً)

1*** عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ،قَالَ: كَانَ بَيْنَ نُوحٍ وَآدَمَ عَشَرَةُ قُرُونٍ،
كُلُّهُمْ عَلَى شَرِيعَةٍ مِنَ الْحَقِّ.فَاخْتَلَفُوا،فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ.
لِأَنَّ النَّاسَ كَانُوا عَلَى مِلَّةِ آدَمَ عليه السلام حَتَّى عَبَدُوا الْأَصْنَامَ،
فَبَعَثَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ نُوحًا عليه السلام فَكَانَ أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ.

–أي: كانوا مجتمعين على الهدى، وذلك عشرة قرون بعد نوح عليه السلام

فلما اختلفوا في الدين فكفر فريق منهم وبقي الفريق الآخر على الدين،

وحصل النزاع وبعث الله الرسل ليفصلوا بين الخلائق ويقيموا الحجة عليهم، –

–وقيل بل كانوا مجتمعين على الكفر والضلال والشقاء،

ليس لهم نور ولا إيمان، فرحمهم الله تعالى بإرسال الرسل إليهم

(فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ)

من أطاع الله بثمرات الطاعات، من الرزق، والقوة في البدن والقلب، والحياة الطيبة، وأعلى ذلك، الفوز برضوان الله والجنة.

(وَمُنذِرِينَ)

من عصى الله، بثمرات المعصية، من حرمان الرزق، والضعف، والإهانة، والحياة الضيقة، وأشد ذلك، سخط الله والنار.

(وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ)

وهو الإخبـــــارات الصادقة، والأوامــــــر العادلة،

فكل ما اشتملت عليه الكتب،فهو حق، يفصل بين المختلفين في الأصول والفروع،

-وهذا هو الواجب عند الاختـــــلاف والتنـــــازع:-

أن يرد الاختلاف إلى الله وإلى رسوله، ولولا أن في كتابه، وسنة رسوله، فصل النزاع، لما أمر بالرد إليهما.

(لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ)

ولما ذكر نعمته العظيمة بإنزال الكتب على أهل الكتاب،

وكان هذا يقتضي اتفاقهم عليها واجتماعهم،

فأخبر تعالى أنهم بغى بعضهم على بعض، وحصل النزاع والخصام وكثرة الاختلاف.

(وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ

***الميسر:ما اخْتَلَف في أمر محمد ﷺوكتابه ظلماً وحسداً**
إلا الذين أعطاهم الله التوراة، وعرفوا ما فيها من الحجج والأحكام،
فاختلفوا في الكتاب الذي ينبغي أن يكونوا أولى الناس بالاجتماع
عليه،

-وذلك من بعد ما علموه وتيقنوه بالآيات البينات، والأدلة القاطعات،

فضلوا بذلك ضلالا بعيدا.

(فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ

***** صحيح البخاري**

3486 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:
«نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ، يَوْمَ القِيَامَةِ بَيْدَ كُلُّ أُمَّةٍ أُوتُوا الكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا،
وَأُوتِينَا مِنْ بَعْدِهِمْ،
فَهَذَا اليَوْمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ،
فَغَدًا لِلْيَهُودِ،
وَبَعْدَ غَدٍ لِلنَّصَارَى»

(فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ)

من هذه الأمة

(لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ)

*****ما حملهم علي ذلك الا البغي من بعضهم علي بعض**

-فكل ما اختلف فيه أهل الكتاب، وأخطأوا فيه الحق والصواب،

هدى الله للحق فيه هذه الأمة

(بِإِذۡنِهِۦۗ)

تعالى و تيسيره لهم و رحمته.

(وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ)

فعمَّ الخلق تعالى بالدعوة إلى الصراط المستقيم، عدلا منه تعالى، وإقامة حجة على الخلق،

﴿أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ وَلَا نَذِيرٖۖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ ﴾المائدة: ١٩

– بفضله ورحمته، وإعانته ولطفه – من شاء من عباده، فهذا فضله وإحسانه، وذاك عدله وحكمته.

أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ﴿٢١٤﴾ يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ

(أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ)

*الميسر :بل أظننتم -أيها المؤمنون- أن تدخلوا الجنة

(وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ)

*الميسر:ولمّا يصبكم من الابتلاء مثل ما أصاب المؤمنين الذين مضوا من قبلكم

***صحيح البخاري

3612 - عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ، قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ،
قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟
قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ،
فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ،
وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ،
وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ،
وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ،
حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ،
لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»( )

-يخبر تبارك وتعالى أنه لا بد أن يمتحن عباده بالسراء والضراء والمشقة

كما فعل بمن قبلهم، فهي سنته الجارية، التي لا تتغير ولا تتبدل،

أن من قام بدينه وشرعه، لا بد أن يبتليه

-فإن صبر على أمر الله، ولم يبال بالمكاره الواقفة في سبيله:-

فهو الصادق الذي قد نال من السعادة كمالها، ومن السيادة آلتها.

-ومن جعل فتنة الناس كعذاب الله، بأن صدته المكاره عما هو بصدده،

(متوسد بردة) جعلها وسادة له.

(تستنصر) تطلب النصرة من الله تعالى.

(ليتمن) من الإتمام والكمال.

(هذا الأمر) وهو الإسلام.

(تستعجلون) النتائج والثمرات]

و ثنته المحن عن مقصده، فهو الكاذب في دعوى الإيمان،

۞فإنه ليس الإيمان بالتحلي والتمني، ومجرد الدعاوى، حتى تصدقه الأعمال أو تكذبه.

فقد جرى على الأمم الأقدمين ما ذكر الله عنهم

(مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ)

أي: الفقر

(وَٱلضَّرَّآءُ)

أي: الأمراض في أبدانهم

(وَزُلۡزِلُواْ)

بأنواع المخاوف من التهديد بالقتل، والنفي، وأخذ الأموال،

وقتل الأحبة، وأنواع المضار

***خوفـــــــا من الاعداء زلزالا شديدا

–حتى وصلت بهم الحال، وآل بهم الزلزال، إلى أن استبطأوا نصر الله مع يقينهم به.

ولكن لشدة الأمر وضيقه

(حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ)

***يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، ويَدْعون بقُرْب الْفَرَجِ وَالْمَخْرَجِ، عِنْدَ ضِيقِ الْحَالِ وَالشِّدَّةِ.

فلما كان الفرج عند الشدة، وكلما ضــــاق الأمر اتســــع، قال تعالى:

(أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ)

***﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ٥ إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا ﴾الشرح: ٥ - ٦

فهكذا كل من قام بالحق فإنه يمتحن.

فكلما اشتدت عليه وصعبت،إذا صابر وثابر على ما هو عليه انقلبت المحنة في حقه منحة، والمشقات راحات،

وأعقبه ذلك، الانتصار على الأعداء وشفاء ما في قلبه من الداء،

وهذه الآية نظير قوله تعالى:

﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ

﴾آل عمران: ١٤٢

﴿ الٓمٓ ١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ ﴾العنكبوت: ١ – ٣

فعند الامتحــــــان، يكــــرم المرء أو يهــــان.

يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ

(يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَۖ)

أي: يسألونك عن النفقة، وهذا يعم السؤال عن المنفق والمنفق عليه، فأجابهم عنهما فقال:

***اصرفـــــــــوها في هذه الوجوه

(قُلۡ مَآ أَنفَقۡتُم مِّنۡ خَيۡرٖ)

أي: مال قليل أو كثير، فأولى الناس به وأحقهم بالتقديم، أعظمهم حقا عليك، وهم الوالدان الواجب برهما، والمحرم عقوقهما،

–ومن أعظم برهما، النفقة عليهما،

–ومن أعظم العقوق، ترك الإنفاق عليهما،

–ولهذا كانت النفقة عليهما واجبة، على الولد الموسر، ومن بعد

(فَلِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ)

الوالدين الأقربون، على اختلاف طبقاتهم، الأقرب فالأقرب،

على حسب القرب والحاجة، فالإنفاق عليهم صدقة وصلة،

(وَٱلۡيَتَٰمَىٰ)

وهم الصغار الذين لا كاسب لهم، فهم في مظنة الحاجة لعدم قيامهم بمصالح أنفسهم، وفقد الكاسب، فوصى الله بهم العباد، رحمة منه بهم ولطفا،

(وَٱلۡمَسَٰكِينِ)

وهم أهل الحاجات، وأرباب الضرورات الذين أسكنتهم الحاجة، فينفق عليهم، لدفع حاجاتهم وإغنائهم.

(وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ) أي: الغريب المنقطع به في غير بلده، فيعان على سفره بالنفقة، التي توصله إلى مقصده.

ولما خصص الله تعالى هؤلاء الأصناف، لشدة الحاجة، عمم تعالى فقال:

(وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٍ)

من صدقة على هؤلاء وغيرهم، بل ومن جميع أنواع الطاعات والقربات، لأنها تدخل في اسم الخير،

(فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ) فيجازيكم عليه، ويحفظه لكم، كل على حسب نيته وإخلاصه، وكثرة نفقته وقلتها، وشدة الحاجة إليها، وعظم وقعها ونفعها.

كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ
وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢١٦ يَسۡـَٔلُونَكَ
عَنِ ٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ قِتَالٖ فِيهِۖ قُلۡ قِتَالٞ فِيهِ كَبِيرٞۚ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفۡرُۢ بِهِۦ
وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ
وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ
مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا
وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧ إِنَّ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ
غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٢١٨ ۞ يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِۖ قُلۡ فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ
وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثۡمُهُمَآ أَكۡبَرُ مِن نَّفۡعِهِمَاۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ
كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ٢١٩

كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ وَهُوَ كُرۡهٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ
وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ

(كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ)

*** صحيح مسلم

1910عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ، وَلَمْ يُحَدِّثْ بِهِ نَفْسَهُ، مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ».

*** صحيح مسلم

1353 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَوْمَ الْفَتْحِ - فَتْحِ مَكَّةَ -

«لَا هِجْرَةَ، وَلَكِنْ جِهَادٌ وَنِيَّةٌ، وَإِذَا اسْتُنْفِرْتُمْ فَانْفِرُوا»

هذه الآية، فيها فرض القتال في سبيل الله،بعد ما كان المؤمنون مأمورين بتركه،

لضعفهم،وعدم احتمالهم لذلك،فلما هاجر النبي ﷺإلى المدينة،

وكثر المسلمون، وقووا أمرهم الله تعالى بالقتال،

(وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ)

وأخبر أنه مكروه للنفوس، لما فيه من التعـــــب والمشقـــــة،

وحصول أنواع المخــــاوف والتعرض للمتـــــالف،

ومع هذا، فهو خير محض، لما فيه من الثواب العظيم،

والتحرز من العقاب الأليم، والنصر على الأعداء والظفر بالغنائم، وغير ذلك،

مما هو مرب، على ما فيه من الكراهة

(وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ)

*** لِأَنَّ القتالَ يَعْقُبُهُ النَّصْرُ وَالظَّفَرُ عَلَى الْأَعْدَاءِ، وَالِاسْتِيلَاءُ عَلَى بِلَادِهِمْ،

وَأَمْوَالِهِمْ، وذرَاريهم، وَأَوْلَادِهِمْ.

(وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ)

وذلك مثل القعود عن الجهاد لطلب الراحة،

❍**فإنه شـــــر:-**

-لأنه يعقـــــب الخذلان،

-وتســـــلط الأعـــــداء على الإسلام وأهله،

-وحصـــــول الذل والهوان،

-وفـــوات الأجر العظيم وحصــــول العقاب.

✡وهذه الآيات عامة مطردة،في أن أفعال الخير التي تكرهها النفوس لما فيها من المشقة أنها خير بلا شك،

✡وأن أفعال الشر التي تحب النفوس لما تتوهمه فيها من الراحة واللذة فهي شر بلا شك.

❍وأما أحوال الدنيا، فليس الأمر مطردا،ولكن الغالب على العبد المؤمن، أنه إذا أحب أمرا من الأمور،

فقيض الله له من الأسباب ما يصرفه عنه أنه خير له:-

← فالأوفق له في ذلك، أن يشكر الله، ويجعل الخير في الواقع،

-لأنه يعلم أن الله تعالى أرحـــــم بالعبد من نفسه،

-وأقـــــدر على مصلحة عبده منه،

-وأعـــــلم بمصلحته منه كما قال تعالى:

(وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ)

فاللائق بكم أن تتمشوا مع أقداره، سواء سرتكم أو ساءتكم.

○ولما كان الأمر بالقتال، لو لم يقيد، لشمل الأشهر الحرم وغيرها، استثنى تعالى، القتال في الأشهر الحرم فقال:

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ ۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَـٰعُوا۟ ۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٢١٧﴾﴾

(يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ ۖ)

***الميسر:يسألك المشركون -أيها الرسول- عن الشهر الحرام: هل يحل فيه القتال؟**

قل لهم: القتال في الشهر الحرام عظيم عند الله استحلاله وسفك الدماء فيه،

-الجمهور على أن تحريم القتال في الأشهر الحرم، منسوخ بالأمر بقتال المشركين حيثما وجدوا،

-وقال بعض المفسرين: إنه لم ينسخ، لأن المطلق محمول على المقيد، وهذه الآية مقيدة لعموم الأمر بالقتال مطلقا؛

-ولأن من جملة مزية الأشهر الحرم، بل أكبر مزاياها، تحريم القتال فيها،

وهذا إنما هو في قتال الابتداء،

-وأما قتال الدفع فإنه يجوز في الأشهر الحرم،كما يجوز في البلد الحرام.

-ولما كانت هذه الآية نازلة بسبب ما حصل، لسرية عبد الله بن جحش،

وقتلهم عمرو بن الحضرمي، وأخذهم أموالهم،

وكان ذلك - على ما قيل - في شهر رجب، عيرهم المشركون بالقتال بالأشهر الحرم، وكانوا في تعييرهم ظالمين،

إذ فيهم من القبائح ما بعضه أعظم مما عيروا به المسلمين،

قال تعالى في بيان ما فيهم:

(وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ)

***الميسر:ومَنْعكم الناس من دخول الإسلام بالتعذيب والتخويف،**

أي: صد المشركين من يريد الإيمان بالله وبرسوله،وفتنتهم من آمن به،

وسعيهم في ردهم عن دينهم،

(وَكُفْرٌۢ بِهِۦ) وكفرهم الحاصل في الشهر الحرام،

***الميسر: وجحودكم بالله وبرسوله وبدينه،**

(وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ)

***الميسر: ومَنْع المسلمين من دخول المسجد الحرام،**

وإخراج النبي والمهاجرين منه وهم أهله وأولياؤه، ذلك أكبر ذنبًا، وأعظم جرمًا عند الله من القتال في الشهر الحرام.

والشرك الذي أنتم فيه أكبر وأشد من القتل في الشهر الحرام.

-والبلد الحرام، الذي هو بمجرده، كاف في الشر،

فكيف وقد كان في شهر حرام و بلد حرام؟!

(وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ)

*الميسر: **ومَنْع المسلمين من دخول المسجد الحرام،**

-أي: أهل المسجد الحرام، وهم النبي ﷺوأصحابه،

لأنهم أحق به من المشركين، وهم عماره على الحقيقة، فأخرجوهم

مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرۡتَدِدۡ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتۡ وَهُوَ كَافِرٞ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٢١٧

(مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِۚ)

* **الميسر:ذلك أكبر ذنبًا، وأعظم جرمًا عند الله من القتال في الشهر الحرام.**

-ولم يمكنوهم من الوصول إليه، مع أن هذا البيت سواء العاكف فيه والباد،

فهذه الأمور كل واحد منها

(وَٱلۡفِتۡنَةُ أَكۡبَرُ مِنَ ٱلۡقَتۡلِۗ)

*الميسر:والشرك الذي أنتم فيه أكبر وأشد من القتل في الشهر الحرام.

-في الشهر الحرام، فكيف وقد اجتمعت فيهم؟!

فعلم أنهم فسقة ظلمة، في تعييرهم المؤمنين.

(وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَٰعُواْۚ)

-ثم أخبر تعالى أنهم لن يزالوا يقاتلون المؤمنين،وليس غرضهم في أموالهم وقتلهم،

-وإنما غرضهم أن يرجعوهم عن دينهم، ويكونوا كفارا بعد إيمانهم حتى يكونوا من أصحاب السعير،

فهم باذلون قدرتهم في ذلك، ساعون بما أمكنهم،

﴿يُرِيدُونَ أَن يُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَيَأۡبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾التوبة:٣٢

-وهذا الوصف عام لكل الكفار، لا يزالون يقاتلون غيرهم،

حتى يردوهم عن دينهم، وخصوصا، أهل الكتاب، من اليهود والنصارى،

*الـــــذين بـــــذلوا:-

-الجمعيـــــات،

-و نشـــــروا الدعاة،

-و بثـــــوا الأطباء،

–و بنـــــوا المدارس

لجذب الأمم إلى دينهم، وتدخيلهم عليهم، كل ما يمكنهم من الشبه،

التي تشككهم في دينهم.

ولكن المرجو من الله تعالى، الذي مَنّ على المؤمنين بالإسلام،

واختار لهم دينه القيم، وأكمل لهم دينه،

أن يتم عليهم نعمته بالقيام به أتم القيام،

وأن يخذل كل من أراد أن يطفئ نوره، ويجعل كيدهم في نحورهم، وينصر

دينه، ويعلي كلمته.

وتكون هذه الآية صادقة على هؤلاء الموجودين من الكفار، كما صدقت على

من قبلهم:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴾الأنفال: ٣٦

(وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ)

ثم أخبر تعالى أن من ارتد عن الإسلام، بأن اختار عليه الكفر واستمر على

ذلك حتى مات كافرا،

(فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ)

لعدم وجود شرطها وهو الإسلام،

(وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ) .

ودلت الآية بمفهومها، أن من ارتد ثم عاد إلى الإسلام،

أنه يرجع إليه عمله الذي قبل ردته،

وكذلك من تاب من المعاصي، فإنها تعود إليه أعماله المتقدمة.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٢١٨﴾

هذه الأعمال الثلاثة، هي عنوان السعادة و قطب رحى العبودية،

وبها يعرف ما مع الإنسان، من الربح والخسران،

فأما الإيمـــــــان:-

فلا تسأل عن فضيلته، وكيف تسأل عن شيء هو الفاصل بين أهل السعادة

وأهل الشقاوة، وأهل الجنة من أهل النار؟

وهو الذي إذا كان مع العبد، قبلت أعمال الخير منه،

وإذا عُدِمَ منه لم يقبل له صرف ولا عدل، ولا فرض، ولا نفل.

و أما الهجـــــــرة:-

فهي مفارقة المحبوب المألوف، لرضا الله تعالى،

فيترك المهاجر وطنه وأمواله، وأهله، وخلانه، تقربا إلى الله ونصرة لدينه.

وأما الجهـــــــاد:

1-فهو بذل الجهد في مقارعة الأعداء،

2–و السعي التام في نصرة دين الله،

3–و قمع دين الشيطان،

و هو ذروة الأعمال الصالحة، و جزاؤه، أفضل الجزاء،

و هو السبـــــب الأكبـــــر:–

1–لتـــــوسيع دائرة الإسلام

2–وخـــــذلان عباد الأصنام،

3–وأمـــــن المسلمين على أنفسهم وأموالهم وأولادهم.

فمن قام بهذه الأعمال الثلاثة على لأوائها ومشقتها كان لغيرها أشد قياما به وتكميلا.

فحقيق بهؤلاء أن يكونوا هم الراجون رحمة الله، لأنهم أتوا بالسبب الموجب للرحمة،

–وفي هذا دليل على أن الرجاء لا يكون إلا بعد القيام بأسباب السعادة،

–وأما الرجاء المقارن للكسل، وعدم القيام بالأسباب، فهذا عجز وتمن وغرور،

وهو دال على ضعف همة صاحبه، ونقص عقله،

[بمنزلة من يرجو وجود ولد بلا نكاح، ووجود الغلة بلا بذر وسقي،]

ونحو ذلك.

وفي قوله: (أُوْلَـٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ)

إشارة إلى أن العبد ولو أتى من الأعمال بما أتى به لا ينبغي له أن يعتمد عليها، ويعـــــول عليها، بل يـــــرجو:-

1-رحمــــــة ربه،

2-و يرجو قبــــول أعماله

3-و مغفـــــرة ذنوبه،

4-و ستـــــر عيوبه.

ولهذا قال: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾

أي: لمن تاب توبة نصوحا

﴿رَّحِيمٌ﴾ وسعت رحمته كل شيء، و عم جوده وإحسانه كل حي.

و في هذا دليل على أن من قام بهذه الأعمال المذكورة، حصل له مغفرة الله، إذ الحسنات يذهبن السيئات وحصلت له رحمة الله.

☼وإذا حصلت له المغفرة، اندفعت عنه عقوبات الدنيا والآخرة،

التي هي آثار الذنوب، التي قد غفرت واضمحلت آثارها،

☼وإذا حصلت له الرحمة، حصل على كل خير في الدنيا والآخرة؛

بل أعمالهم المذكورة من رحمة الله بهم،

فلولا توفيقه إياهم، لم يريدوها،

ولولا إقدارهم عليها، لم يقدروا عليها،

ولولا إحسانه لم يتمها ويقبلها منهم، فله الفضل أولا وآخــــــرا،

وهو الذي منّ بالسبب والمسبب.

ثم قال تعالى:

(۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ)

أي: يسألك – يا أيها الرسول – المؤمنون عن أحكام الخمر والميسر،

وقد كانا مستعملين في الجاهلية وأول الإسلام،

فكأنه وقع فيهما إشكال، فلهذا سألوا عن حكمهما،

*** سنن الترمذي ت شاكر

3049 - عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، أَنَّهُ قَالَ:

«اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ»

1-فَنَزَلَتِ الَّتِي فِي البَقَرَةِ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ} [البقرة: 219]

فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: «اللَّهُمَّ بَيِّنْ لَنَا فِي الخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ»

2-فَنَزَلَتِ الَّتِي فِي النِّسَاءِ: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى}

[النساء: 43]، فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ،

ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَيِّنَ لَنَا فِي الخَمْرِ بَيَانَ شِفَاءٍ»

3-فَنَزَلَتِ الَّتِي فِي المَائِدَةِ: {إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ العَدَاوَةَ

وَالبَغْضَاءَ فِي الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ} [المائدة: 91]- إِلَى قَوْلِهِ - {فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ}

[المائدة: 91]

فَدُعِيَ عُمَرُ فَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَقَالَ: «انْتَهَيْنَا انْتَهَيْنَا»

(قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا)

فأمر الله تعالى نبيه، أن يبين لهم منافعهما ومضارهما،

ليكون ذلك مقدمة لتحريمهما، وتحتيم تركهما.

فأخبر أن إثمهمـــــا ومضارهمـــــا:

وما يصـــــــدر منهما من:-

1-ذهـــــاب العقـــــل و المـــــال،

2-و الصـــــد عن[ذكـــــر الله و عن الصـــــلاة]

3-و العـــــداوة،

4-و البغضـــــاء

أكبر مما يظنونه من نفعهما، من كسب المال بالتجارة بالخمر،

وتحصيله بالقمار والطرب للنفوس، عند تعاطيهما،

وكان هذا البيان زاجرا للنفوس عنهما،

لأن العاقل يرجح ما ترجحت مصلحته،

ويجتنب ما ترجحت مضرته،

ولكن لما كانوا قد ألفوهما، وصعب التحتيم بتركهما أول وهلة، قدم هذه الآية،

مقدمة للتحريم، الذي ذكره في قوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴾ المائدة: ٩٠ – ٩١

وهذا من لطفه ورحمته وحكمته، ولهذا لما نزلت،

قال عمر رضي الله عنه: انتهينا انتهينا.

-فأما الخـــــمر:-

فهو كل مسكر خامر العقل وغطاه، من أي نوع كان،

-و أما الميســــــر:-

فهو كل المغالبات التي يكون فيها عوض من الطرفين، من النرد، والشطرنج، وكل مغالبة قولية أو فعلية، بعوض سوى مسابقة [الخيل، والإبل، والسهام] فإنها مباحة، لكونها معينة على الجهاد، فلهذا رخص فيها الشارع.

وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ

*** صحيح مسلم

997عَنْ جَابِرٍ، قَالَ: أَعْتَقَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي عُذْرَةَ عَبْدًا لَهُ عَنْ دُبُرٍ،

فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللهِ ﷺفَقَالَ: «أَلَكَ مَالٌ غَيْرُهُ؟»

فَقَالَ: لَا، فَقَالَ: «مَنْ يَشْتَرِيهِ مِنِّي؟»

فَاشْتَرَاهُ نُعَيْمُ بْنُ عَبْدِ اللهِ الْعَدَوِيُّ بِثَمَانِ مِائَةِ دِرْهَمٍ،

فَجَاءَ بِهَا رَسُولَ اللهِ ﷺفَدَفَعَهَا إِلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ:

«ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَتَصَدَّقْ عَلَيْهَا، فَإِنْ فَضَلَ شَيْءٌ فَلِأَهْلِكَ،

فَإِنْ فَضَلَ عَنْ أَهْلِكَ شَيْءٌ فَلِذِي قَرَابَتِكَ،

فَإِنْ فَضَلَ عَنْ ذِي قَرَابَتِكَ شَيْءٌ فَهَكَذَا وَهَكَذَا»

يَقُولُ: فَبَيْنَ يَدَيْكَ وَعَنْ يَمِينِكَ وَعَنْ شِمَالِكَ

*** صحيح مسلم

1036 عن أَبِي أُمَامَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:

«يَا ابْنَ آدَمَ إِنَّكَ أَنْ تَبْذُلَ الْفَضْلَ خَيْرٌ لَكَ، وَأَنْ تُمْسِكَهُ شَرٌّ لَكَ،

وَلَا تُلَامُ عَلَى كَفَافٍ،

وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَالْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى»( )

وهذا سؤال عن مقدار ما ينفقونه من أموالهم، فيسر الله لهم الأمر،

(قُلِ ٱلۡعَفۡوَۗ)

***الفضل

–وأمرهم أن ينفقوا العفو، وهو المتيسر من أموالهم،الذي لا تتعلق به حاجتهم وضرورتهم،

–وهذا يرجع إلى كل أحد بحسبه،من غني وفقير ومتوسط،كل له قدرة على إنفاق ما عفا من ماله، ولو شق تمرة.

–ولهذا أمر الله رسوله ﷺأن يأخذ العفو من أخلاق الناس وصدقاتهم، ولا يكلفهم ما يشق عليهم.

ذلك بأن الله تعالى لم يأمرنا بما أمرنا به حاجة منه لنا،

أو تكليفا لنا بما يشق بل أمرنا بما فيه سعادتنا، وما يسهل علينا،

(أن تبذل الفضل خير لك) معناه إن بذلت الفاضل عن حاجتك وحاجة عيالك فهو خير لك لبقاء ثوابه وإن أمسكته فهو شر لك

(ولا تلام على كفاف) معناه أن قدر الحاجة لا لوم على صاحبه]

وما به النفع لنا ولإخواننا فيستحق على ذلك أتم الحمد.

ولما بيّن تعالى هذا البيان الشافي، وأطلع العباد على أسرار شرعه قال:

(كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلۡأٓيَٰتِ)

أي: الدالات على الحق، المحصلات للعلم النافع والفرقان،

(لَعَلَّكُمۡ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١٩﴾ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ)

*** هِيَ وَاللَّهِ لِمَنْ تَفَكَّرَ فِيهَا، لِيَعْلَمَ أَنَّ الدُّنْيَا دَارُ بَلَاءٍ، ثُمَّ دَارُ فَنَاءٍ، وَلِيَعْلَمَ أَنَّ الْآخِرَةَ دَارُ جَزَاءٍ، ثُمَّ دَارُ بَقَاءٍ.

أي: لكي تستعملوا أفكاركم في أسرار شرعه،

وتعرفوا أن أوامره، فيها مصالح الدنيا والآخرة،

وأيضا لكي تتفكروا في الدنيا وسرعة انقضائها،

فترفضوها وفي الآخرة وبقائها، وأنها دار الجزاء فتعمروها.

فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٢٠﴾ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤۡمِنَّۚ وَلَأَمَةٞ مُّؤۡمِنَةٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكَةٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡۗ وَلَا تُنكِحُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤۡمِنُواْۚ وَلَعَبۡدٞ مُّؤۡمِنٌ خَيۡرٞ مِّن مُّشۡرِكٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكُمۡۗ أُوْلَٰٓئِكَ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾ وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٤﴾

(فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۗ وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡيَتَٰمَىٰۖ)

*** سنن أبي داود

2871 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ:

{وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} **[الأنعام: 152]**

وَ {إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا} [النساء: 10]، **الْآيَةَ**
انْطَلَقَ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ يَتِيمٌ فَعَزَلَ طَعَامَهُ مِنْ طَعَامِهِ وَشَرَابَهُ مِنْ شَرَابِهِ،
فَجَعَلَ يَفْضُلُ مِنْ طَعَامِهِ فَيُحْبَسُ لَهُ حَتَّى يَأْكُلَهُ أَوْ يَفْسُدَ،
فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَذَكَرُوا ذَلِكَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: "
{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ}
[البقرة: 220]، فَخَلَطُوا طَعَامَهُمْ بِطَعَامِهِ وَشَرَابَهُمْ بِشَرَابِهِ "

لما نزل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ النساء: ١٠

شق ذلك على المسلمين، وعزلوا طعامهم عن طعام اليتامى،

خوفا على أنفسهم من تناولها،

ولو في هذه الحالة التي جرت العادة بالمشاركة فيها،وسألوا النبيﷺعن ذلك،

(**قُلۡ إِصۡلَاحٞ لَّهُمۡ خَيۡرٞۖ**)

فأخبرهم تعالى أن المقصود، إصلاح أموال اليتامى:-

1-بحفظـــــــها

2-و صيــــــانتها،

3-و الاتجـــــار فيها

(**وَإِن تُخَالِطُوهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡۚ**)

و أن خلطتهم إياهم في طعام أو غيره جائز على وجه لا يضر باليتامى،

لأنهم إخوانكم، ومن شأن الأخ مخالطة أخيه،

(وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ ٱلۡمُفۡسِدَ مِنَ ٱلۡمُصۡلِحِۚ)

والمرجع في ذلك إلى النيـــــة والعمـــــل،

–فمن علم الله من نيته أنه مصلح لليتيم، وليس له طمع في ماله،

–فلو دخل عليه شيء من غير قصد لم يكن عليه بأس،

–و من علم الله من نيته، أن قصده بالمخالطة، التوصل إلى أكلها وتناولها،

فذلك الذي حرج وأثم، و « الوسائل لها أحكام المقاصد »

وفي هذه الآيـــــة:–

دليل على جواز أنواع المخالطات، في المآكل والمشارب، والعقود وغيرها،

وهذه الرخصة، لطف من الله تعالى وإحسان، وتوسعة على المؤمنين،

و إلا (وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعۡنَتَكُمۡۚ)

أي: شق عليكم بعدم الرخصة بذلك، فحرجتم. وشق عليكم وأثمتم،

(إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ)

أي: له القوة الكاملة، والقهر لكل شيء، ولكنه مع ذلك

(حَكِيمٞ)

لا يفعل إلا ما هو مقتضى حكمته الكاملة وعنايته التامة،

فـعـــــزته لا تنافي حـــــكمته،

فلا يقال: إنه ما شاء فعل، وافق الحكمة أو خالفها،

بل يقال: إن أفعاله وكذلك أحكامه، تابعة لحكمته،

فلا يخلق شيئا عبثا، بل لا بد له من حكمة، عرفناها، أم لم نعرفها

-وكذلك لم يشرع لعباده شيئا مجردا عن الحكمة،

-فلا يأمر إلا بما فيه مصلحة خالصة، أو راجحة،

-و لا ينهى إلا عما فيه مفسدة خالصة أو راجحة، لتمام حكمته ورحمته.

وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾

أي: (وَلَا تَنكِحُوا۟)

النساء

(ٱلْمُشْرِكَٰتِ)

ما دمن على شركهن

(حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ)

لأن المؤمنة ولو بلغت من الدمامة ما بلغت خير من المشركة،

ولو بلغت من الحسن ما بلغت،

وهذه عامة في جميع النساء المشركات، وخصصتها آية المائدة، في إباحة نساء أهل الكتاب كما قال تعالى

﴿ ٱلۡيَوۡمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُۖ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ حِلّٞ لَّكُمۡ وَطَعَامُكُمۡ حِلّٞ لَّهُمۡۖ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡمُحۡصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحۡصِنِينَ غَيۡرَ مُسَٰفِحِينَ ﴾ المائدة: ٥

*** سنن سعيد بن منصور

716 - عن شَقِيقَ بْنَ سَلَمَةَ يَقُولُ: تَزَوَّجَ حُذَيْفَةُ يَهُودِيَّةً فَكَتَبَ إِلَيْهِ عُمَرُ: طَلِّقْهَا، فَكَتَبَ إِلَيْهِ: لِمَ؟

أَحَرَامٌ هِيَ؟

فَكَتَبَ إِلَيْهِ: «لَا وَلَكِنِّي خِفْتُ أَنْ تَعَاطَوَا الْمُومِسَاتِ مِنْهُنَّ»( )

*** صحيح البخاري

5090 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:

" تُنْكَحُ المَرْأَةُ لِأَرْبَعٍ: لِمَالِهَا وَلِحَسَبِهَا وَجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَدَاكَ "( )

يعني بذلك زواج المؤمنات أفضل

(تنكح) تتزوج ويرغب فيها.

(لأربع) لأجل خصال أربع مجتمعة أومنفردة.

(لحسبها) هو ما يعده الناس من مفاخر الآباء وشرفهم.

(فاظفر) من الظفر وهو غاية البغية ونهاية المطلوب.

(تربت يداك) هو في الأصل دعاء. معناه لصقت يداك بالتراب أي افتقرت ولكن العرب أصبحت تستعمله للتعجب والحث على ا لشيء وهذا هو المراد هنا]

(وَلَا تُنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُواْۚ)

وهذا عام لا تخصيص فيه.

﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ﴾ الممتحنة: ١٠

(وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْۗ)

*** الميسر: واعلموا أن عبداً مؤمنًا مع فقره، خير من مشرك**

-ثم ذكر تعالى،الحكمة في تحريم نكاح المسلم أو المسلمة، لمن خالفهما في الدين فقال:

(أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ)

أي: في أقـــــوالهم أو أفعـــــالهم وأحـــــوالهم،

فمخالطتهم على خطر منهم،

والخطر ليس من الأخطار الدنيوية، إنما هو الشقاء الأبدي.

*** معاشَرتهم وَمُخَالَطَتُهُمْ تَبْعَثُ عَلَى حُبِّ الدُّنْيَا وَاقْتِنَائِهَا وَإِيثَارِهَا عَلَى الدَّارِ الْآخِرَةِ، وَعَاقِبَةُ ذَلِكَ وَخِيمَةٌ

ويستفـــــاد من تعليل الآيـــــة:-

النهي عن مخالطة كل مشرك ومبتدع، لأنه إذا لم يجز التزوج مع أن فيه مصالح كثيرة فالخلطة المجردة من باب أولى،

و خصـــــوصـــــا:

[الخلطة التي فيها ارتفاع المشرك و نحوه على المسلم،كالخدمة]و نحوها.

و في قوله:(وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ)

دليل على اعتبار الولي في النكاح .

(وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ)

*** أَيْ: بِشَرْعِهِ وَمَا أَمَرَ بِهِ وَمَا نَهَى عَنْهُ

أي: يدعو عباده لتحصيل الجنة والمغفرة، التي من آثارها، دفع العقوبات

و ذلك بالدعـــــوة إلى أسبابهـــــا من:-

-الأعمـــــال الصـالحة،

-و التـــــوبة النصـــوح،

-و العـــــلم النـــــافع،

-و العـــــمل الصـــالح.

(وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ)

أي: أحكامه و حكمها

(لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمۡ يَتَذَكَّرُونَ)

فيوجب لهم ذلك التذكر لما نسوه، وعلم ما جهلوه، والامتثال لما ضيعوه.

ثم قال تعالى:

وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِ وَلَا

تَقۡرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطۡهُرۡنَۖ فَإِذَا تَطَهَّرۡنَ فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ

ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾ نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾

(وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلۡمَحِيضِۖ قُلۡ هُوَ أَذٗى)

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

*** صحيح مسلم

302 عَنْ أَنَسٍ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا، وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ النَّبِيَّ ﷺ فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ}

[البقرة: 222] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: - «اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ» فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ،

فَقَالُوا: مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلَّا خَالَفَنَا فِيهِ،

فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ فَقَالَا يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الْيَهُودَ تَقُولُ: كَذَا وَكَذَا، فَلَا نُجَامِعُهُنَّ؟

فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا،

فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَهُمَا هَدِيَّةٌ مِنْ لَبَنٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ،

فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمَا فَسَقَاهُمَا، فَعَرَفَا أَنْ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا( )

(ولم يجامعوهن في البيوت) أي لم يخالطوهن ولم يساكنوهن في بيت واحد (المحيض) المحيض الأول المراد به الدم والثاني قد اختلف فيه قيل إنه الحيض ونفس الدم وقال بعض العلماء هو الفرج وقال الآخرون هو زمن الحيض

(قد وجد عليهما) أي غضب عليهما ولم يجد عليهما أي لم يغضب]

يخبر تعالى عن سؤالهم عن المحيض، وهل تكون المرأة بحالها بعد الحيض، كما كانت قبل ذلك، أم تجتنب مطلقا كما يفعله اليهود؟.

فأخبر تعالى أن الحيض أذى، وإذا كان أذى،

فمن الحكمة أن يمنع الله تعالى عباده عن الأذى وحده، ولهذا قال

(فَٱعۡتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِي ٱلۡمَحِيضِۖ)

*** صحيح مسلم -302 - قال ﷺاصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلَّا النِّكَاحَ"

*** سنن أبي داود

272 - عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ

«أَنَّ النَّبِيَّ ﷺكَانَ إِذَا أَرَادَ مِنَ الْحَائِضِ شَيْئًا أَلْقَى عَلَى فَرْجِهَا ثَوْبًا»

***و روي الطبري عَنْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ:

مَا يَحِلُّ لِلرَّجُلِ مِنَ امْرَأَتِهِ إِذَا كَانَتْ حَائِضًا؟ قَالَتْ: كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْجِمَاعَ.

*** قُلْتُ: وَتَحِلُّ مُضَاجَعَتَهَا وَمُؤَاكَلَتَهَا بِلَا خِلَافٍ.

و الَّذِي أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى تَحْرِيمِهِ، وَهُوَ الْمُبَاشَرَةُ فِي الْفَرْجِ.

ثُمَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدْ أَثِمَ، فَيَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَيَتُوبُ إِلَيْهِ

***صحيح مسلم

301 عَنْ عَائِشَةَ، أَنَّهَا قَالَتْ:

«كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺيَتَّكِئُ فِي حِجْرِي وَأَنَا حَائِضٌ، فَيَقْرَأُ الْقُرْآنَ»

*** صحيح مسلم

300 عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ:

«كُنْتُ أَشْرَبُ وَأَنَا حَائِضٌ،

ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺفَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ، فَيَشْرَبُ،

وَأَتَعَرَّقُ الْعَرْقَ وَأَنَا حَائِضٌ،

ثُمَّ أُنَاوِلُهُ النَّبِيَّ ﷺفَيَضَعُ فَاهُ عَلَى مَوْضِعِ فِيَّ» ( )

أي:مكان الحيض،وهو الوطء في الفرج خاصة، فهذا هو المحرم إجماعا،

وتخصيص الاعتزال في المحيض، يدل على:–

أن مباشرة الحائض وملامستها، في غير الوطء في الفرج جائز.

لكن قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ ﴾

يدل على أن المباشرة فيما قرب من الفرج، وذلك فيما بين السرة والركبة،

ينبغي تركه كما كان النبي ﷺ

إذا أراد أن يباشر امرأته وهي حائض،أمرها أن تتزر، فيباشرها.

وحد هذا الاعتزال وعدم القربان للحُيَّض

﴿حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ ﴾

أي: ينقطع دمهن، فإذا انقطع الدم، زال المنع الموجود وقت جريانه،

الذي كان لحله شرطان، انقطاع الدم، والاغتسال منه.

فلما انقطع الدم، زال الشرط الأول وبقي الثاني، فلهذا قال:

﴿فَإِذَا تَطَهَّرْنَ﴾ أي: اغتسلن

(أتعرق العرق) هو العظم الذي عليه بقية من لحم هذا هو الأشهر في معناه وقال أبو عبيد هو القدر من اللحم

وقال الخليل هو العظم بلا لحم وجمعه عراق بضم العين ويقال عرقت العظم وتعرقته وأعترقته إذا أخذت عنه اللحم بأسنانك]

(فَأۡتُوهُنَّ مِنۡ حَيۡثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُۚ)

أي: في القبـــــل لا في الـــــدبر، لأنه محل الحرث.

وفيه دليل على وجوب الاغتسال للحائض،

وأن انقطاع الدم، شرط لصحته.

ولما كان هذا المنع لطفا منه تعالى بعباده، وصيانة عن الأذى قال تعالى:

(إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ)

أي: من ذنوبهم على الدوام***وان تكرر غشيان الذنب

(وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ)

أي:المتنزهين عن الآثام وهذا يشمل التطهر الحسي من الأنجاس والأحداث.

-ففيه مشروعية الطهارة مطلقا،لأن الله يحب المتصف بها،

-ولهذا كانت الطهارة مطلقا، شرطا لصحة:- الصلاة و الطواف،

و جواز مس المصحف

-و يشمل التطهر المعنوي عن:-

- الأخـــــلاق الرذيلة،

-و الصفـــــات القبيحة،

-و الأفعـــــال الخسيسة.

(نِسَآؤُكُمۡ حَرۡثٞ لَّكُمۡ فَأۡتُواْ حَرۡثَكُمۡ أَنَّىٰ شِئۡتُمۡۖ)

مقبلة ومدبرة غير أنه لا يكون إلا في القبل،[لكونه موضع الحرث]

((وهو الموضع الذي يكون منه الولد)).

وفيه دليل على تحريم الوطء في الدبر،

لأن الله لم يبح إتيان المرأة إلا في الموضع الذي منه الحرث،

وقد تكاثرت الأحاديث عن النبي ﷺفي تحريم ذلك، ولعن فاعله.

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

*** صحيح البخاري

4528 - عن جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ:

" كَانَتِ اليَهُودُ تَقُولُ: إِذَا جَامَعَهَا مِنْ وَرَائِهَا جَاءَ الوَلَدُ أَحْوَلَ، فَنَزَلَتْ:

{نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} [البقرة: 223] "

*** مسند أحمد مخرجا**

26698 - عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، قَالَتْ:

لَمَّا قَدِمَ الْمُهَاجِرُونَ الْمَدِينَةَ عَلَى الْأَنْصَارِ تَزَوَّجُوا مِنْ نِسَائِهِمْ،

وَكَانَ الْمُهَاجِرُونَ يُجَبُّونَ،

وَكَانَتِ الْأَنْصَارُ لَا تُجَبِّي،

فَأَرَادَ رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ امْرَأَتَهُ عَلَى ذَلِكَ،

فَأَبَتْ عَلَيْهِ حَتَّى تَسْأَلَ النَّبِيَّ ﷺ،

قَالَتْ: فَأَتَتْهُ، فَاسْتَحْيَتْ أَنْ تَسْأَلَهُ، فَسَأَلَتْهُ أُمُّ سَلَمَةَ، فَنَزَلَتْ:

{نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} [البقرة223]

وَقَالَ: «لَا، إِلَّا فِي صِمَامٍ وَاحِدٍ»(1)

أي موضع الزرع من المرأة هو قبلها الذي يزرع فيه المني لابتغاء الولد ففيه إباحة وطئها في قبلها إن شاء من بين يديها وإن شاء من ورائها وإن شاء مكبوبة

(وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمۡۚ)

البدء باسم الله

*** صحيح البخاري

141 - عَنِ ابْنِ عَبَّاس، يَبْلُغُ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:

«لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ بِاسْمِ اللَّهِ،

اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا،

فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرُّهُ»( )

أي: من التقرب إلى الله بفعل الخيرات،

ومن ذلك أن يباشر الرجل امرأته، ويجامعها على وجه القربة والاحتساب،

وعلى رجاء تحصيل الذرية الذين ينفع الله بهم.

* السنن الكبرى للنسائي

8979 عَنْ أَبِي ذَرٍّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺقَالَ:

«يُصْبِحُ عَلَى كُلِّ سُلَامَى مِنَ ابْنِ آدَمَ كُلَّ يَوْمٍ صَدَقَةٌ»

ثُمَّ قَالَ: «إِمَاطَتُكَ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ،

وَتَسْلِيمُكَ عَلَى النَّاسِ صَدَقَةٌ،

وأما الدبر فليس هو بحرث ولا موضع زرع

ومعنى قوله تعالى {أنى شئتم} كيف شئتم

واتفق العلماء على تحريم وطئ المرأة في دبرها حائضا كانت أو طاهرا]

(يبلغ به النبي) أي يرفع الحديث ويصل به إلى النبي ﷺوليس موقوفا على ابن عباس.

(إذا أتى أهله) جامع زوجته والوقاع الجماع.

(ما رزقتنا) أي من ولد]

وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوف صَدَقَةٌ،
وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ،
وَمُبَاضَعَتُكَ أَهْلَكَ صَدَقَةٌ»
قُلْنَا: يَا رَسُولَ الله أَيَقْضِي الرّجُلُ شَهْوَتَهُ وَتَكُونُ لَهُ صَدَقَةٌ؟
قَالَ: «نَعَمْ، أَرَأَيْتَ لَوْ جَعَلَ تِلْكَ الشّهْوَةَ فِيمَا حَرّمَ اللهُ عَلَيْهِ أَلَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ وِزْرًا؟»
قُلْنَا: بَلَى قَالَ: «فَإِنّهُ إِذَا جَعَلَهَا فِيمَا أَحَلّ اللهُ لَهُ فَهِيَ صَدَقَةٌ»
قَالَ: وَذَكَرَ أَشْيَاءَ صَدَقَةً، ثُمّ قَالَ:
«يُجْزِئُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ رَكْعَتَا الضُّحَى»

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ)

أي: في جميع أحوالكم، كونوا ملازمين لتقوى الله،

(وَٱعۡلَمُوٓاْ)

مستعينين بذلك لعلمكم،

(أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُۗ)

و مجازيكم على أعمالكم الصالحة وغيرها.

ثم قال:

(وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ)

لم يذكر المبشر به ليدل على العموم،

وأن لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة،

وكل خير واندفاع كل ضير، رُتِبَ على الإيمان فهو داخل في هذه البشارة.

–و فيها محبة الله للمؤمنين،

–و محبة ما يسرهم،

–و استحباب تنشيطهم

–و تشويقهم بما أعد الله لهم من الجزاء الدنيوي و الأخروي.

وَلَا تَجۡعَلُواْ ٱللَّهَ عُرۡضَةٗ لِّأَيۡمَٰنِكُمۡ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٢٤﴾

*** لَا تَجْعَلُوا أَيْمَانَكُمْ بِاللَّهِ تَعَالَى مَانِعَةً لَكُمْ مِنَ الْبَرِّ وَصِلَةِ الرَّحِمِ إِذَا حَلَفْتُمْ عَلَى تَرْكِهَا، كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَلا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النُّورِ: 22]

فَالِاسْتِمْرَارُ عَلَى الْيَمِينِ آثَمُ لِصَاحِبِهَا مِنَ الْخُرُوجِ مِنْهَا بِالتَّكْفِيرِ

***صحيح البخاري

6625 - وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«وَ اللَّهِ، لَأَنْ يَلِجَّ أَحَدُكُمْ بِيَمِينِهِ فِي أَهْلِهِ، آثَمُ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَنْ يُعْطِيَ كَفَّارَتَهُ الَّتِي افْتَرَضَ اللَّهُ عَلَيْهِ»( )

(يلج) من الإلجاج وهو أن يقيم على يمينه ولا يحنث بها.

(في أهله) الذين يتضررون بعدم حنثه.

(آثم) أكثر إثما من الحنث الذي يمحى بالكفارة]

***و رأي الجمهور :أنك تكفر عن يمينك و تصنع الخير و يؤيدهما جاء في:

صحيح البخاري

3133 - عَنْ زَهْدَمٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَبِي مُوسَى، فَأُتِيَ - ذَكَرَ دَجَاجَةً -،

وَ عِنْدَهُ رَجُلٌ مِنْ بَنِي تَيْمِ اللَّهِ أَحْمَرُ كَأَنَّهُ مِنَ المَوَالِي، فَدَعَاهُ لِلطَّعَامِ،

فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُهُ يَأْكُلُ شَيْئًا فَقَذِرْتُهُ، فَحَلَفْتُ لاَ آكُلُ،

فَقَالَ: هَلُمَّ فَلْأُحَدِّثْكُمْ عَنْ ذَاكَ،

إِنِّي أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺفِي نَفَرٍ مِنَ الأَشْعَرِيِّينَ نَسْتَحْمِلُهُ،

فَقَالَ: «وَاللَّهِ لاَ أَحْمِلُكُمْ، وَمَا عِنْدِي مَا أَحْمِلُكُمْ»،

وَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺبِنَهْبِ إِبِلٍ، فَسَأَلَ عَنَّا

فَقَالَ: «أَيْنَ النَّفَرُ الأَشْعَرِيُّونَ؟»

فَأَمَرَ لَنَا بِخَمْسِ ذَوْدٍ غُرِّ الذُّرَى،

فَلَمَّا انْطَلَقْنَا قُلْنَا: مَا صَنَعْنَا؟

لاَ يُبَارَكُ لَنَا، فَرَجَعْنَا إِلَيْهِ،

فَقُلْنَا: إِنَّا سَأَلْنَاكَ أَنْ تَحْمِلَنَا، فَحَلَفْتَ أَنْ لاَ تَحْمِلَنَا، أَفَنَسِيتَ؟

قَالَ: «لَسْتُ أَنَا حَمَلْتُكُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ حَمَلَكُمْ،

وَإِنِّي وَاللَّهِ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - لاَ أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ،

فَأَرَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا أَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَتَحَلَّلْتُهَا»( )

(فأتي وذكر. .) أي فأتي أبو موسى رضي الله عنه بطعام فيه لحم دجاج والظاهر أن الراوي نسي كامل اللفظ وتذكر دجاجة فذكرها ودجاجة واحدة الدجاج هو نوع من الطيور الأليفة معروف ويقع على الذكر والأنثى.

(تيم الله) بطن من بني بكر ومعنى تيم الله عبد الله.

(أحمر) مقابل أسود.

(كأنه من الموالي) أي كأنه من سبي الروم لاختلاف لونه عن لون عامة العرب. (نستحمله) نطلب منه أن يعطينا ما نركب عليه ونحمل متاعنا.

(بنهب الإبل) بغنيمة فيها إبل.

(ذود) ما بين ثلاث إلى عشر من الإبل.

*** صحيح مسلم

1650 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: أَعْتَمَ رَجُلٌ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ
ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَهْلِهِ فَوَجَدَ الصِّبْيَةَ قَدْ نَامُوا، فَأَتَاهُ أَهْلُهُ بِطَعَامِهِ،
فَحَلَفَ لَا يَأْكُلُ مِنْ أَجْلِ صِبْيَتِهِ،
ثُمَّ بَدَا لَهُ فَأَكَلَ، فَأَتَى رَسُولَ اللهِ ﷺفَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ،
فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
«مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيَأْتِهَا، وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ»( )

–المقصود من اليمين، والقسم تعظيم المقسم به، وتأكيد المقسم عليه،

وكان الله تعالى قد أمر بحفظ الأيمان،

وكان مقتضى ذلك حفظها في كل شيء

ولكن الله تعالى استثنى من ذلك إذا كان البر باليمين،

يتضمن ترك ما هو أحب إليه، فنهى عباده أن يجعلوا أيمانهم

(عُرْضَةً)

أي: مانعة وحائلة

(غر الذرى) الغر جمع أغر وهو الأبيض والذرى جمع ذروة وهي من كل شيء أعلاه والمراد أنها ذوات أسنمة بيض من سمنهن وكثرة شحومهن.

(ما صنعنا) استنكار منهم لما فعلوه من مجيئهم وطلبهم وحملهم رسول الله ﷺعلى الحلف وخافوا أن يؤاخذوا على ذلك.

(تحللتها) من التحلل وهو التخلص من عهدة اليمين بالكفارة ونحوها كالاستثناء عند الحلف]

(أعتم) أي دخل في العتمة وهي شدة ظلمة الليل]

(أَن تَبَرُّواْ)

عن أن يبروا –أن يفعلوا خيرا،

(وَتَتَّقُواْ)

أو يتقوا شرا،

(وَتُصۡلِحُواْ بَيۡنَ ٱلنَّاسِۚ)

أو يصلحوا بين الناس،

–فمن حلف على ترك واجب وجب حنثه، وحرم إقامته على يمينه،

–ومن حلف على ترك مستحب، استحب له الحنث،

–ومن حلف على فعل محرم، وجب الحنث، أو على فعل مكروه استحب الحنث،

–وأما المباح فينبغي فيه حفظ اليمين عن الحنث.

ويستدل بهذه الآية على القاعدة المشهورة، أنه

« إذا تزاحمت المصالح، قدم أهمها »

فهنا تتميم اليمين مصلحة، وامتثال أوامر الله في هذه الأشياء،

مصلحة أكبر من ذلك، فقدمت لذلك.

ثم ختم الآية بهذين الاسمين الكريمين فقال:

(وَٱللَّهُ سَمِيعٌ ۚ)

أي: لجميع الأصوات

(عَلِيمٌ)

بالمقاصد والنيات، ومنه سماعه لأقوال الحالفين،

و علمه بمقاصدهم هل هي خير أم شر،

وفي ضمن ذلك التحذير من مجازاته، وأن أعمالكم ونياتكم،

قد استقر علمها عنده.

الاعجاز العلمي في تحريم الوطء أثناء الحيض

http://www.jameataleman.org/main/articles.aspx?article_no=1746

التفسير العلمي لأذى المحيض:-

الحيض هو دم طبيعي يأتي المرأة البالغة عادة كل شهر مرة، يخرج منها لفترة تتراوح بين اليومين وسبعة أيام على الأغلب،

وتختلف كمية الدم الذي يخرج من امرأة لأخرى، وفْقَ الحالة الجسدية والنفسية.

وسيلان دم المحيض يرجع إلى التغيرات المهمة التي تحصل للغشاء المبطن للرحم، التي تؤدي بدورها إلى تمزق العروق الدموية، فيسيل الدم منه،

وما يلبث الغشاء المخاطي للرحم أن يسقط مصحوباً بالدماء، مشكِّلاً سيلان الحيض.

بيد أن أكثر تأثيرات المحيض شدة وعمقاً، ما يُصيب المرأة وينتابها من حالة نفسية وجسدية،

فقُبَيْلَ بدء الحيض ينخفض لدى المرأة تركيز حمرة الدم، وتعداد الكريات الحمراء، الأمر الذي يؤدي إلى انخفاض مقاومة جسم المرأة للأمراض أثناء فترة الحيض،
وزيادة القابلية للالتهابات والإصابات الجسمية،
مع تزايد أعراض الاضطراب والارتعاش والتوتر العصبي،
وتبدل المزاج، وسرعة الاستثارة،
ويُرافق كل ذلك تغيُّر في القدرة على الحكم على الأشياء.
وإضافة لما تقدم من تغيُّرات تحدث للمرأة فترة المحيض،
فقد دلت الدراسات على أن نسبة الإنتاج لدى المرأة تنخفض وقت المحيض،
وتزداد نسبة الانتحار وجرائم النساء في بعض المجتمعات بشكل ملحوظ في تلك الفترة ( ).
يقذف الغشاء المبطن للرحم أثناء الحيض، وبفحص دم الحيض تحت المجهر نجد بالإضافة إلى كرات الدم الحمراء والبيضاء قطعاً من الغشاء المبطن للرحم،
ويكون الرحم متقرحاً نتيجة لذلك، فهو معرض للعدوى البكتيرية.
ومن المعلوم طبياً أن الدم هو خير بيئة لتكاثر الميكروبات ونموها،
وتقل مقاومة الرحم للميكروبات الغازية نتيجة لذلك
ويصبح دخول الميكروبات الموجودة على سطح القضيب يشكل خطراً داهماً على الرحم.
ومما يزيد الطين بلة أن مقاومة المهبل لغزو البكتيريا تكون في أدنى مستواها أثناء الحيض.. إذ يقل إفراز المهبل للحامض الذي يقتل الميكروبات
ويصبح الإفراز أقل حموضة إن لم يكن قلوي التفاعل،
كما تقل المواد المطهرة الموجودة بالمهبل أثناء الحيض إلى أدنى مستوى لها،
ليس ذلك فحسب بل جدار المهبل الذي يتألف من عدة طبقات يقل أثناء الحيض إلى أدنى مستوى له.

أعراض مصاحبة:

لتفاصيل أكثر ارجع إلى موقع الشبكة الإسلامية.

يذكر الأطباء المتخصصون جملة من الأمراض أو الأعراض التي تصيب المرأة عند مجيء الحيض أو ما يسمى الدورة الشهرية لها

-وهذه الأعراض بعضها مشاهد تجده المرأة بنفسها وتشعر به وبعضها غير مشاهد ولا تشعر به على المدى القريب

بل تظهر نتائجه بعد فترة من الزمن،

وهذا التأخر في ظهور النتائج قد يكون بسبب وجود مناعة قوية ذاتية عندها أو قد يكون بسبب تناول بعض العقاقير الطبية.

<u>ومن هذه الأعراض ما يأتي:</u>

- يمتد الالتهاب إلى قناة الحيض على أدنى مستوى لها.
- يمتد الالتهاب إلى قناة مجرى البول فالكلى.
- يصاحب الحيض آلام شديدة.
- تصاب كثير من النساء أثناء الحيض بحالة كآبة وضيق كما أن حالتها العقلية والفكرية تكون في أدنى درجاتها أثناء الحيض لذلك نهى رسول الله عن تطليق النساء أثناء الحيض.
- تصاب بعض النساء بصداع نصفي (الشقيقة) قرب بداية الحيض وآلام مبرحة.
- تقل الرغبة الجنسية لدى المرأة أثناء الحيض.
- يسبب الحيض فقر دم للمرأة.
- تنخفض درجة حرارة المرأة أثناء الحيض درجة مئوية واحدة.
- تزيد شراسة الميكروبات أثناء الحيض في دم الحيض وخاصة ميكروبات السيلان
- تصاب الغدد بالتغير فتقل أفرازاتها.
- يبطئ النبض وينخفض ضغط الدم فيسبب الشعور بالدوخة والفتور والكسل.
- لا يتم الحمل أثناء الحيض.
- لا يقتصر الأذى على الحائض بل ينتقل الأذى إلى الرجل الذي وطأها أيضاً.

وقد خرج مؤخراً بحث حديث قدمه البروفسور عبد الله باسلامة إلى المؤتمر الطبي السعودي جاء فيه أن الجماع أثناء الحيض

-قد يكون أحد أسباب سرطان عنق الرحم ويحتاج الأمر إلى مزيد من الدراسة[ ].
و تنتقل الميكروبات من قناة الرحم إلى مجرى البول و البروستات و المثانة.
و التهاب البروستات سرعان ما يصبح مزمناً لكثرة قنواتها الضيقة الملتفة
و التي نادراً ما يتمكن الدواء من قتل الميكروبات المختفية في تلافيفها،
فإذا ما أزمن التهاب البروستات فإن الميكروبات سرعان ما تغزو بقية الجهاز البولي التناسلي فتنتقل إلى الحالبين ثم إلى الكلى،
و هو العذاب المستمر حتى نهاية الأجل.
و قد ينتقل الميكروب من البروستات إلى الحويصلات المنوية فالحبل المنوي فالبربخ فالخصيتين، و قد يسبب ذلك عقماً بسبب انسداد قناة المني[ ].

*الاستحاضة عرق:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاءت فاطمة ابنة أبي حبيش إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني امرأة أُستحاض فلا أطهر، أفأدع الصلاة؟
فقال رسول الله ﷺ:
«لا، إنما ذلك عرقٌ وليس بحيض، فإذا أقبلت حيضتك فدعي الصلاة،
و إذا أدبرت فاغسلي عنك الدم ثم صلي»(بخاري).
و زاد في رواية: «ثم توضئي لكل صلاة حتى يجيء ذلك الوقت»(بخاري).
دل الحديث الشريف أن دم الحيض لا يأتي مباشرةً من العروق الدموية
بل هو كما يقول الأطباء المختصون نسيجٌ محتقن منتخر،
فحين تنمو بطانة الرحم تنمو معها شرايين و تتحلزن،
ولا أحد يعرف كيف يحصل هذا التحلزن العجيب،
فإذا انكمشت بطانة الرحم في آخر الدورة لانحسار الهرمونات
فإن سماكتها تقل وتضغط على شرايينها الحلزونية←
و هذا يؤدي إلى انضغاط التحلزنات على بعضها بعضاً و انقطاع الدم،

[ ] الحكمة من تحريم معاشرة النساء أثناء المحيض أخذا من موقع:http://www.balagh.com/mosoa/ejaz/ak0smf3m.htm

[ ] خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد على البار.

← و يؤدي بدوره إلى تنخُّر البطانة وانطراحها على شكل دم الحيض،
بخلاف دم الاستحاضة الذي هو نزف غير طبيعي يأتي مباشرة من العروق[1].
و لا شك أن كل دمٍ يخرج من عرق،
و لم يبين الحديث الشريف مكان هذا العرق؛
هل هو في داخل الرحم أم في خارج الرحم؟
و الفقهاء يقولون: إن مصدر دم الاستحاضة ليس من الرحم بل من عرق خارج الرحم يسمى العازل.
لكن الطب الحديث يقول: إنّ دم الاستحاضة مصدره الرحم أيضاً كالحيض و النفاس، فهو بهذا يخالف الفقهاء،
أما الحديث فلم يتطرق إلى مكان العرق لأن رسول الله ﷺكان يجيب على السؤال دون تنطع
و ذكر ما ليس له به علم وهذا يؤكد إنه ما كان ينطق عن الهوى بل هو وحي يوحى و لو علم الله أن في ذكر موقع ذلك العرق فائدة لأخبر به نبيه،
أما الفقهاء فإنهم لما لم يعلموا علم ما علم رسول الله ﷺ
و لم يكونوا من أصحاب الاختصاص في هذه المسألة رأينا كيف أخطأوا
وخالفوا علماء التخصص في هذه المسألة والمصير إلى الحقيقة العلمية هو الأولى ما دام الحديث الشريف لم يحدد مكان خروج الدم و لم يصرح بذلك[2].

وجه الإعجاز:

من قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىَ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّه إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ) [البقرة: 222].

نلحظ أمران:

---

[1] القرار المكين، ص 43.

[2] انظر: إرشاد الناس إلى أحكام الحيض والنفاس.

الأول:نستشف من قوله: ﴿هُوَ أَذًى﴾ المعاني التي تدل عليها لفظة أذى و هي التي ذكرناها في بداية هذا المبحث وبالجملة ما كان مستقذراً
أو ما يسبب المرض ومقدماته من الالتهابات و الآلام العضوية و النفسية و غيرها.

الثاني: و من قوله تعالى: ﴿فَاعْتَزِلُواْ النِّسَاء فِي الْمَحِيضِ﴾
نستفيد الأمر بتحريم جواز المضاجعة في أيام الحيض.
و تأسيساً على ما أثبته العلم من تغيرات وتبدلات ترافق المرأة قُبيل وأثناء فترة الحيض يمكننا إدراك وجه الإعجاز التشريعي للقرآن حين عبَّر عن كل ذلك بلفظ واحد هو لفظ "الأذى" قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ أَذًى﴾ [البقرة: 222].
و يقال أيضًا: إنه يُمكن لكل من حباه الله قدراً من الحس و الآدمية،
أن يدرك بوضوح أن الرغبة في إتيان المرأة وقت حيضها –و الحالة على ما ذكرنا- إنما هي رغبة بهيمية شاذة، بل هي أدنى و أحط،
إذ قد ثبت أن ذكور الحيوانات تتخير المواسم الفطرية الملائمة لقربان الأنثى،
-و عُلِمَ أيضاً أن الوطء فترة الحيض لا يمكن مطلقاً أن يُنتج حملاً؛
لأن عملية التبويض لا تكون إلا قبل الحيض بأسبوعين كاملين تقريبًا.
وفوق هذا وذاك، فإن الوطء أثناء الحيض هو في الحقيقة إدخال للجراثيم إلى الرحم في وقت تكون فيه الأجهزة الدفاعية لدى المرأة في حالة ضعف وخمول،
بحيث لا تستطيع المقاومة المطلوبة.
وإذا أضفنا إلى ما سبق أن وجود الدم في تلك الفترة يُعد عاملاً مساعدًا ومنشطًا لتكاثر الجراثيم ونموها،
أدركنا وجه الإعجاز القرآني في تحريمه لقربان المرأة وقت المحيض.
-ولا يخفاك -أخي الكريم- بعد كل ما تقدم أن إتيان المرأة في المحيض،
لا يمثل مخالفة لما شرعه العليم الخبير فحسب،
-ولا يمثّلُ منافاة لما تقتضيه قواعد الذوق السليم والفطرة النقية كذلك،
-وإنما يُعَدُّ ارتكاسًا في حمأة موبوءة بالغة الإيذاء والضرر بالمرأة صحيًا ونفسيًا،
-ويعد كذلك إصرارًا على التردي في متاهات الجهالة والبدائية،

وخاصة بعد أن قال العلم كلمته الصريحة في هذا الشأن، فهل من معتبر؟!

وصدق الله القائل: ﴿سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق﴾ [فصلت: 53] والقائل: ﴿فماذا بعد الحق إلا الضلال﴾ [يونس: 32].( )

اضرار الوطء في الدبر

http://quran-m.com/firas/farisi/print_details.php?page=show_det&id=335

مضار الفواحش و الفوضى الجنسية :

لخص الدكتور النسيمي ما تؤدي إليه الحرية الجنسية من أضرار مهلكة و مدمرة للفرد و المجتمع بالأمور التالية :

1ـ إن إطلاق العنان للإنسان في ممارسة رغباته الجنسية و إشباع غرائزه و شهواته تؤدي بلا شك إلى أضرار فادحة تلحق بصحة الفرد و تدمر كيان الأسرة لبنة المجتمع .

2ـ الفواحش هي السبب الوحيد تقريباً للإصابة بالأمراض الزهرية ، و أهم العوامل في انتشارها ، كالإفرنجي و السيلان البني و داء نقص المناعة المكتسبة (الإيدز) .

3ـ اللواط ، كما رأينا تزيد على الزنى بمضار متميزة ، فالفاعل المعتاد على اللواط تنحرف عنده الميول الجنسية فلا يميل لمعاشرة زوجته و قد يقدم على طلاقها أو ممارسة الشذوذ الجنسي معها بإتيانها في الدبر أما الملوط به فيتعرض لتوسع الشرج و ارتخاء المصرة الشرجية و قد يصاب بسلس غائطي و قد يرتكس نفسياً فيتخنث .

أهم الأمراض التي تصيب الزناة والشواذ

الأمراض الزهرية (الأمراض المنتقلة بالجنس)

( ) إعداد/ قسطاس إبراهيم النعيمي -مراجعة/ عبد الحميد أحمد مرشد & علي عمر بلعجم

سميت هذه الأمراض بالأمراض الزهرية قديما venereal نسبة إلى فينوس آلهة الحب( ) عند الإغريق ،

و كانت تشمل عدداً محصوراً من الآفات ، تنتقل كلها بالجماع .

إلا أن توسع الأمراض التي تنتقل بالاتصال الجنسي ، وسعة انتشارها جعل هذا الاصطلاح قاصراً ، و المصطلح الحديث الذي يجمعها هو الأمراض الجنسية المنتقلة بالجنس و التي يمكن أن تنتقل بأي شكل من أشكال الاتصال الجنسي سواء كان طبيعياً أم شاذاً ، جماعاً مهبلياً عادياً ، أو شرجياً أو فموياً ـ جنسيا.

و لا شك ، أن الأمراض الزهرية تشكل عقاباً إلهياً عاجلاً لمن تجرأ و اعتدى على الفطرة الإنسانية السليمة و سلك غير سبيل الهدى بارتكاب الفواحش من زنى و لواط و سحاق و غيرها .

و انتشار هذه الأمراض مع الإباحية الجنسية و العلاقات الفاجرة ما هو إلا تحقيق لنبوءة سيد البشر و إعجاز نبوي لقوله ﷺ:

"و لم تظهر الفاحشة في قوم قط حتى يعلنوا بها إلا فشا فيهم الطاعون و الأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا"( )

الإفرنجي syphilis:

مرض أنتاني ظهر في أوربا في القرون الوسطى و سمي باللكمة الجبارة و يستوطن اليوم كل أرجاء العالم مع ثورات له بين الحين و الآخر و ترتبط ثوراته بالحروب و ما يرافقها من فاقة و حاجة و دعارة و رخص جنسي ، ينتقل بالاتصال الجنسي مع إمكانية انتقاله من الأم الحامل المصابة إلى وليدها عبر المشيمة ،

تعالي الله عما يقولون علوا كبيرا

رواه الحاكم في مستدركه عن عبد الله بن عمر و صححه السيوطيو قال الألباني حديث صحيح .

و تعتبر الحرية الجنسية اليوم مع انتشار اللواط و الدعارة من أهم أسباب انتشاره يساعد على ذلك استعمال حبوب موانع الحمل و كثرة و سهولة السفر و الترحال .
ينجم الإفرنجي عن جراثيم دقيقة خيطية الشكل تدعى بالبريميات الشاحبة
و يوجد تمعجات على طول الجراثيم الذي يبلغ 20 ميكروناً .
و هي جراثيم تموت بسرعة خارج الجسم الإنساني لذا انحصرت العدوى من المريض إلى السليم بالتماس الحار الرطب
[الذي يحصل مع الجماع و مقدماته].
و للإفرنجي شكلان :الإفرنجي المكتسب و الإفرنجي الولادي .

الإفرنجي المكتسب:

و يمر بمرحلتين الأولى خمجية شديدة السرية هي الإفرنجي الباكر
و الثانية غير معدية لكنها ذات آثار خطرة جداً على العضوية هي الإفرنجي المتأخر .
الإفرنجي الباكر و يبدأ بعد فترة حضانة تقدر بثلاثة أسابيع بعد ليلة العدوى التي حصل فيها الجماع المشبوه ،
و ذلك بظهور حطاطة حمراء في مكان دخول الجراثيم تتقرح بسرعة لتشكل قراحاً صلباً مفرداً غير مؤلم ذو حود واضحة ،
يمكن أن يتوضع في أي مكان على الأعضاء التناسلية أو الفم ، على الشفة أو اللسان أو الشرج ، يرافقه ضخامة في العقد اللمفاوية الناحية يدعى " القرح الصلب " أو الإفرنجي الأولي .
يشفى القرح الصلب خلال أسابيع و يدخل المرض دور كمون لتبدأ بعده أعراض الإفرنجي الثانوي (بعد 9 أسابيع من العدوى)

و يستمر شهوراً تبلغ السنتين .و يتظاهر بأعراض متباينة جداً حيث يشكو المريض من فتور و حرارة خفيفة و بحة صوت ،
كما تظهر بقع وردية بلون زهر الدراق في معظم أنحاء البدن
" الوردة الإفرنجية "
أو تظهر حطاطات نحاسية اللون متقرحة على الراحتين و الأخمصين " الحطاطات الإفرنجية "
و هي إن ظهرت على الأماكن المتعطنة (الفرج و الشرج)
نمت كثيراً على شكل القرنبيط " الأورام القرنبيطية "
و يمكن أن تتسحج و ينزف منها مصل كريه الرائحة.
و قد تظهر في باطن الفم تقرحات سطحية تغطيها
غشاوة رمادية " الطلاوة الإفرنجية "
و قد تسقط أشعار الفروة بغزارة مخلفة بقعاً عديمة
الشعر تدعى : الحاصة الخلالية ".
و قد تبدو تغيرات في لون الجلد على شكل رقط ناقصة الصباغ على الجذع و خاصة الرقبة .
تغيب تظاهرات الدور الثانوي خلال بضعة أشهر ليدخل المرض في كمون طويل لا يكشف إلا بالفحوص المخبرية الخاصة لتبدأ بعد 2ـ 8 سنوات ما يسمى :

الإفرنجي المتأخر :

و أهم مظاهر الصموغ الإفرنجية وهي أورام التهابية مخربة ،
تتلين عند نضجها و يخرج منها قيح صمغي ،تشفى بعد أشهر تاركة ندباً مشوهة على الجلد ،
لكنها قد تتوضع داخل الأحشاء و الدماغ أو الرئتين أو القلب لتأخذ أشكالاً مميتة أحياناً.

و يصيب الإفرنجي في أدواره المتقدمة الجهاز العصبي حيث يتبدى بأشكال مختلفة منها التهاب السحايا الإفرنجي ،
ومنها آفات تنكسية تصيب النخاع الشوكي مؤدية إلى الإصابة بالضنا الظهري
الإفرنجي الولادي: إذا كانت الحامل مصابة بالإفرنجي فإن جراثيمه تمر عبر المشيمة إلى الجنين الذي يصاب بالمرض الذي يغلب أن يمته .

السيلان البني gonorrhea

و هو مرض إنتاني ينجم عن جراثيم مكورة مزدوجة تشبه حبة البن تدعى بالمكورات البنية .و تبدأ الأعراض بعد فترة حضانة تقدر بثلاثة أيام من الجماع المشبوه فيظهر عند الرجل التهاب حاد في الإحليل يؤدي إلى:-
سيلان قيحي من الإحليل ، اصفر مخضر ، كريه الرائحة ، مع ألم شديد ، و حرقة أثناء التبول .
و قد ينتقل الأنتان إلى الأعلى فيصيب البروستات و البربخ و الحويصلات المنوية أو الناقلة و تؤدي إلى العقم .
أما عند المرأة فتكون الأعراض أقل حدة لقصر الإحليل عندها ،
و إذا انتقل عندها إلى الأعلى فيمكن أن يصيب المثانة أو ينتقل إلى المهبل فعنق الرحم فالطرق الناقلة للبيض و حتى المبيضين و ينتج عن التيلفات التاليبة العقم أيضاً.
و في حالات إزمان الآفة إن نقص المناعة يمكن أن ينقل الأنتان إلى الدم حيث يحدث تجثم الدم السيلاني في 1% من الإصابات
فترتفع الحرارة مع طفح التهابي وعائي ،
و من الدم ينتقل الجرثوم ليتوضع في أحد المفاصل الكبيرة كالركبة أو المرفق أو يتوضع في شغاف القلب فيحدث التهاب الشغاف الذي يغلب ، يهلك صاحبه بالموت.

متلازم عوز المناعة المكتسبة " الإيدز Aids"

الإيدز هو المحطة الأخيرة في رحلة الإنسان الشهواني الطويلة مع الأمراض الزهرية المختلفة ،
و إن العالم لم يواجه في تاريخه تهديداً مدمراً كالذي يواجه اليوم نتيجة انتشار الإيدز.

العامل الممرض و طرق انتقاله " العدوى" :

ينجن الداء عن فيروس خاص يدعى " حمة عوز المناعة البشرية H.I.V "
و هي هشة و ضعيفة جداً خارج جسم الإنساني إذ هي حساسة للحرارة و المطهرات الكيماوية .
تشاهد بكثرة في الدم المصاب و المني و مفرزات المهبل و عنق الرحم .
و الجماع بما يحدثه غالباً من سحجات مجهرية ،
و ما يرافقه من غزارة في مفرزات المهبل و قذف مني ملوثة بالحمة هو السبب الغالب في انتقال الحمة من المريض إلى السليم .
سواء أكان هذا الجماع طبيعياً بين رجل و امرأة أو شاذاً بين رجل و آخر ،
و لكن اللواط أكثر أثراً في إحداث مثل تلك الرضوض الشرجية أو في العضو لعنف الجماع فيها لذا يشكل اللوطيون النسبة الأعلى تعرضاً للإصابة .
تليها فئة المومسات و من يتصل بهن و ذلك لكثرة شركائهن الجنسيين
و كثرة اتصالاتهن المحتملة للعدوى خاصة أن أغلبهن مصاب بتقرحات في عنق الرحم تكون مدخلاً سهلاً للحمات.
و التلوث بدم مصاب ينقل المرض سواء عند تلقي دماء مقطوفة من مرضى مصابين بالإيدز أو تلقي وخز إبرة ملوثة بدم المصاب
و هذا يحدث عند مدمني المخدرات إذا اشتركوا في الحقن الوريدية .
علماً بأن الإحصاءات الأوروبية أثبتت أن ثلث المدمنين على المخدرات في أوربا مصابون بحمة الإيدز،

-المرأة الحامل المصابة بالإيدز تنقل الحمه إلى وليدها عبر المشية بنسبة 50% .

تطور الإصابة و مظاهرها :

إن معظم عناصر الجهاز المناعي في البدن تتأثر بشدة بعد دخول حمة الإيدز ، فهذه الحمة ترتبط باللمفاوية التائية فتقتلها أو تشلها .

-أما الخلايا البائية فلا ترتبط باللمفاويات التائية فتقتلها أو تشلها .

أما الخلايا البائية فلا ترتبط بها الحمة مباشرة ،

و لكن نظراً لارتباطها الوثيق بالخلايا التائية فإن وظائفها تضطرب و تصبح مع الزمن غير قادرة على انتاج الأضاض التي يكافح بها البدن العضويات الدخيلة ،

كما أن الخلايا القاتلة NKينقص عددها و تتأثر و ظيفتها في مكافحة الأورام

-أما البلعات فتضعف لتصبح غير قادرة على القيام بوظيفتها في البلعمة .

و يستطيع البدن بعد دخول الحمة ب 3 ،4 أسابيع تكوين أضداد ،

لا تفيده في إكسابه أية مناعة ، لكنها تفيد في الكشف عن الإصابة حيث تصبح التفاعلات ضد الإيدز إيجابي

و يرافق هذا الانقلاب المصلي بعض الأعراض العامة من ترفع حروري ، التهاب بلعوم و صداع و آلام مفصلية لا يأبه لها المريض عادة .

بعد زوال هذه الأعراض يدخل المريض في دور من الكمون قد تمتد طويلاً حيث يكون البدن في صراع مع المريض دون أن يبدي أية أعراض لكن النقص المتدرج في الخلايا التائية المؤازرة نتيجة التأثير المباشر للفيروس عليها يؤدي ببعض الانتانات التنفسية أو العصبية أو الهضمية لتكتسب فرصتها محدثة أخماجاً انتهازية أو تضخم شامل في العقد اللمفاوية يسمى الاعتلال اللمفي المستمر المنتشر .

و هؤلاء إما أن يتوقف المرض عندهم إلى هذا الحد أو أن يتقهقر مرة أخرى إلى اللاعرضية أو يتطور عندهم إما إلى ما يسمى المركب المرتبط بالإيدز أو إلى الإيدز الصحيح .

أهم مظاهره:

1 ـ الاعتلال العقدي اللمفي المستمر المنتشر :-

تنبه حمه الإيدز الخلايا البائية الموجودة في العقد اللمفية إلى ضخامة معتدلة فيها و خاصة عقد الإبط و العنق حيث تصبح متحركة و غير مؤلمة بعد تناول الخمور و قد تترافق مع أعراض عامة كنقص الوزن و الترفع الحراري و الاندفاعات الجلدية حيث تصبح الحالة العامة للمريض سيئة .

2ـالمركب المرتبط بالإيدز و يتظاهر بنقص كبير في وزن المريض:-

مع فمه و انحطاط في البدن و إسهال حاد متقطع يدوم أشهراً ، و تعرق ليلي غزير ، و ترفع حراري معتدل ،

كما تبدو لويحات بيضاء في باطن الفم أو على اللسان توحي بظهور السلاق و تدل على انهيار المناعة عند المصاب

3ـ الأعراض الفموية و الجلدية :

و اهمها ما يسمى الطلوان الشعري أو الوبري و هي لطخات على جانبي اللسان لا يمكن قلعها و هي العرض الوحيد الذي لا نجده إلا في الإيدز و منها داء المبيضات و الخراجات السنية المعندة و التقرحات الفموية المختلفة المنشأ .

كما يسيطر على الجلد عدد من الآفات بالحمات الراشحة كالحلأ البسيط و داء المنطقة و المليساء المعدية و الثآليل لكنها هنا تبدو أكبر حجماً و أكثر انتشاراً و عنداً .



4ـ مظاهر الإيدز الصريح :

و هو شكاية المريض من
الأخماج و الأورام الأنتهازية .

أ ـ الأخماج الانتهازية :

أما أخماج الجهاز التنفسي يحدث أغلبها بالتكيسات الرئوية الكارينية ،
ثم بالمتفطرات الطبرية أو الحمات المضخمة للخلايا أو بالمتفطرات السلية .
أما أخماج الجهاز الهضمي فتتظاهر بنقص الوزن و الإعياء و ضخامة العقد
و عرضها الوصفي هنا عسر البلع مع ألم أو حرقة خلف المقص تنجم عن
استيلاء المبيضات على الجهاز الهضمي و خاصة المريء .
و يرافقه إسهال مائي أو مخاطي و قد يكون مدمى سببه طفيليات متنوعة
من العصيبان الجرثومية الانتهازية .
و حمات الحلأ البسيطة قد تسيطر على المستقيم و منطقة ما حول الشرج
مؤدية إلى تقرحات فيها ،
قد تنزف أثناء التغوط .أما أخماج الجهاز العصبي فأهمها
التهاب الدماغ
(فقدان الذاكرة للحوادث القريبة ، الوسن و العنانة ،
الإبالة في السرير ونوبات من الاختلاج).
و التهاب السحايا و ينجم عن المكورات المستكفية
(صداع ، نوبة صرعية ، حرارة ،و
تخليط) ،
و الاعتلال النخاعي ،
و التهاب في الشبكية
(عمى ليلي ، تقلص ساحة الرؤية و
اضطرابها).



الأورام الانتهازية:

يخفق الجهاز المناعي المنهار عند المصاب بالإيدز في التعرض إلى الخلايا السرطانية و قتلها مما يؤدي إلى انتشار واسع للأورام الخبيثة عند مرضى الإيدز و التي تؤدي بهم و بسرعة إلى نهايتهم المحتومة .

و أهم هذه الأورام :

أ ـ الورم العفلي الكابوزي Sarcoma Kaposi:

و يتخذ في الإيدز ما يسمى بالشكل الوبائي

و يكثر عند اللوطيين و يتظاهر ببقع وردية بنفسجية ،

و يزداد لونها شدة مع الزمن و قد تسود و تبرز و تتصلب و يزداد حجمها ثم تتقرح .

ب ـ اللمفاويات : أورام خبيثة تصيب النسج اللمفاوية و يمكن أن تتوضع في الدماغ أو في العظام أو في الأمعاء .

ج ـ سرطان اللسان الوسفي :-

حيث يؤدي إلى تقرح في جانبي اللسان تنبعث منه رائحة كريهة ، و يتضخم ليعيق حركة اللسان و الكلام و لا علاج له سوى استئصال اللسان بكامله .

صـــــــــــــــــور للعـــــــــــــــــبرة :

من أحب أن يعتبر ويرى بعض الأوجاع التي يتعرض لها الزناة في الحياة الدنيا فليشاهد بعض هذه الصورة بالضغط على الروابط في الأسفل

صور الأمراض الإفرنجي

صور لأعراض السيلاني البني

الورم العفلي الكابوزي

المراجع :

الأمراض المنتقلة بالجنس : د. عبد اللطيف ياسين القاهرة
الأمراض الجلدية : : د . مأمون جلاد
روائع الطب الاسلامي : د محمد نزار الدقر

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ
﴿٢٢٥﴾ لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ ۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾
وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ
قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ
وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ
وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ۖ فَإِمْسَاكٌۢ بِمَعْرُوفٍ أَوْ
تَسْرِيحٌۢ بِإِحْسَٰنٍ ۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا۟ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا
يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ تِلْكَ
حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا ۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا
تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعْدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ
أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ ۗ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ

*** لَا يُعَاقِبُكُمْ وَلَا يُلْزِمُكُمْ بِمَا صَدَرَ مِنْكُمْ مِنَ الْأَيْمَانِ اللَّاغِيَةِ

وَهِيَ الَّتِي لَا يَقْصِدُهَا الْحَالِفُ،
بَلْ تَجْرِي عَلَى لِسَانِهِ عَادَةً مِنْ غَيْرِ تَعْقِيدٍ وَ لَا تَأْكِيدٍ،كَمَا فِي:-
***صحيح البخاري
4860 - عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
" مَنْ حَلَفَ فَقَالَ فِي حَلِفِهِ: وَ اللَّاتِ وَ العُزَّى، فَلْيَقُلْ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ،
***فَهَذَا قَالَهُ لِقَوْمٍ حَدِيثِي عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ، قَدْ أَسْلَمُوا وَأَلْسِنَتُهُمْ قَدْ أَلِفَتْ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ مِنَ الْحَلِفِ بِاللَّاتِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ،
فَأُمِرُوا أَنَّ يَتَلَفَّظُوا بِكَلِمَةِ الْإِخْلَاصِ، كَمَا تَلَفَّظُوا بِتِلْكَ الْكَلِمَةِ مِنْ غَيْرِ قَصْدٍ، لِتَكُونَ هَذِهِ بِهَذِهِ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى:
{وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ} كَمَا قَالَ فِي الْآيَةِ الْأُخْرَى فِي الْمَائِدَةِ: {وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأيْمَانَ} [الْمَائِدَةِ:89] .
أي: لا يؤاخذكم بما يجري على ألسنتكم من الأيمان اللاغية،
التي يتكلم بها العبد، من غير قصد منه و لا كسب قلب،
و لكنها جرت على لسانه كقول الرجل في عرض كلامه:
« لا و الله » و « بلى و الله » و كحلفه على أمر ماض، يظن صدق نفسه،
و إنما المؤاخذة على ما قصده القلب.
و في هذا دليل على اعتبار المقاصد في الأقوال، كما هي معتبرة في الأفعال.
(وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ)
* الميسر:-ولكن يعاقبكم بما قصدَتْه قلوبكم.

*** هُوَ أَنْ يَحْلِفَ عَلَى الشَّيْءِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ كَاذِبٌ. قَالَ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ:
وَهِيَ كَقَوْلِهِ: {وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الأيْمَانَ} الْآيَةَ [الْمَائِدَةِ:89]

(وَٱللَّهُ غَفُورٌ)

لمن تاب إليه،

(حَلِيمٌ)

بمن عصاه، حيث لم يعاجله بالعقوبة، بل حلم عنه وستر،

وصفح مع قدرته عليه، وكونه بين يديه.

لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍۖ فَإِن فَآءُو فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾

وَإِنْ عَزَمُواْ ٱلطَّلَٰقَ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ

(لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ)

*** الْإِيلَاءُ: الْحَلِفُ، فَإِذَا حَلَفَ الرَّجُلُ أَلَّا يُجَامِعَ زَوْجَتَهُ مُدَّةً
فَلَا يَخْلُو: إِمَّا أَنْ يَكُونَ أَقَلَّ مِنْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، أَوْ أَكْثَرَ مِنْهَا،
فَإِنْ كَانَتْ أَقَلَّ، فَلَهُ أَنْ يَنْتَظِرَ انْقِضَاءَ الْمُدَّةِ ثُمَّ يُجَامِعُ امْرَأَتَهُ،
وَعَلَيْهَا أَنْ تَصْبِرَ، وَلَيْسَ لَهَا مُطَالَبَتُهُ بِالْفَيْئَةِ فِي هَذِهِ الْمُدَّةِ،
وَهَذَا كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ آلَى مِنْ نِسَائِهِ شَهْرًا،
فَنَزَلَ لِتِسْعٍ وَعِشْرِينَ، وَقَالَ: "الشَّهْرُ تِسْعٌ وَعِشْرُونَ"
-وَلَهُمَا عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ نَحْوُهُ.
فَأَمَّا إِنْ زَادَتِ الْمُدَّةُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ، فَلِلزَّوْجَةِ مُطَالَبَةُ الزَّوْجِ عِنْدَ انْقِضَاءِ
أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ:-
1-إِمَّا أَنْ يَفِيءَ -أَيْ: يُجَامِعُ –

2-وَإِمَّا أَنَّ يُطَلِّقَ، فَيَجْبُرُهُ الْحَاكِمُ عَلَى هَذَا أَوْ هَذَا لِئَلَّا يَضُرَّ بِهَا.

وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى: {لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ} أَيْ: يَحْلِفُونَ عَلَى تَرْكِ الْجِمَاعِ مِنْ نِسَائِهِمْ، فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْإِيلَاءَ يَخْتَصُّ بِالزَّوْجَاتِ دُونَ الْإِمَاءِ كَمَا هُوَ مَذْهَبُ الْجُمْهُورِ.

{تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ}

أَيْ: يَنْتَظِرُ الزَّوْجُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ مِنْ حِينِ الْحَلِفِ،

ثُمَّ يُوقَفُ وَيُطَالَبُ بِالْفَيْئَةِ أَوِ الطَّلَاقِ.

–وهذا من الأيمان الخاصة بالزوجة، في أمر خاص وهو حلف الزوج على ترك وطء زوجته مطلقا، أو مقيدا، بأقل من أربعة أشهر أو أكثر.

فمن آلى من زوجته خاصة، فإن كان لدون أربعة أشهر،

فهذا مثل سائر الأيمان، إن حنث كفر،

–وإن أتم يمينه، فلا شيء عليه، وليس لزوجته عليه سبيل، لأنه ملكه أربعة أشهر.

–وإن كان أبدا، أو مدة تزيد على أربعة أشهر، ضربت له مدة أربعة أشهر من يمينه، إذا طلبت زوجته ذلك، لأنه حق لها،

–فإذا تمت أمر بالفيئة وهو الوطء، فإن وطئ، فلا شيء عليه إلا كفارة اليمين، وإن امتنع، أجبر على الطلاق، فإن امتنع، طلق عليه الحاكم.

ولكن الفيئة والرجوع إلى زوجته، أحب إلى الله تعالى، ولهذا قال:

(فَإِن فَآءُو)

أي: رجعوا إلى ما حلفوا على تركه، وهو الوطء.

(فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ)

يغفر لهم ما حصل منهم من الحلف، بسبب رجوعهم.

(رَّحِيمٌ)

حيث جعل لأيمانهم كفارة وتحلة، ولم يجعلها لازمة لهم غير قابلة للانفكاك،

ورحيم بهم أيضا،

حيث فاءوا إلى زوجاتهم، وحنوا عليهن ورحموهن.

*** {فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ}

أَيْ: لِمَا سَلَفَ مِنَ التَّقْصِيرِ فِي حَقِّهِنَّ بِسَبَبِ الْيَمِينِ.

(وَإِنْ عَزَمُوا۟ ٱلطَّلَٰقَ)

*الميسر:وإن عقدوا عزمهم على الطلاق، باستمرارهم في اليمين، وترك الجماع،

أي: امتنعوا من الفيئة، فكان ذلك دليلا على رغبتهم عنهن،

وعدم إرادتهم لأزواجهم، وهذا لا يكون إلا عزما على الطلاق،

فإن حصل هذا الحق الواجب منه مباشرة،

وإلا أجبره الحاكم عليه أو قام به.

***فِيهِ دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يَقَعُ الطَّلَاقُ بِمُجَرَّدِ مُضِيِّ الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ
وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى أَنَّهُ يَقَعُ بِمُضِيِّ الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ تَطْلِيقَةً
ثُمَّ قِيلَ: إِنَّهَا تُطَلَّقُ بِمُضِيِّ الْأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ طَلْقَةً رَجْعِيَّةً

وَالَّذِي عَلَيْهِ الْجُمْهُورُ أَنَّهُ يُوقَفُ فَيُطَالَبُ إِمَّا بِهَذَا أَوْ هَذَا وَ لَا يَقَعُ عَلَيْهَا بمجرد مضيها طلاق

(فَإِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)

فيه وعيد وتهديد، لمن يحلف هذا الحلف، ويقصد بذلك المضارة والمشاقة.

و يستدل بهذه الآيـــــة على:-

1-أن الإيلاء، خاص بالزوجة، لقوله: (من نسائهم)

2-و على وجوب الوطء في كل أربعة أشهر مرة، لأنه بعد الأربعة،

يجبر إما[على الوطء، أو على الطلاق]،

و لا يكون ذلك إلا لتـــــركه واجـــــبا.

وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ ۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓا۟ إِصْلَـٰحًا ۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾

(وَٱلْمُطَلَّقَـٰتُ)

أي: النساء اللاتي طلقهن أزواجهن

(يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ)

أي: ينتظرن و يعتددن مدة

(ثَلَـٰثَةَ قُرُوٓءٍ)

أي: حيض، أو أطهار على اختلاف العلماء في المراد بذلك،

مع أن الصحيح أن القـــــرء:- الحـــــيض،

-ولهذه العدةِ عِـــــدّةُ حِكـــــَمٍ، منها:-

☼العلم ببراءة الرحم، إذا تكررت عليها ثلاثة الأقراء،علم أنه ليس في رحمها حمل،

➔فلا يفضي إلى اختلاط الأنساب،و لهذا أوجب تعالى عليهن الإخبار عن

(وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ)

و حرم عليهن، كتمان ذلك، من حمــــل أو حيـــــض،

لأن كتمان ذلك، يفضي إلى مفاسد كثيرة،

فكتمـــــان الحمل، موجب أن:

-تلحقه بغير من هو له، رغبة فيه و استعجالا لانقضاء العدة،

فإذا ألحقـــــته بغير أبيه،:-

1- حصل من قطع الرحم و الإرث،

2- و احتجاب محارمه وأقاربه عنه،

3- و ربما تزوج ذوات محارمه،

4-و حصل في مقابلة ذلك، إلحاقه بغير أبيه،

5- و ثبوت توابع ذلك، من الإرث منه و له،

6- و من جعل أقارب الملحق به، أقارب له،

و في ذلك من الشر و الفساد، ما لا يعلمه إلا رب العباد،

و لو لم يكن في ذلك، إلا إقامتها مع من نكاحها باطل في حقه،

و فيه الإصرار على الكبيرة العظيمة،و هي الزنا لكفى بذلك شرا.

***وأما كتمـــــــان الحيض:-**

بأن استعجلت و أخبرت به و هي كاذبة،

ففيه من انقطاع حق الزوج عنها،و إباحتها لغيره وما يتفرع عن ذلك من الشر، كما ذكرنا،

و إن كذبت و أخبرت بعدم وجود الحيض، لتطول العدة،

فتأخذ منه نفقة غير واجبة عليه، بل هي سحت عليها محرمة من جهتين: -

1-من كـــــــونها لا تستحقه،

2-و من كـــــــونها نسبته إلى حكم الشرع و هي كاذبة،

-و ربما راجعها بعد انقضاء العدة، فيكون ذلك سفاحا، لكونها أجنبية عنه،

فلهذا قال تعالى:

(**وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ فِي أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ**)

***** تَهْدِيدٌ لَهُنَّ عَلَى قَوْلِ خِلَافِ الْحَقِّ.**

وَدَلَّ هَذَا عَلَى أَنَّ الْمَرْجِعَ فِي هَذَا إِلَيْهِنَّ؛ لِأَنَّهُ أَمْرٌ لَا يُعْلَمُ إِلَّا مِنْ جِهَتَيْنِ،
وَتَتَعَذَّرُ إِقَامَةُ الْبَيِّنَةِ غَالِبًا عَلَى ذَلِكَ، فَرَدَّ الْأَمْرَ إِلَيْهِنَّ،
وتُوُعِّدْنَ فِيهِ، لِئَلَّا تُخْبِرَ بِغَيْرِ الْحَقِّ إِمَّا اسْتِعْجَالًا مِنْهَا لِانْقِضَاءِ الْعِدَّةِ،
أَوْ رَغْبَةً مِنْهَا فِي تَطْوِيلِهَا، لِمَا لَهَا فِي ذَلِكَ مِنَ الْمَقَاصِدِ.
فَأُمِرَتْ أَنْ تُخْبِرَ بِالْحَقِّ فِي ذَلِكَ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ.

فصدور الكتمان منهن دليل على عدم إيمانهن بالله واليوم الآخر،

وإلا فلو آمنّ بالله واليوم الآخر،

وعــــــرفن أنهن مجزيات عن أعمالهن، لم يصدر منهن شيء من ذلك.

وفي ذلك دليل على قبول خبر المرأة، عما تخبر به عن نفسها،

من الأمر الذي لا يطلع عليه غيرها، كالحيض والحمل ونحوه .

ثم قال تعالى: (وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَٰلِكَ)

أي: لأزواجهن ما دامت متربصة في تلك العدة، أن يردوهن إلى نكاحهن

(إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًاۚ)

أي: رغبــــــة و ألفـــــة و مــــــودة.

-و مفهوم الآية أنهم إن لم يريدوا الإصلاح، فليسوا بأحق بردهن،

فلا يحل لهم أن يراجعوهن، لقصد المضارة لها،و تطويل العدة عليها،

و هل يملك ذلك، مع هذا القصد؟

فــــــيه قــــــولان:-

1-الجمهور على أنه يملك ذلك، مع التحريم،

و الصحيح أنه إذا لم يرد الإصلاح، لا يملك ذلك،

كما هو ظاهر الآية الكريمة،

-و هذه حكمة أخرى في هذا التربص، وهي:-

أنه ربما أن زوجها ندم على فراقه لها،

فجعلت له هذه المدة، ليتروى بها و يقطع نظره.

و هذا يدل على محبته تعالى، للألفة بين الزوجين، و كراهته للفراق،

كما قال النبي ﷺ: « أبغض الحلال إلى الله الطلاق »(Î)

–و هذا خاص في الطلاق الرجعي،

–و أما الطلاق البائن، فليس البعل بأحق برجعتها، بل إن تراضيا على التراجع،

فلا بد من عقد جديد مجتمع الشروط.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثۡلُ ٱلَّذِى عَلَيۡهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ﴾

أي: وللنساء على بعولتهن من الحقوق واللوازم مثل الذي عليهن لأزواجهن

من الحقوق اللازمة والمستحبة.

و مرجع الحقوق بين الزوجين يرجع إلى المعروف،

و هو: العادة الجارية في ذلك البلد و ذلك الزمان من مثلها لمثله،

و يختلف ذلك باختلاف الأزمنة و الأمكنة، و الأحوال، و الأشخاص و العوائد.

–و في هذا دليل على أن النفقة و الكسوة، و المعاشرة، و المسكن،

و كذلك الوطء – الكل يرجع إلى المعروف، فهذا موجب العقد المطلق.

و أما مع الشرط، فعلى شرطهما، إلا شرطا أحل حراما، أو حرم حلالا.

﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيۡهِنَّ دَرَجَةٞۗ﴾

ضعيف // ضعيف سنن ابن ماجة (441 / 2018) ، الإرواء (2040) ، المشكاة (3280)

أي: رفعـــــة و رياســـــة، و زيــــــادة حق عليها، كما قال تعالى:

﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾النساء: ٣٤

و منصب النبوة و القضاء، و الإمامة الصغرى و الكبرى،

و سائر الولايات مختص بالرجال، و له ضعفا ما لها في كثير من الأمور،

كالميراث و نحوه.

(وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

أي: له العزة القاهرة و السلطان العظيم، الذي دانت له جميع الأشياء،

و لكنه مع عزته حكيم في تصرفه.

و يخرج من عموم هذه الآية، الحوامل، فعدتهن وضع الحمل،

و اللاتي لم يدخل بهن، فليس لهن عدة، و الإماء، فعدتهن حيضتان،

كما هو قول الصحابة رضي الله عنهم،

و سياق الآيات يدل على أن المراد بها الحرة.

ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩

كان الطلاق في الجاهلية، واستمر أول الإسلام، يطلق الرجل زوجته بلا نهاية،

فكان إذا أراد مضارتها، طلقها، فإذا شارفت انقضاء عدتها، راجعها،

ثم طلقها وصنع بها مثل ذلك أبدا، فيحصل عليها من الضرر ما الله به عليم،

فأخبر تعالى أن (ٱلطَّلَٰقُ)

أي: الذي تحصل به الرجعة

(مَرَّتَانِۖ)

ليتمكن الزوج إن لم يرد المضارة من ارتجاعها،

و يراجع رأيه في هذه المدة،

و أما ما فوقها، فليس محلا لذلك،

لأن من زاد على الثنتين، فإما متجرئ على المحرم،

أو ليس له رغبة في إمساكها، بل قصده المضارة،

فلهذا أمر تعالى الزوج، أن يمسك زوجته

(فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ)

أي: عشرة حسنة، ويجري مجرى أمثاله مع زوجاتهم،

وهذا هو الأرجح، وإلا يسرحها ويفارقها

(أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٍۗ)

*الميسر:أو تخلية سبيلها مع حسن معاملتها بأداء حقوقها،

وألا يذكرها مطلقها بسوء.

–و من الإحسان، أن لا يأخذ على فراقه لها شيئا من مالها، لأنه ظلم، و أخذ للمال في غير مقابلة بشيء، فلهذا قال: –

وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ

فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ

فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ

(وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا

إِلَّا أَن يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ)

*** الميسر:و لا يحل لكم -أيها الأزواج- أن تأخذوا شيئًا مما أعطيتموهن من المهر ونحوه،**

إلا أن يخاف الزوجان ألا يقوما بالحقوق الزوجية،

فحينئذ يعرضان أمرهما على الأولياء،

***كقوله﴿ وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا آتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ﴾ النساء: ١٩

وهي المخالعة بالمعروف، بأن كرهت الزوجة زوجها، لخُلقه أو خَلْقِه أو نقص دينه، و خافت أن لا تطيع الله فيه،

*** فَأَمَّا إِنْ وَهَبَتْهُ الْمَرْأَةُ شَيْئًا عَنْ طِيبِ نَفْسٍ مِنْهَا. فَقَدْ قَالَ تَعَالَى:

{فَإِنْ طِبْنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا} [النِّسَاءِ:4]

-وَ أَمَّا إِذَا تَشَاقَقَ الزَّوْجَانِ، وَ لَمْ تَقُمِ الْمَرْأَةُ بِحُقُوقِ الرَّجُلِ وَ أَبْغَضَتْهُ

وَ لَمْ تَقْدِرْ عَلَى مُعَاشَرَتِه،
فَلَهَا أَنْ تَفْتَدِيَ مِنْهُ بِمَا أَعْطَاهَا، وَ لَا حَرَجَ عَلَيْهَا فِي بَذْلِهَا،
وَ لَا عَلَيْهِ فِي قَبُولِ ذَلِكَ مِنْهَا؛
وَ لِهَذَا قَالَ تَعَالَى:{وَلا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلا أَنْ يَخَافَا أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ فَلا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا افْتَدَتْ بِهِ} الْآيَةَ.
فَأَمَّا إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهَا عُذْرٌ وَ سَأَلَتِ الِافْتِدَاءَ مِنْهُ، فَقَدْ قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ:
سنن أبي داود
2226 - عَنْ ثَوْبَانَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:
«أَيُّمَا امْرَأَةٍ سَأَلَتْ زَوْجَهَا طَلَاقًا فِي غَيْرِ مَا بَأْسٍ، فَحَرَامٌ عَلَيْهَا رَائِحَةُ الْجَنَّةِ»
***ثُمَّ قَدْ قَالَ طَائِفَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ السَّلَفِ وَ أَئِمَّةُ الْخَلَفِ:-
إِنَّهُ لَا يَجُوزُ الْخُلْعُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ الشِّقَاقُ وَ النُّشُوزُ مِنْ جَانِبِ الْمَرْأَةِ،
فَيَجُوزُ لِلرَّجُلِ حِينَئِذٍ قَبُولُ الْفِدْيَةِ، وَ احْتَجُّوا بِقَوْلِه:
{وَ لا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا مِمَّا آتَيْتُمُوهُنَّ شَيْئًا إِلا أَنْ يَخَافَا أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ} .
قَالُوا: فَلَمْ يَشْرَعِ الْخُلْعَ إِلَّا فِي هَذِهِ الْحَالَةِ، فَلَا يَجُوزُ فِي غَيْرِهَا إِلَّا بِدَلِيلٍ،
وَ الْأَصْلُ عَدَمُه،
و قَالَ مَالِكٌ وَالْأَوْزَاعِيُّ: لَوْ أَخَذَ مِنْهَا شَيْئًا وَ هُوَ مضَارٌّ لَهَا وَجَبَ رَدُّهُ إِلَيْهَا،
وَ كَانَ الطَّلَاقُ رَجْعِيًّا.
قَالَ مَالِكٌ: وَهُوَ الْأَمْرُ الَّذِي أدركتُ الناسَ عَلَيْه.
وَ ذَهَبَ الشَّافِعِيُّ، رَحِمَهُ اللَّهُ، إِلَى أَنَّهُ يَجُوزُ الْخُلْعُ فِي حَالَةِ الشِّقَاقِ،
وَ عِنْدَ الِاتِّفَاقِ بِطَرِيقِ الْأَوْلَى وَ الْأَحْرَى،

*** سنن أبي داود -2227 –

عَنْ حَبِيبَةَ بِنْتِ سَهْلٍ الْأَنْصَارِيَّةِ أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَأَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺخَرَجَ إِلَى الصُّبْحِ فَوَجَدَ حَبِيبَةَ بِنْتَ سَهْلٍ عِنْدَ بَابِهِ فِي الْغَلَسِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ هَذِهِ؟»

فَقَالَتْ: أَنَا حَبِيبَةُ بِنْتُ سَهْلٍ، قَالَ: «مَا شَأْنُكِ؟»

قَالَتْ: لَا أَنَا وَلَا ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ لِزَوْجِهَا،

فَلَمَّا جَاءَ ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«هَذِهِ حَبِيبَةُ بِنْتُ سَهْلٍ»، وَ ذَكَرَتْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَذْكُرَ،

وَ قَالَتْ حَبِيبَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كُلُّ مَا أَعْطَانِي عِنْدِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ: «خُذْ مِنْهَا»، فَأَخَذَ مِنْهَا،

وَ جَلَسَتْ هِيَ فِي أَهْلِهَا

*** صحيح البخاري

5273 - عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ امْرَأَةَ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺفَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، مَا أَعْتِبُ عَلَيْهِ فِي خُلُقٍ وَلاَ دِينٍ، وَلَكِنِّي أَكْرَهُ الكُفْرَ فِي الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«أَتَرُدِّينَ عَلَيْهِ حَدِيقَتَهُ؟» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«اقْبَلِ الحَدِيقَةَ وَطَلِّقْهَا تَطْلِيقَةً( )

ش (امرأة ثابت) اسمها جميلة بنت أبي بن سلول.

(ما أعتب عليه) لا أعيبه و لا ألومه.

(أكره الكفر) أي أن أقع في أسباب الكفر من سوء العشرة مع الزوج و نقصانه حقه ونحو ذلك.

(حديقته) بستانه الذي أعطاها إياه مهرا.

(تطليقة) طلقة واحدة رجعية.

(فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ)

***الميسر: فإن خاف الأولياء عدم إقامة الزوجين حدود الله،**

فلا حرج على الزوجين فيما تدفعه المرأة للزوج مقابل طلاقها.

-لأنه عوض لتحصيل مقصودها من الفرقة، و في هذا مشروعية الخلع،

إذا وُجدت هذه الحكمة.

(تِلۡكَ)

أي ما تقدم من الأحكام الشرعية

(حُدُودُ ٱللَّهِ)

أي: أحكامه التي شرعها لكم، و أمر بالوقوف معها،

(وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ)

و أي ظلم أعظم ممن اقتحم الحلال، و تعدى منه إلى الحرام،

فلم يسعه ما أحـــــل الله؟

و الظلـــــم ثلاثة أقســـــام:

1-ظلم العبد فيما بينه و بين اللـــــه،

2-و ظلم العبد الأكبر الذي هو الشـــــرك،

3-و ظلم العبد فيما بينه و بين الخلق،

فالشرك لا يغفره الله إلا بالتوبة،

و حقوق العباد، لا يترك الله منها شيئا،

و الظلم الذي بين العبد و ربه فيما دون الشرك، تحت المشيئة و الحكمة.

﴿فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يَتَرَاجَعَآ إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۗ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٢٣٠﴾

يقول تعالى: (فَإِن طَلَّقَهَا)

أي: الطلقة الثالثة

(فَلَا تَحِلُّ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدُ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوۡجًا غَيۡرَهُۥۗ)

*** صحيح البخاري

2639 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: جَاءَتْ امْرَأَةُ رِفاعَةَ القُرَظِيِّ النَّبِيَّ ﷺفَقَالَتْ: كُنْتُ عِنْدَ رِفَاعَةَ، فَطَلَّقَنِي، فَأَبَتَّ طَلاَقِي، فَتَزَوَّجْتُ عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ الزَّبِيرِ إِنَّمَا مَعَهُ مِثْلُ هُدْبَةِ الثَّوْبِ، فَقَالَ: «أَتُرِيدِينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى رِفَاعَةَ؟

لاَ، حَتَّى تَذُوقِي عُسَيْلَتَهُ وَ يَذُوقَ عُسَيْلَتَكِ»، وَ أَبُو بَكْرٍ جَالِسٌ عِنْدَهُ، وَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ العَاصِ بِالْبَابِ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ، فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ أَلاَ تَسْمَعُ إِلَى هَذِهِ مَا تَجْهَرُ بِهِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ ( )

وَ الْمَقْصُودُ مِنَ الزَّوْجِ الثَّانِي أَنْ يَكُونَ رَاغِبًا فِي الْمَرْأَةِ، قَاصِدًا لِدَوَامِ عَشَرَتِهَا، كَمَا هُوَ الْمَشْرُوعُ مِنَ التَّزْوِيجِ

(امرأة رفاعة) و اسمها تميمة بنت وهب.
(فأبت) من البت و هو القطع أي قطع طلاقي قطعا كليا و المراد أنه طلقها الطلقة الثالثة التي تحصل بها البينونة الكبرى.
(مثل هُدبة الثوب) طرفه الذي لم ينسج كنَّت بهذا عن استرخاء ذكره وأنه لا يقدر على الوطء.
(عسيلته) تصغير عسلة و هي كناية عن الجماع فقد شبه لذته بلذة العسل و حلاوته]

فَأَمَّا إِذَا كَانَ الثَّانِي إِنَّمَا قَصْدُهُ أَنْ يُحِلَّهَا لِلْأَوَّلِ،
فَهَذَا هُوَ الْمُحَلِّلُ الَّذِي وَرَدَتِ الْأَحَادِيثُ بِذَمِّهِ وَلَعْنِهِ، وَمَتَى صَرَّحَ بِمَقْصُودِهِ فِي الْعَقْدِ بِطَلَ النِّكَاحُ عِنْدَ جُمْهُورِ الْأَئِمَّةِ.
*** **سنن أبي داود**
2076 - عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ إِسْمَاعِيلُ:
وَأُرَاهُ قَدْ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ:
«لَعَنَ اللَّهُ الْمُحَلِّلَ، وَ الْمُحَلَّلَ لَهُ».

أي: نكاحا صحيحا ويطؤها، لأن النكاح الشرعي لا يكون إلا صحيحا،

و يدخل فيه العقد و الوطء، و هذا بالاتفاق.

و يشترط أن يكون نكاح الثاني، نكاح رغبة، فإن قصد به تحليلها للأول،

فليس بنكاح، و لا يفيد التحليل، و لا يفيد وطء السيد، لأنه ليس بزوج،

فإذا تزوجها الثاني راغبا و وطئها، ثم فارقها و انقضت عدتها

(فَإِن طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَآ)

أي: على الزوج الأول و الزوجة

(أَن يَتَرَاجَعَآ)

أي: يجددا عقدا جديدا بينهما، لإضافته التراجع إليهما،

فدل على اعتبار التراضي.

و لكن يشترط في التراجع :-

(إِن ظَنَّآ أَن يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ)

بأن يقوم كل منهما، بحق صاحبه،و ذلك إذا ندما على عشرتهما السابقة الموجبة للفراق،

و عزما أن يبدلاها بعشرة حسنة، فهنا لا جناح عليهما في التراجع.

و مفهـــــــوم الآيـــــــة الكـــــــريمة:-

أنهما إن لم يظنا أن يقيما حدود الله،

بأن غلب على ظنهما أن الحال السابقة باقية،

و العشرة السيئة غير زائلة أن عليهما في ذلك جناحا،

لأن جميع الأمور،إن لم يقم فيها أمر الله،و يسلك بها طاعته،لم يحل الإقدام عليها.

و في هذا دلالة على أنه ينبغي للإنســــــان:-

إذا أراد أن يدخل في أمر من الأمور، خصوصا الولايات، الصغار، والكبار، نظر في نفسه ،

فإن رأى من نفسه قوة على ذلك، و وثق بها، أقدم، و إلا أحجم.

و لما بين تعالى هذه الأحكام العظيمة قال:

(وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ)

أي: شرائعه التي حددها و بينها و وضحها.

(يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ)

لأنهم هم المنتفعون بها، النافعون لغيرهم.

وفي هذا من فضيلة أهل العلم، ما لا يخفى، لأن الله تعالى جعل تبيينه لحدوده، خاصا بهم، وأنهم المقصودون بذلك،

وفيه أن الله تعالى يحب من عباده، معرفة حدود ما أنزل على رسوله والتفقه بها.

وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ وَلَا
تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم
بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ٢٣١ وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ
أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ
بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ
وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٢٣٢ ۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن
يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ
لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ
فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ
أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٣

وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ

وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا لِّتَعۡتَدُواْۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿٢٣١﴾

***هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِلرِّجَالِ إِذَا طَلَّقَ أَحَدُهُمُ الْمَرْأَةَ طَلَاقًا لَهُ عَلَيْهَا فِيهِ رَجْعَةٌ، أَنْ يُحْسِنَ فِي أَمْرِهَا إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا،

وَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا مِقْدَارَ مَا يُمْكِنُهُ فِيهِ رَجْعَتُهَا، فَإِمَّا أَنْ يُمْسِكَهَا،

أَيْ: يَرْتَجِعَهَا إِلَى عِصْمَةِ نِكَاحِهِ بِمَعْرُوفٍ، وَهُوَ أَنْ يُشْهِدَ عَلَى رَجْعَتِهَا، وَيَنْوِيَ عِشْرَتَهَا بِالْمَعْرُوفِ، أَوْ يُسَرِّحَهَا،

أَيْ: يَتْرُكُهَا حَتَّى تَنْقَضِيَ عِدَّتُهَا، وَيُخْرِجُهَا مِنْ مَنْزِلِهِ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ مِنْ غَيْرِ شِقَاقٍ وَلَا مُخَاصَمَةٍ وَلَا تَقَابُحٍ،

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: {وَلا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِتَعْتَدُوا}

ثم قال تعالى: (وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ)

أي: طلاقا رجعيا بواحدة أو ثنتين.

(فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ) أي: قاربن انقضاء عدتهن.

(فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ)

أي: إما أن تراجعوهن، ونيتكم القيام بحقوقهن، أو تتركوهن بلا رجعة و لا إضرار، و لهذا قال:

(وَلَا تُمۡسِكُوهُنَّ ضِرَارٗا) أي: مضارة بهن

(لِّتَعۡتَدُواْۚ) في فعلكم هذا الحلال، إلى الحرام،

فالحلال: الإمساك بمعروف والحرام: المضارة،

*** كَانَ الرَّجُلُ يُطَلِّقُ الْمَرْأَةَ، فَإِذَا قَارَبَتِ انْقِضَاءَ الْعِدَّةِ رَاجَعَهَا ضِرَارًا،
لِئَلَّا تَذْهَبَ إِلَى غَيْرِهِ، ثُمَّ يُطَلِّقُهَا فَتَعْتَدُّ،
فَإِذَا شَارَفَتْ عَلَى انْقِضَاءِ الْعِدَّةِ طَلَّقَ لِتَطُولَ عَلَيْهَا الْعِدَّةُ،
فَنَهَاهُمُ اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ، وَ تَوَعَّدَهُمْ عَلَيْهِ فَقَالَ:

(وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ)

*** أَيْ: بِمُخَالَفَتِهِ أَمْرَ اللَّهِ تَعَالَى.

○و لو كان الحق يعود للمخلوق فالضرر عائد إلى من أراد الضرار.

(وَلَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗاۚ)

لما بين تعالى حدوده غاية التبيين،و كان المقصود، العلم بها و العمل،

و الوقوف معها، و عدم مجاوزتها،

لأنه تعالى لم ينزلها عبثا، بل أنزلها بالحق و الصدق و الجد،

نهى عن اتخاذها هزوا، أي: لعبا بها،

و هو التجرؤ عليها، و عدم الامتثال لواجبها، مثل استعمال المضارة في:

1-الإمســـــاك،

2- أو الفـــــراق،

3- أو كثرة الطلاق،

4- أو جمع الثلاث،

و الله من رحمته جعل له واحدة بعد واحدة، رفقا به و سعيا في مصلحته.

(وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ)

عموما باللســـــان ثنـــاء و حمــــدا،

و بالقـــلب اعتـــرافا و إقـــرارا،

و بالأركـــان بصرفها في طاعة الله،

(وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ)

1–أي: السنة اللذين بيّن لكم بهما طرق الخير و رغبكم فيها،

و طرق الشر و حذركم إياها، و عرفكم نفسه و وقائعه في أوليائه و أعدائه،

و علمكم ما لم تكونوا تعلمون.

2–و قيل: المراد بالحكمة أســـرار الشريعة،

فالكتاب فيه، الحكم، و الحكمة فيها، بيان حكمة الله في أوامره ونواهيه

و كلا المعنيين صحيح، و لهـــذا قـــال

(يَعِظُكُم بِهِۦۚ)

أي: بما أنزل عليكم، و هذا مما يقوي أن المراد بالحكمة، أسرار الشريعة،

لأن الموعظة ببيان الحكم والحكمة، و الترغيب، أو الترهيب،

فالحكم به، يزول الجهل،

و الحكمة مع الترغيب، يوجب الـــرغبة،

و الحكمة مع الترهيب يوجب الــــرهبة.

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ)

في جميع أموركم

(وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ)

فلهذا بيّن لكم هذه الأحكام بغاية الإحكام و الإتقان التي هي جارية مع المصالح في كل زمان و مكان، فله الحمد و المنة .

وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٢﴾

***: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الرَّجُلِ يُطَلِّقُ امْرَأَتَهُ طَلْقَةً أَوْ طَلْقَتَيْنِ،
فَتَنْقَضِي عِدَّتُهَا، ثُمَّ يَبْدُو لَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَهَا وَأَنْ يُرَاجِعَهَا،
وَتُرِيدَ الْمَرْأَةُ ذَلِكَ، فَيَمْنَعُهَا أَوْلِيَاؤُهَا مِنْ ذَلِكَ، فَنَهَى اللَّهُ أَنْ يَمْنَعُوهَا.
وَهَذَا الَّذِي قَالُوهُ ظَاهِرٌ مِنَ الْآيَةِ،
<u>وَفِيهَا دَلَالَةٌ عَلَى أَنَّ الْمَرْأَةَ لَا تَمْلِكُ أَنْ تُزَوِّجَ نَفْسَهَا،</u>
وَأَنَّهُ لَا بُدَّ فِي تَزْوِيجِهَا مِنْ وَلِيٍّ،

***سنن أبي داود -

2085 - عَنْ أَبِي مُوسَى، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ: «لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ»

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

***صحيح البخاري**

4529 - عَنِ الحَسَنِ،«أَنَّ أُخْتَ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ طَلَّقَهَا زَوْجُهَا فَتَرَكَهَا حَتَّى انْقَضَتْ عِدَّتُهَا، فَخَطَبَهَا، فَأَبَى مَعْقِلٌ» فَنَزَلَتْ:

{فَلاَ تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ} [البقرة232]()

***سنن أبي داود

2087 - حَدَّثَنِي مَعْقِلُ بْنُ يَسَارٍ، قَالَ:

كَانَتْ لِي أُخْتٌ تُخْطَبُ إِلَيَّ

فَأَتَانِي ابْنُ عَمٍّ لِي فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، ثُمَّ طَلَّقَهَا طَلَاقًا لَهُ رَجْعَةٌ،

ثُمَّ تَرَكَهَا حَتَّى انْقَضَتْ عِدَّتُهَا،

فَلَمَّا خُطِبَتْ إِلَيَّ أَتَانِي يَخْطُبُهَا،

فَقُلْتُ: «لَا، وَ اللَّهِ لَا أُنْكِحُهَا أَبَدًا»،

قَالَ: فَفِيَّ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ

{وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَنْ يَنْكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ}

[البقرة: 232] الْآيَةَ،

قَالَ: «فَكَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ»

(وَإِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ)

هذا خطاب لأولياء المرأة المطلقة دون الثلاث إذا خرجت من العدة،

و أراد زوجها أن ينكحها،و رضيت بذلك، فلا يجوز لوليها، من أب و غيره أن يعضلها

(فَلَا تَعۡضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحۡنَ أَزۡوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوۡاْ بَيۡنَهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ)

أي: يمنعها من التزوج به حنقا عليه؛ وغضبا؛ واشمئزازا لما فعل من الطلاق الأول.

(أخت لي) واسمها جميل بنت يسار وقيل فاطمة رضي الله عنها]

*** الميسر:فلا تضيقوا -أيها الأولياء- على المطلقات بمنعهن من العودة إلى أزواجهن بعقد جديد إذا أردن ذلك وحدث التراضي شرعًا وعرفًا.**

(ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمۡ يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۗ)

وذكر أن من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فإيمانه يمنعه من العضل،

(ذَٰلِكُمۡ أَزۡكَىٰ لَكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ)

فإن ذلك أزكى لكم وأطهر و أطيب مما يظن الولي:-

1- أن عدم تزويجه هو الرأي و اللائق

2-و أنه يقابل بطلاقه الأول بعدم التزويج له كما هو عادة المترفعين المتكبرين.

فإن كان يظن أن المصلحة في عدم تزويجه،

(وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ)

فامتثلوا أمر من هو عالم بمصالحكم، مريد لها، قادر عليها، ميسر لها من الوجه الذي تعرفون وغيره.

و في هذه الآيـــــــة:-

دليل على أنه لا بد من الولي في النكاح، لأنه نهى الأولياء عن العضل، ولا ينهاهم إلا عن أمر، هو تحت تدبيرهم ولهم فيه حق.

ثم قال تعالى:

۞ وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۚ لَا تُكَلَّفُ نَفۡسٌ إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوۡلُودٞ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ وَعَلَى ٱلۡوَارِثِ مِثۡلُ ذَٰلِكَۗ فَإِنۡ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا وَتَشَاوُرٖ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ وَإِنۡ أَرَدتُّمۡ أَن تَسۡتَرۡضِعُوٓاْ أَوۡلَٰدَكُمۡ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا سَلَّمۡتُم مَّآ ءَاتَيۡتُم بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٢٣٣

(وَٱلۡوَٰلِدَٰتُ)

وَذَهَبَ أَكْثَرُ الْأَئِمَّةِ إِلَى أَنَّهُ لَا يُحَرِّمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ إِلَّا مَا كَانَ دُونَ الْحَوْلَيْنِ، فَلَوِ ارْتَضَعَ الْمَوْلُودُ وَعُمْرُهُ فَوْقَهُمَا لَمْ يَحْرُمْ.

***سنن الترمذي ت شاكر

1152 - عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«لَا يُحَرِّمُ مِنَ الرِّضَاعَةِ إِلَّا مَا فَتَقَ الأَمْعَاءَ فِي الثَّدْيِ، وَكَانَ قَبْلَ الفِطَامِ»

***وَمَعْنَى قَوْلِهِ: إِلَّا مَا كَانَ فِي الثَّدْيِ، أَيْ: فِي مَحَلِّ الرَّضَاعَةِ قَبْلَ الْحَوْلَيْنِ،

***صحيح البخاري

5102 - عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهَا وَعِنْدَهَا رَجُلٌ، فَكَأَنَّهُ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ، كَأَنَّهُ كَرِهَ ذَلِكَ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ أَخِي، فَقَالَ:

«انْظُرْنَ مَنْ إِخْوَانُكُنَّ، فَإِنَّمَا الرَّضَاعَةُ مِنَ المَجَاعَةِ»(انظر فتوي بن باز)

–هذا خبر بمعنى الأمر، تنزيلا له منزلة المتقرر، الذي لا يحتاج إلى أمر بأن

(يُرۡضِعۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ حَوۡلَيۡنِ) .

ولما كان الحول، يطلق على الكامل، وعلى معظم الحول قال:

(كَامِلَيۡنِۖ لِمَنۡ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ)

فإذا تم للرضيع حولان،

فقد تم رضاعه وصار اللبن بعد ذلك، بمنزلة سائر الأغذية، فلهذا كان الرضاع

بعد الحولين، غير معتبر، لا يحرم.

و يؤخذ من هذا النص، و من قوله تعالى:

﴿ وَحَمۡلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهۡرًاۚ ﴾الأحقاف: ١٥

أن أقل مدة الحمل ستة أشهر، و أنه يمكن وجود الولد بها.

(وَعَلَى ٱلۡمَوۡلُودِ لَهُۥ)

أي: الأب

(رِزۡقُهُنَّ وَكِسۡوَتُهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ)

وهذا شامل لما إذا كانت في حباله أو مطلقة،

فإن على الأب رزقها، أي: نفقتها وكسوتها، وهي الأجرة للرضاع.

ودل هذا، على أنها إذا كانت في حباله، لا يجب لها أجرة، غير النفقة

والكسوة، وكل بحسب حاله،

***: وَعَلَى وَالِدِ الطِّفْلِ نَفَقَةُ الْوَالِدَاتِ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ،
أَيْ: بِمَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ أَمْثَالِهِنَّ فِي بَلَدِهِنَّ مِنْ غَيْرِ إِسْرَافٍ وَلَا إِقْتَارٍ،

بِحَسَبِ قُدْرَتِهِ فِي يَسَارِهِ وَتَوَسُّطِهِ وَإِقْتَارِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى:

{لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا} [الطَّلَاقِ:7]

فلهـــــــذا قال:

(**لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَاۚ**)

فلا يكلف الفقير أن ينفق نفقة الغني، ولا من لم يجد شيئا بالنفقة حتى يجد،

(**لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةُۢ بِوَلَدِهَا**)

أي: لا يحل أن تضار الوالدة بسبب ولدها،

1-**إما أن تمنع من إرضاعه[كَمَا لَا يَحِلُّ لَهُ انْتِزَاعُهُ مِنْهَا لِمُجَرَّدِ الضِّرَارِ لَهَا]**

2-أو لا تُعطى ما يجب لها من النفقة، و الكسوة أو الأجرة،

(**وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦۚ**)

1-بأن تمتنع من إرضاعه على وجه المضارة له،

2-أو تطلب زيادة عن الواجب، ونحو ذلك من أنواع الضرر.

3-*بأن تَدْفَعُهُ عَنْهَا لِتَضُرَّ أَبَاهُ بِتَرْبِيَتِهِ،**
وَلَكِنْ لَيْسَ لَهَا دفعُه إِذَا وَلَدَتْهُ حَتَّى تَسْقِيَهُ اللِّبَنَ الَّذِي لَا يَعِيشُ بِدُونِ تَنَاوُلِهِ غَالِبًا،ثُمَّ بَعْدَ هَذَا لَهَا رَفْعُهُ عَنْهَا إِذَا شَاءَتْ،

ودل قــــــوله:

(**مَوْلُودٌ لَهُ**) **أن الولد لأبيه، لأنه موهوب له، و لأنه من كسبه،**

فلذلك جاز له الأخذ من ماله، رضي أو لم يرض، بخلاف الأم.

وقوله:(وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَۗ)

أي: على وارث الطفل إذا عُدِمَ الأب، و كان الطفل ليس له مال،

مثل ما على الأب من النفقة للمرضع والكسوة،

فدل على وجوب نفقة الأقارب المعسرين، على القريب الوارث الموسر،

(فَإِنۡ أَرَادَا)

أي: الأبوان

(فِصَالًا)

أي: فطام الصبي قبل الحولين،

(عَن تَرَاضٖ مِّنۡهُمَا)

بأن يكونا راضيين

(وَتَشَاوُرٖ)

فيما بينهما، هل هو مصلحة للصبي أم لا ؟فإن كان مصلحة و رضيا

(فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَاۗ)

في فطامه قبل الحولين،

***الميسر:ليصلا إلى ما فيه مصلحة المولود.**

فـــــدلت الآية بمفهـــــــومها:–

على أنه إن رضي أحدهما دون الآخر، أو لم يكن مصلحة للطفل،

أنه لا يجوز فطامه.

و قوله: (وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ)

أي: تطلبوا لهم المراضع غير أمهاتهم على غير وجه المضارة

(فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ)

أي: للمرضعات،

***الميسر:إذا سلّم الوالد للأم حقّها،**

و سلّم للمرضعة أجرها بما يتعارفه الناس

(وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) فمجازيكم على ذلك بالخير والشر..

عدد الرضعات المحرِّمة

لقد تزوجت من فتاةٍ هي ابنة خالي، ولكنها رضعت مع أحد إخوتي الأصغر مني، ورضع معها أربع مرات رضعات مشبعات على فترات طويلة،
ولي منها أطفال خمسة، فما الحكم في هذا الرضاع، فهل تعتبر أختاً لي أم لا،
وما الحكم لو كان أخي هو الذي رضع من أمها وهي لم ترضع من أمي؟

أما إن كانت رضعت من أمك خمس رضعات أو أكثر فحينئذ تكون أختاً لك والنكاح باطل، أما إن كان الرضاع أقل من خمس كأن كان أربعاً ولو مشبعات، أو ثلاثاً، أو أقل فإنه لا يعول على ذلك لما ثبت عن النبي -ﷺ- أنه قال : (لسهلة بنت سهيل أرضعي سالم خمس رضعات تحرمي عليه)، وثبت في صحيح مسلم عن عائشة- رضي الله عنها- قالت:

"كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن، ثم نسخت بخمس معلومات فتوفي النبي -ﷺ-والأمر على ذلك)،

أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، والترمذي-رحمه الله تعالى-في جامعه وهذا لفظه، ولا بد أن يكون الرضاع في الحولين أيضاً، وكان رضاع بعد الحولين فلا تعول عليه لقول النبي-ﷺ-: (لا رضاع إلا في الحولين)

(لا رضاع إلا ما أنشأ العظم وأنبت اللحم وكان قبل الفطام)،

فإذا رضعت من أمك خمس رضعات أو أكثر وشهد بهذا ثقة من الرجال أو النساء، أو أمك إذا كانت ثقة، فإن النكاح يكون غير صحيح،

وعليك اعتزالها والولد منها لاحق بك؛ لأنك لم تتعمد الباطل لم تتعمد الباطل فالولد لا حق بك يعني ولدها من ذكر أو أنثى لا حق بك؛ لأنه نكاح شبهة لم تعلما جميعاً أنها رضيعة فالعذر قائم،

أما رضاع أخيك من أمها فلا يضرك ليس له نكاح إحدى بناتها؛

لأنه صار أخاً لبناتها، وأما أنت فلا إذا كانت أرضعته خمس رضعات أو أكثر في الحولين فيكون أخاً لأولادها ويحرم عليه أن يتزوج من بناتها،

أما أنت فأجنبي إلا أن ترضع من أمك، أو ترضع أنت من أمها رضاعاً شرعياً يبلغ خمس رضعات فأكثر في الحولين .

فوائد الرضاعة الطبيعية

http://kaheel7.com/pdetails.php?id=776&ft=36

ما هي فوائد الرضاعة الطبيعية للطفل من صدر الأم؟

لقد جاء البيان الإلهي ليؤكد على أهمية الرضاعة الطبيعية، يقول الله تعالى (والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة) [البقرة: 233]. وقد أكد الرسول الكريم على هذا الأمر لدرجة أنه قال: (يحرم من الرضاع ما يحرم من النَّسَب).

ويأتي العلم الحديث في آلاف الأبحاث والمقالات العلمية ليؤكد على أهمية حليب الأم بالنسبة للأطفال والآثار الخطيرة التي تنتج من استبداله بالحليب الاصطناعي.

1-يحتوي حليب الأم على مضاد حيوي طبيعي يقي الطفل من كثير من الأمراض ويقوي الجهاز المناعي لديه ضد كافة أشكال المرض( )

2-كما يحتوي حليب الأم على مواد مضادة للبكتريا والسموم والجراثيم تساعد الطفل على مقاومة حالات التسمم.

وتؤكد الدراسات (مثل Iowa Extension Service) أن ملعقة واحدة من حليب الأم تحوي مضادات حيوية تقتل 3 ملايين جرثومة!!

ولذلك حتى لو تناول الطفل ملعقة واحدة من حليب أمه فسوف تكون ذات فائدة كبيرة.

3-وبينت بعض الدراسات أن نسبة العوامل التي تزيد من قدرة جهاز المناعة لدى الطفل تزداد في حليب أمه كلما كبُر وأصبح أكثر عرضة للجراثيم( )

.((Institute of Medicine, p. 134-37 ،1991))

(1991, Institute of Medicine, p. 134-37)

وانظروا معي كيف أن الله تعالى زود حليب الأم بهذه العوامل المناعية وكيف تزاد كميتها مع حاجة الطفل لها، هل هذا من صنع الطبيعة؟
4-يتميز حليب الأم بأنه معقم وجاهز للاستعمال وليس بحاجة للتعقيم أو التحضير وحتى درجة حرارته مناسبة للطفل (ليس بحاجة للتسخين).
5-كما أن حليب الأم لا يسبب حساسية للرضيع ويحميه من كثير من الأمراض الخطيرة مثل البول السكري وتصلب الشرايين وبعض أنواع السرطان، والكساح والسمنة وأمراض الكلى وأمراض عديدة.
6-هنالك أمر مهم يتميز به حليب الأم لا توجد هذه الميزة في أي نوع آخر من أنواع الحليب وهو أنه يتطور مع نموّ الطفل ويتناسب مع نمو جسمه.بعكس الحليب الصناعي الثابت التركيب و الذي نحتاج معه لتغيير نوعه كل عدة أشهر مع تطور عمر الطفل.
7-بالنسبة للطفل المولود حديثاً يعتبر حليب الأم من أسهل الأغذية هضماً لاحتوائه على خمائر هاضمة.
8-كما أن الإرضاع الطبيعي يعود بالفائدة على الأم ووقايتها من سرطان الثدي.
9-كما أن الرضعات الأولى بالنسبة للطفل الحديث الولادة تحتوي على تركيز عالٍ من البروتينات المضادة لنمو البكتريا وإعطائه كميات كبيرة من الأجسام المضادة للأمراض وهو في هذه الحال بأمس الحاجة إليها.
10-إن الإرضاع الطبيعي للطفل ينعكس إيجابياً على استقرار حالته النفسية ويقيه من كثير من الاضطرابات النفسية
والسبب في ذلك هو أن حليب الأم هو الغذاء المثالي لأجهزة جسم الطفل وحسن أدائها واستقرارها.
11-كما أن حليب الأم يساعد الطفل على تنمية ذكائه ويؤثر على سلوك الطفل إيجابياً و حسن بناء جسده وعقله.

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا
بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ
خَبِيرٞ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ
أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ
قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ
أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٣٥﴾ لَّا جُنَاحَ
عَلَيۡكُمۡ إِن طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمۡ تَمَسُّوهُنَّ أَوۡ تَفۡرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةٗۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلۡمُوسِعِ
قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلۡمُقۡتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعَۢا بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقۡتُمُوهُنَّ مِن
قَبۡلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدۡ فَرَضۡتُمۡ لَهُنَّ فَرِيضَةٗ فَنِصۡفُ مَا فَرَضۡتُمۡ إِلَّآ أَن يَعۡفُونَ
أَوۡ يَعۡفُوَاْ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ عُقۡدَةُ ٱلنِّكَاحِۚ وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ
بَيۡنَكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ فَإِذَا
بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿٢٣٤﴾

*** هَذَا أَمْرٌ مِنَ اللَّهِ لِلنِّسَاءِ اللَّاتِي يُتَوَفَّى عَنْهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ:-
أَنْ يَعْتَدِدْنَ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرَ لَيَالٍ
وَهَذَا الْحُكْمُ يَشْمَلُ الزَّوْجَاتِ الْمَدْخُولَ بِهِنَّ وَغَيْرَ الْمَدْخُولِ بِهِنَّ بالإجماع،
ومستنده فِي غيرِ الْمَدْخُولِ بِهَا عُمُوم الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ،
***مسند أحمد مخرجا
4099 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ، قَالَ: أُتِيَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ،
فَسُئِلَ عَنْ رَجُلٍ تَزَوَّجَ امْرَأَةً، وَلَمْ يَكُنْ سَمَّى لَهَا صَدَاقًا،
فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا، فَلَمْ يَقُلْ فِيهَا شَيْئًا، فَرَجَعُوا، ثُمَّ أَتَوْهُ فَسَأَلُوهُ؟
فَقَالَ: سَأَقُولُ فِيهَا بِجَهْدِ رَأْيِي، فَإِنْ أَصَبْتُ، فَاللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُوَفِّقُنِي لِذَلِكَ،
وَإِنْ أَخْطَأْتُ،فَهُوَ مِنِّي: «لَهَا صَدَاقُ نِسَائِهَا، وَلَهَا الْمِيرَاثُ، وَعَلَيْهَا الْعِدَّةُ» ،
فَقَامَ رَجُلٌ، مِنْ أَشْجَعَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺأَنَّهُ قَضَى بِذَلِكَ،
قَالَ: هَلُمَّ مَنْ يَشْهَدُ لَكَ بِذَلِكَ؟ فَشَهِدَ أَبُو الْجَرَّاحِ، بِذَلِكَ

*** وَلَا يَخْرُجُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا الْمُتَوَفَّى عَنْهَا زَوْجُهَا، وَهِيَ حَامِلٌ،
فَإِنَّ عِدَّتَهَا بِوَضْعِ الْحَمْلِ، وَلَوْ لَمْ تَمْكُثْ بَعْدَهُ سِوَى لَحْظَةٍ؛ لِعُمُومِ قَوْلِهِ:
{وَأُولاتُ الأحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ} [الطَّلَاقِ: 4].
وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَرَى: أَنْ عَلَيْهَا أَنْ تَتَرَبَّصَ بِأَبْعَدِ الْأَجَلَيْنِ مِنَ الْوَضْعِ،
أَوْ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَعَشْرٍ، لِلْجَمْعِ بَيْنَ الْآيَتَيْنِ، وَهَذَا مَأْخَذٌ جَيِّدٌ وَمَسْلَكٌ قَوِيٌّ،
لَوْلَا مَا ثَبَتَتْ بِهِ السُّنَّةُ فِي حَدِيثِ سُبَيْعَةَ الْأَسْلَمِيَّةِ، الْمُخَرَّجِ فِي الصَّحِيحَيْنِ
مِنْ غَيْرِ وَجْهٍ
*** صحيح البخاري
3991 - عَنْ ابْنِ شِهَابٍ، قَالَ: حَدَّثَنِي عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ،
أَنَّ أَبَاهُ كَتَبَ إِلَى عُمَرَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الأَرْقَمِ الزُّهْرِيِّ:

يَأْمُرُهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَى سُبَيْعَةَ بِنْتِ الحَارِثِ الأَسْلَمِيَّةِ،
فَيَسْأَلَهَا عَنْ حَدِيثِهَا، وَعَنْ مَا قَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ اسْتَفْتَتْهُ.
فَكَتَبَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الأَرْقَمِ، إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُتْبَةَ،
يُخْبِرُهُ أَنَّ سُبَيْعَةَ بِنْتَ الحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ:
أَنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ سَعْدِ ابْنِ خَوْلَةَ، وَهُوَ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ،
وَكَانَ مِمَّنْ شَهِدَ بَدْرًا، فَتُوُفِّيَ عَنْهَا فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ وَهِيَ حَامِلٌ،
فَلَمْ تَنْشَبْ أَنْ وَضَعَتْ حَمْلَهَا بَعْدَ وَفَاتِهِ،
فَلَمَّا تَعَلَّتْ مِنْ نِفَاسِهَا، تَجَمَّلَتْ لِلْخُطَّابِ،
فَدَخَلَ عَلَيْهَا أَبُو السَّنَابِلِ بْنُ بَعْكَكٍ، رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ الدَّارِ،
فَقَالَ لَهَا: مَا لِي أَرَاكِ تَجَمَّلْتِ لِلْخُطَّابِ، تُرَجِّينَ النِّكَاحَ؟
فَإِنَّكِ وَاللَّهِ مَا أَنْتِ بِنَاكِحٍ حَتَّى تَمُرَّ عَلَيْكِ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ،
قَالَتْ سُبَيْعَةُ: فَلَمَّا قَالَ لِي ذَلِكَ جَمَعْتُ عَلَيَّ ثِيَابِي حِينَ أَمْسَيْتُ،
وَ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ
«فَأَفْتَانِي بِأَنِّي قَدْ حَلَلْتُ حِينَ وَضَعْتُ حَمْلِي، وَأَمَرَنِي بِالتَّزَوُّجِ إِنْ بَدَا لِي»( )

(استفته) في انقضاء عدة الحامل بالوضع.
(تحت سعد) زوجة له.
(تنشب) تلبث.
(تعلت) طهرت من دمها وخرجت من نفاسها.
(تجملت للخطاب) تعرضت لمن يخطبها أو تزينت كما تتزين المرأة وأصبحت متهيئة لأن يخطبها الخطاب.
(فدخل عليها) وكان ذلك الدخول لا خلوة فيه وخاليا عن مخالفة آداب المرأة المسلمة مع الحجاب الكامل الذي ألفه المسلمون.
وكان انكاره لما اعتادوه من عدم ظهور المعتدة كليا وكان ظنه أنها مازالت في العدة.
(ترجين) من الترجية وهي الأمل وضد اليأس.
(بناكح) ليس من شأنك النكاح.

(وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا)

أي: إذا توفي الزوج، مكثت زوجته،

(يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ)

متربصة أربعة أشهر وعشرة أيام وجوبا،

والحكمة في ذلك، ليتبين الحمل في مدة الأربعة،

ويتحرك في ابتدائه في الشهر الخامس،

وهذا العام مخصوص بالحوامل، فإن عدتهن بوضع الحمل،

وكذلك الأمة، عدتها على النصف من عدة الحرة، شهران و خمسة أيام.

وقوله: (فَإِذَا بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ)

أي: انقضت عدتهن

(فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ)

أي: من مراجعتها للزينة والطيب،

(بِٱلۡمَعۡرُوفِۗ)

أي: على وجه غير محرم ولا مكروه.

وفي هذا وجوب الإحداد مدة العدة، على المتوفى عنها زوجها،

دون غيرها من المطلقات والمفارقات، وهو مجمع عليه بين العلماء.

(أمرني) أذن لي]

*** صحيح البخاري

5334 عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أَبِي سَلَمَةَ، أَنَّهَا أَخْبَرَتْهُ هَذِهِ الأَحَادِيثَ الثَّلاَثَةَ:

قَالَتْ زَيْنَبُ: دَخَلْتُ عَلَى أُمِّ حَبِيبَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ

حِينَ تُوُفِّيَ أَبُوهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ،

فَدَعَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ بِطِيبٍ فِيهِ صُفْرَةٌ، خَلُوقٌ أَوْ غَيْرُهُ،

فَدَهَنَتْ مِنْهُ جَارِيَةً ثُمَّ مَسَّتْ بِعَارِضَيْهَا،

ثُمَّ قَالَتْ: وَاللَّهِ مَا لِي بِالطِّيبِ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرَ أَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺيَقُولُ:

«لاَ يَحِلُّ لِامْرَأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ أَنْ تُحِدَّ عَلَى مَيِّتٍ فَوْقَ ثَلاَثِ لَيَالٍ،

إِلَّا عَلَى زَوْجٍ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا»

*** صحيح البخاري

5338 - عَنْ زَيْنَبَ بِنْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، عَنْ أُمِّهَا، أَنَّ امْرَأَةً تُوُفِّيَ زَوْجُهَا،

فَخَشُوا عَلَى عَيْنَيْهَا، فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺفَاسْتَأْذَنُوهُ فِي الكُحْلِ،

فَقَالَ: «لاَ تَكَحَّلْ، قَدْ كَانَتْ إِحْدَاكُنَّ تَمْكُثُ فِي شَرِّ أَحْلاَسِهَا( ) أَوْ شَرِّ بَيْتِهَا،

فَإِذَا كَانَ حَوْلٌ فَمَرَّ كَلْبٌ رَمَتْ بِبَعَرَةٍ، فَلاَ حَتَّى تَمْضِيَ أَرْبَعَةُ أَشْهُرٍ وَعَشْرٌ»،

*** وَمِنْ هَاهُنَا ذَهَبَ كَثِيرٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ إِلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَاسِخَةٌ لِلْآيَةِ الَّتِي بَعْدَهَا، وَهِيَ قَوْلُهُ:

{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لأزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ} [الْبَقَرَةِ: 240] ،

وَالْغَرَضُ أَنَّ الْإِحْدَادَ:-

(أحلاسها) جمع حلس وهو الثوب أو الكساء الرقيق]

هُوَ عِبارَةٌ عَنْ تَرْكِ الزِّينَةِ مِنَ الطِّيبِ، وَلُبْسِ مَا يَدْعُوهَا إِلَى الْأَزْوَاجِ مِنْ ثِيَابٍ وحُلِيٍّ وَغَيْرِ ذَلِكَ
-وَهُوَ وَاجِبٌ فِي عِدَّةِ الْوَفَاةِ قَوْلًا وَاحِدًا،
-وَلَا يَجِبُ فِي عِدَّةِ الرَّجْعِيَّةِ قَوْلًا وَاحِدًا،
✡وَهَلْ يَجِبُ فِي عِدَّةِ الْبَائِنِ؟ فِيهِ قَوْلَانِ.
وَيَجِبُ الْإِحْدَادُ عَلَى جَمِيعِ الزَّوْجَاتِ الْمُتَوَفَّى عَنْهُنَّ أَزْوَاجُهُنَّ،سَوَاءٌ فِي ذَلِكَ:- الصَّغِيرَةُ وَالْآيِسَةُ وَالْحُرَّةُ وَالْأَمَةُ، وَالْمُسَلَمَةَ وَالْكَافِرَةُ، لِعُمُومِ الْآيَةِ.

(وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ)

أي: عالم بأعمالكم، ظاهرها وباطنها، جليلها وخفيها، فمجازيكم عليها.

وفي خطابه للأولياء بقوله: (فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ)

دليل على أن الولي ينظر على المرأة،

ويمنعها مما لا يجوز فعله ويجبرها على ما يجب،

وأنه مخاطب بذلك، واجب عليه.

وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗاۚ وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴿٢٣٥﴾

(وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِيمَا عَرَّضۡتُم بِهِۦ مِنۡ خِطۡبَةِ ٱلنِّسَآءِ أَوۡ أَكۡنَنتُمۡ فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ)

***عن بن عباس:- التَّعْرِيضُ أَنْ تَقُولَ: إِنِّي أُرِيدُ التَّزْوِيجَ،

وَإِنِّي أُحِبُّ امْرَأَةً مِنْ أَمْرِهَا وَمِنْ أَمْرِهَا -يُعَرِّضُ لَهَا بِالْقَوْلِ بِالْمَعْرُوفِ - وَفِي رِوَايَةٍ: وَدِدْتُ أَنَّ اللَّهَ رَزَقَنِي امْرَأَةً وَنَحْوَ هَذَا.

هذا حكم المعتدة من وفاة، أو المبانة في الحياة،

فيحرم على غير مبينها أن يصرح لها في الخطبة،

وهو المراد بقوله: ﴿وَلَٰكِن لَّا تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا﴾

***يعني الزنا- لَا تَقُلْ لَهَا:إِنِّي عَاشِقٌ، وَعَاهِدِينِي أَلَّا تَتَزَوَّجِي غَيْرِي، وَنَحْوَ هَذَا

–وأما التعريض، فقد أسقط تعالى فيه الجناح.

والفرق بينهما: أن التصريح، لا يحتمل غير النكاح، فلهذا حُرِمِ،

خوفا من استعجالها، وكذبها في انقضاء عدتها، رغبة في النكاح،

☼ففيه دلالـــــة على:– منع وسائل المحرم،

وقضاء لحق زوجها الأول، بعدم مواعدتها لغيره مدة عدتها.

وأما التعريض، وهو الذي يحتمل النكاح وغيره،

فهو جائز للبائن كأن يقول لها: إني أريد التزوج،

وإني أحب أن تشاوريني عند انقضاء عدتك، ونحو ذلك،

فهذا جائز لأنه ليس بمنزلة الصريح، وفي النفوس داع قوي إليه.

وكذلك إضمار الإنسان في نفسه أن يتزوج من هي في عدتها، إذا انقضت،

﴿إِلَّآ أَن تَقُولُواْ قَوْلًا مَّعْرُوفًاۚ﴾

***ما تقدم من اباحة التعريض كقوله اني فيك لراغب و نحو ذلك

ولهذا قال: ﴿أَوْ أَكْنَنتُمْ فِىٓ أَنفُسِكُمْۚ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ سَتَذْكُرُونَهُنَّ﴾

هذا التفصيل كله في مقدمات العقد.

*** أَضْمَرْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ خطْبَتَهُنّ وَهَذَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى:

{وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ} [الْقِصَصِ:69]

وَ كَقَوْلِهِ: {وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنْتُمْ} [الممتحنة:1]

وَ لِهَذَا قَالَ: {عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمۡ سَتَذۡكُرُونَهُنَّ}

أَيْ: فِي أَنْفُسِكُمْ، فَرَفَعَ الْحَرَجَ عَنْكُمْ فِي ذَلِكَ،

–وأما عقد النكاح فلا يحل

(وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ)

أي: تنقضي العدة.

***و قد اجمع العلماء علي انه لا يصح العقد في مدة العدة

(وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُۚ)

*** تَوَعَّدَهُمْ عَلَى مَا يَقَعُ فِي ضَمَائِرِهِمْ مِنْ أُمُورِ النِّسَاءِ،

وَ أَرْشَدَهُمْ إِلَى إِضْمَارِ الْخَيْرِ دُونَ الشَّرِّ،

ثُمَّ لَمْ يُؤْيِسْهُم مَنْ رَحِمَتْهُ، وَ لَمْ يُقْنطهم مِنْ عَائِدَتِهِ،

فَقَالَ: {وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ}.

أي: فانووا الخير، و لا تنووا الشر، خوفا من عقابه و رجاء لثوابه.

(وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ)

لمن صدرت منه الذنوب، فتاب منها،و رجع إلى ربه

(حَلِيمٌ)

حيث لم يعاجل العاصين على معاصيهم، مع قدرته عليهم.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾﴾

أي:ليس عليكم يا معشر الأزواج جناح وإثم، بتطليق النساء قبل المسيس، وفرض المهر،

وإن كان في ذلك كسر لها، فإنه ينجبر بالمتعة،

فعليكم أن تمتعوهن بأن تعطوهن شيئا من المال، جبرا لخواطرهن.

(عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ)

أي: المعسر

(قَدَرُهُۥ)

وهذا يرجع إلى العرف، وأنه يختلف باختلاف الأحوال ولهذا قال:

(مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا)

فهذا حق واجب

(عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ)

ليس لهم أن يبخسوهن.

فكما تسببوا لتشوفهن واشتياقهن، وتعلق قلوبهن، ثم لم يعطوهن ما رغبن فيه،

فعليهم في مقابلة ذلك المتعة.

فلله ما أحسن هذا الحكم الإلهي، وأدله على حكمة شارعه ورحمته

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ المائدة: ٥٠

فهذا حكم المطلقات قبل المسيس وقبل فرض المهر.

ثم ذكر حكم المفروض لهن فقال:

وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَلَا تَنسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

(وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ)

أي: إذا طلقتم النساء قبل المسيس،

(وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ) (إِلَّا أَن يَعْفُونَ)

وبعد فرض المهر، فللمطلقات من المهر المفروض نصفه، ولكم نصفه.

هذا هو الواجب ما لم يدخله عفو ومسامحة، بأن تعفو عن نصفها لزوجها،

إذا كان يصح عفوها،

(أَوْ يَعْفُوَا الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ)

***الميسر: أو يسمح الزوج بأن يترك للمطلقة المهر كله،**

-وهو الزوج على الصحيح لأنه الذي بيده حل عقدته؛

و لأن الولي لا يصح أن يعفو عن ما وجب للمرأة، لكونه غير مالك ولا وكيل.

(وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡۚ)

ثم رغب في العفو، وأن من عفا، كان أقرب لتقواه

لكونه إحسانا موجبا لشرح الصدر،

ولكون الإنسان لا ينبغي أن يهمل نفسه من الإحسان والمعروف،

وينسى الفضل الذي هو أعلى درجات المعاملة،

لأن معاملة الناس فيما بينهم على درجتيـــــــن:-

1-إما عدل وإنصاف واجب، وهو: أخذ الواجب، وإعطاء الواجب.

2-وإما فضل وإحسان، وهو إعطاء ما ليس بواجب والتسامح في الحقوق،

والغض مما في النفس، فلا ينبغي للإنسان أن ينسى هذه الدرجة،

ولو في بعض الأوقات، وخصوصا لمن بينك وبينه معاملة،أو مخالطة،

فإن الله مجاز المحسنين بالفضل والكرم، ولهـــــذا قال:

(إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٌ)

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾
فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ
تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا وَصِيَّةٗ
لِّأَزۡوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلۡحَوۡلِ غَيۡرَ إِخۡرَاجٖۚ فَإِنۡ خَرَجۡنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ فِي
مَا فَعَلۡنَ فِيٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعۡرُوفٖۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٢٤٠﴾ وَلِلۡمُطَلَّقَٰتِ
مَتَٰعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ
لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ
حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ
وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ
ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا
كَثِيرَةٗۚ وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴿٢٣٨﴾

فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿٢٣٩﴾

(حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ)

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

مسند أحمد مخرجا

21595 -عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ:

" كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُصَلِّي الظُّهْرَ بِالْهَاجِرَةِ،

وَلَمْ يَكُنْ يُصَلِّي صَلَاةً أَشَدَّ عَلَى أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مِنْهَا،

قَالَ: فَنَزَلَتْ: { حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَى **}**

[البقرة: 238] ، قَالَ: «إِنَّ قَبْلَهَا صَلَاتَيْنِ، وَبَعْدَهَا صَلَاتَيْنِ» ()

*** صحيح البخاري

527 - عن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ:

أَيُّ العَمَلِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ؟ قَالَ: «الصَّلاَةُ عَلَى وَقْتِهَا»

قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «ثُمَّ بِرُّ الوَالِدَيْنِ»

قَالَ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: «الجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»

قَالَ: حَدَّثَنِي بِهِنَّ، وَلَوِ اسْتَزَدْتُهُ لَزَادَنِي ( )

---

1 قال الحافظ في الفتح ج9 ص262 ورواه أحمد من وجه آخر وزاد "كان النبي ﷺ يصلى الظهر بالهجير فلا يكون وراءه إلا الصف أو الصفان والناس في قائلتهم وفي تجارتهم فنزلت" ا. هـ

(عبد الله) هو ابن مسعود رضي الله عنه.

*** صحيح مسلم

627 عَنْ عَلِيٍّ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ الْأَحْزَابِ،قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ:
مَلَأَ اللهُ قُبُورَهُمْ وَبُيُوتَهُمْ نَارًا، كَمَا حَبَسُونَا، وَشَغَلُونَا عَنِ الصَّلَاةِ الْوُسْطَى، حَتَّى غَابَتِ الشَّمْسُ»

*** صحيح مسلم

626عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺقَالَ:
«الَّذِي تَفُوتُهُ صَلَاةُ الْعَصْرِ، كَأَنَّمَا وُتِرَ أَهْلَهُ وَمَالَهُ»( )

*** صحيح البخاري

553 - عَنْ أَبِي المَلِيحِ، قَالَ: كُنَّا مَعَ بُرَيْدَةَ فِي غَزْوَةٍ فِي يَوْمٍ ذِي غَيْمٍ، فَقَالَ: بَكِّرُوا بِصَلاَةِ العَصْرِ، فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺقَالَ:
«مَنْ تَرَكَ صَلاَةَ العَصْرِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ»

–يأمر بالمحافظة على الصلوات عمومًا وعلى الصلاة الوسطى،

وهي العصر خصوصًا،

(على وقتها) في أول وقتها.

(بر الوالدين) الإحسان إليهما والقيام بخدمتهما وترك الإساءة إليهما]

[ش (وتر أهله وماله) روى بنصب اللامين ورفعهما والنصب هو الصحيح المشهور الذي عليه الجمهور على أنه مفعول ثان ومن رفع فعلى ما لم يسم فاعله ومعناه انتزع منه أهله وماله وهذا تفسير مالك بن أنس

وأما على رواية النصب فقال الخطابي وغيره معناه نقص هو أهله وماله وسلبه فبقي بلا أهل ولا مال فليحذر من تفويتها كما يحذر من ذهاب أهله وماله

وقال أبو عمر بن عبد البر معناه عند أهل اللغة والفقه أنه كالذي يصاب بأهله وماله إصابة يطلب بها وترا

والوتر الجناية التي يطلب ثأرها فيجتمع عليه غمان غم المصيبة وغم مقاساة طلب الثأر]

-والمحافظة عليها أداؤها بوقتـــها وشـــروطها وأركـــانها وخشـــوعها وجميع ما لها من [واجب و مستحب]،

-وبالمحافظة على الصلوات تحصل المحافظة على سائر العبادات،

وتفيد النهي عن الفحشاء والمنكر خصوصًا إذا أكملها كما أمر بقوله

(وَقُومُواْ لِلَّهِ قَـٰنِتِينَ)

***جاء في الصحيح المسند من أسباب النزول:**

مجمع الزوائد ومنبع الفوائد

10869 - وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: {وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} [البقرة: 238]

قَالَ: كَانُوا يَتَكَلَّمُونَ فِي الصَّلَاةِ، يَجِيءُ خَادِمُ الرَّجُلِ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي الصَّلَاةِ فَيُكَلِّمُهُ بِحَاجَتِهِ، فَنُهُوا عَنِ الْكَلَامِ.

صحيح البخاري

4534-عَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ، قَالَ:

«كُنَّا نَتَكَلَّمُ فِي الصَّلاَةِ يُكَلِّمُ أَحَدُنَا أَخَاهُ فِي حَاجَتِهِ»

حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ:

{حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} **[البقرة: 238]**

«فَأُمِرْنَا بِالسُّكُوتِ»()

تنبيه:

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسيره ج1 ص294: قد أشكل هذا الحديث على جماعة من العلماء حيث ثبت عندهم أن تحريم الكلام في الصلاة كان بمكة قبل الهجرة إلى المدينة وبعد الهجرة إلى أرض

أي: ذليلين خاشعين، ففيه الأمر بالقيام والقنوت والنهي عن الكلام، والأمر بالخشوع، هذا مع الأمن والطمأنينة.

(فَإِنْ خِفْتُمْ)

لم يذكر ما يخاف منه ليشمل الخوف من كافر وظالم وسبع وغير ذلك من أنواع المخاوف، أي: إن خفتم بصلاتكم على تلك الصفة

فصلوها (فَرِجَالًا)

أي: ماشين على أقدامكم،

(أَوْ رُكْبَانًا)

على الخيل و الإبل وغيرها،

يلزم على ذلك أن يكونوا مستقبلي القبلة و غير مستقبليها،

الحبشة كما دل على ذلك حديث ابن مسعود الذي في الصحيح قال: كنا نسلم على النبيﷺ قبل أن نهاجر إلى الحبشة وهو في الصلاة فيرد علينا قال: فلما قدمنا فسلمت عليه فلم يرد علي فأخذني ما قرب وما بعد فلما سلم قال: "إني لم أرد عليك إلا أني كنت في الصلاة وإن الله يحدث من أمره ما يشاء وإن مما أحدث ألا تتكلموا في الصلاة".

وقد كان ابن مسعود ممن أسلم قديما وهاجر إلى الحبشة ثم قدم منها إلى مكة مع من قدم فهاجر إلى المدينة وهذه الآية {وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ} مدنية بلا خلاف. فقال قائلون إنما أراد زيد بن أرقم بقوله -كان الرجل يكلم أخاه في حاجته في الصلاة- الإخبار عن جنس الكلام واستدل على تحريم ذلك بهذه الآية بحسب ما فهمه منها، والله أعلم. وقال قوم إنما أراد أن ذلك قد وقع بالمدينة بعد الهجرة إليها ويكون ذلك قد أبيح مرتين وحرم مرتين - كما اختار ذلك قوم من أصحابنا وغيرهم والأول أظهر والله أعلم.

الأقوى الذي يظهر لي والله أعلم أن الكلام حرم بمكة بالسنة المطهرة كما في حديث ابن مسعود فلما قدم ﷺالمدينة صار بعضهم ممن لم يبلغه التحريم يتكلم في الصلاة كما حصل من معاوية بن الحكم السلمي فنزلت الآية. والله أعلم؛ وإن كنت تريد المزيد في البحث فعليك بنيل الأوطار ج2 ص329 وص330 وفتح الباري وقد نقلت كلام الحافظ في الفتح في رياض الجنة.

و في هذا زيادة التأكيد على المحافظة على وقتها

-حيث أمر بذلك ولو مع الإخلال بكثير من الأركان والشروط،

وأنه لا يجوز تأخيرها عن وقتها ولو في هذه الحالة الشديدة،

فصلاتها على تلك الصورة أحسن و أفضل بل أوجب من صلاتها مطمئنا خارج الوقت

(فَإِذَآ أَمِنتُمۡ)

أي: زال الخوف عنكم

(فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ)

و هذا يشمل جميع أنواع الذكر ومنه الصلاة على كمالها و تمامها

(كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ)

فإنها نعمة عظيمة ومنة جسيمة،تقتضي مقابلتها بالذكر و الشكر ليبقي نعمته عليكم و يزيدكم عليها.

فَإِنۡ خِفۡتُمۡ فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانٗاۖ فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ)

***صحيح البخاري4535

عن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا،كَانَ إِذَا سُئِلَ عَنْ صَلاَةِ الخَوْفِ

قَالَ:«يَتَقَدَّمُ الإِمَامُ وَطَائِفَةٌ مِنَ النَّاسِ،

فَيُصَلِّي بِهِمُ الإِمَامُ رَكْعَةً،

وَتَكُونُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ العَدُوِّ لَمْ يُصَلُّوا،

فَإِذَا صَلَّى الَّذِينَ مَعَهُ رَكْعَةً،اسْتَأْخَرُوا مَكَانَ الَّذِينَ لَمْ يُصَلُّوا،وَ لاَ يُسَلِّمُونَ،
وَ يَتَقَدَّمُ الَّذِينَ لَمْ يُصَلُّوا فَيُصَلُّونَ مَعَهُ رَكْعَةً،
ثُمَّ يَنْصَرِفُ الإِمَامُ وَقَدْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ،
فَيَقُومُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ
فَيُصَلُّونَ لأَنْفُسِهِمْ رَكْعَةً بَعْدَ أَنْ يَنْصَرِفَ الإِمَامُ،
فَيَكُونُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ قَدْ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ،
فَإِنْ كَانَ خَوْفٌ هُوَ أَشَدَّ مِنْ ذَلِكَ،
صَلَّوْا رِجَالًا قِيَامًا عَلَى أَقْدَامِهِمْ أَوْ رُكْبَانًا،
مُسْتَقْبِلِي القِبْلَةِ أَوْ غَيْرَ مُسْتَقْبِلِيهَا»
قَالَ مَالِكٌ: قَالَ نَافِعٌ:لاَ أُرَى عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ذَكَرَ ذَلِكَ إِلَّا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ
*** صحيح مسلم
839-وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ:
«فَإِذَا كَانَ خَوْفٌ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَصَلِّ رَاكِبًا، أَوْ قَائِمًا تُومِئُ إِيمَاءً»
*** صحيح مسلم
687 عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «فَرَضَ اللهُ الصَّلَاةَ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّكُمْ ﷺ
فِي الْحَضَرِ أَرْبَعًا،وَ فِي السَّفَرِ رَكْعَتَيْنِ،وَ فِي الْخَوْفِ رَكْعَةً»
ثم قال تعالى:-

وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ
غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن
مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾

أي: الأزواج الذين يموتون و يتركون خلفهم أزواجا فعليهم أن يوصوا

(وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ)

أي: يوصون أن يلزمن بيوتهم مدة سنة لا يخرجن منها

(فَإِنْ خَرَجْنَ)

من أنفسهن

(فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ)

أيها الأولياء

(فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)

أي: من مراجعة الزينة و الطيب و نحو ذلك و أكثر المفسرين أن هذه الآية منسوخة بما قبلها و هي قوله:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾

البقرة: ٢٣٤

و قيل لم تنسخها بل الآية الأولى دلت على أن أربعة أشهر و عشر واجبة،

و ما زاد على ذلك فهي مستحبة ينبغي فعلها تكميلا لحق الزوج،

و مراعاة للزوجة،

والدليل على أن ذلك مستحب أنه هنا نفى الجناح عن الأولياء إن خرجن قبل تكميل الحول،

فلو كان لزوم المسكن واجبا لم ينف الحرج عنهم.

*** صحيح البخاري

4530 - ، عَنِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ، قَالَ: ابْنُ الزُّبَيْرِ قُلْتُ: لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ
{وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا} [البقرة: 234]
قَالَ: قَدْ نَسَخَتْهَا الآيَةُ الأُخْرَى، فَلِمَ تَكْتُبُهَا؟ أَوْ تَدَعُهَا؟
قَالَ: «يَا ابْنَ أَخِي لاَ أُغَيِّرُ شَيْئًا مِنْهُ مِنْ مَكَانِهِ»( )

(وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم)

*** يُوصِيكُمُ اللَّهُ بِهِنَّ وَصِيَّةً كَقَوْلِهِ: {يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلادِكُمْ}
[النِّسَاءِ:11] وقوله {وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ} [النِّسَاءِ:12]
وَقِيلَ: إِنَّمَا انْتَصَبَ عَلَى مَعْنَى: فَلْتُوصُوا بِهِنَّ وَصِيَّةً.
وَلَا يُمْنَعْنَ مِنْ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ: {غَيْرَ إِخْرَاجٍ}
فَأَمَّا إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهُنَّ بِالْأَرْبَعَةِ الْأَشْهُرِ وَالْعَشْرِ أَوْ بِوَضْعِ الْحَمْلِ،
وَاخْتَرْنَ الْخُرُوجَ وَالِانْتِقَالَ مِنْ ذَلِكَ الْمَنْزِلِ فَإِنَّهُنَّ لَا يُمْنَعْنَ مِنْ ذَلِكَ لِقَوْلِهِ
{فَإِنْ خَرَجْنَ فَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ}

وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعُۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾

ش (والذين يتوفون. .) ومراده التي تتمتها
(نسختها) رفعت العمل بحكمها.
(الآية الأخرى) وهي التي فيها {يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا. .}البقرة 234
(تدعها) تتركها مكتوبة وكان ابن الزبير رضي الله عنهما يظن أن ما نسخ حكمه من القرآن لا يكتب لفظه.
(لا أغير شيئا منه) أي مما كتب في القرآن.
(من مكانه) الذي كتب فيه على عهد رسول الله ﷺ.
(وصية) أي أوصوا لهن قبل الوفاة.
(متاعا) نفقة سنة من طعام وكسوة وما تحتاج إليه.
(غير إخراج) غير مخرجات من بيوتهن.
(فإن خرجن) أي باختيارهن وقد كانت مخيرة أن تمكث حتى الحول في بيت زوجها ولها النفقة والسكنى وإن شاءت خرجت واعتدت حيث أحبت ولا نفقة لها ولا سكنى]

﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾﴾

(وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ)

أي: لكل مطلقة متاع بالمعروف حقا على كل متق، جبرا لخاطرها وأداء لبعض حقوقها،

وهذه المتعة واجبة على من طلقت قبل المسيس،

و الفرض سنة في حق غيرها كما تقدم،[هذا أحسن ما قيل فيها]

–و قيل إن المتعة واجبة على كل مطلقة احتجاجا بعموم هذه الآية،

و لكن القاعدة أن المطلق محمول على المقيّد،

و تقدم أن الله فرض المتعة للمطلقة قبل الفرض والمسيس خاصة.

و لما بيّن تعالى هذه الأحكام العظيمة المشتملة على الحكمة و الرحمة امتن بها على عباده فقـــــال:

(كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ)

أي: حدوده، وحلاله وحرامه والأحكام النافعة لكم،

(لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ)

فتعرفونها وتعرفون المقصود منها، فإن من عرف ذلك أوجب له العمل بها.

ثم قال تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ)

*** صحيح البخاري

5729 - عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، خَرَجَ إِلَى الشَّأْمِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِسَرْغَ لَقِيَهُ أُمَرَاءُ الأَجْنَادِ، أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ وَأَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرُوهُ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِأَرْضِ الشَّأْمِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَقَالَ عُمَرُ: ادْعُ لِي المُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ،

فَدَعَاهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ الوَبَاءَ قَدْ وَقَعَ بِالشَّأْمِ، فَاخْتَلَفُوا،

فَقَالَ بَعْضُهُمْ: قَدْ خَرَجْتَ لِأَمْرٍ، وَ لاَ نَرَى أَنْ تَرْجِعَ عَنْهُ،

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: مَعَكَ بَقِيَّةُ النَّاسِ وَأَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ،

وَلاَ نَرَى أَنْ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ، فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي،

ثُمَّ قَالَ: ادْعُوا لِي الأَنْصَارَ، فَدَعَوْتُهُمْ فَاسْتَشَارَهُمْ،

فَسَلَكُوا سَبِيلَ المُهَاجِرِينَ، وَاخْتَلَفُوا كَاخْتِلاَفِهِمْ،

فَقَالَ: ارْتَفِعُوا عَنِّي، ثُمَّ قَالَ:-

ادْعُ لِي مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ مَشْيَخَةِ قُرَيْشٍ مِنْ مُهَاجِرَةِ الفَتْحِ،

فَدَعَوْتُهُمْ، فَلَمْ يَخْتَلِفْ مِنْهُمْ عَلَيْهِ رَجُلاَنِ،

فَقَالُوا: نَرَى أَنْ تَرْجِعَ بِالنَّاسِ وَلاَ تُقْدِمَهُمْ عَلَى هَذَا الوَبَاءِ،
فَنَادَى عُمَرُ فِي النَّاسِ: إِنِّي مُصَبِّحٌ عَلَى ظَهْرٍ فَأَصْبِحُوا عَلَيْهِ.
قَالَ أَبُوعُبَيْدَةَ بْنُ الجَرَّاحِ: أَفِرَارًا مِنْ قَدَرِ اللَّهِ؟
فَقَالَ عُمَرُ: لَوْ غَيْرُكَ قَالَهَا يَا أَبَا عُبَيْدَةَ؟
نَعَمْ نَفِرُّ مِنْ قَدَرِ اللَّهِ إِلَى قَدَرِ اللَّهِ،
أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ إِبِلٌ هَبَطَتْ وَادِيًا لَهُ عُدْوَتَانِ،
إِحْدَاهُمَا خَصِبَةٌ، وَالأُخْرَى جَدْبَةٌ،
أَلَيسَ إِنْ رَعَيْتَ الخَصْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ،
وَ إِنْ رَعَيْتَ الجَدْبَةَ رَعَيْتَهَا بِقَدَرِ اللَّهِ؟
قَالَ: فَجَاءَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - وَ كَانَ مُتَغَيِّبًا فِي بَعْضِ حَاجَتِهِ -( )
فَقَالَ: إِنَّ عِنْدِي فِي هَذَا عِلْمًا، سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:
«إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَقْدَمُوا عَلَيْهِ،
وَ إِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَ أَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»
قَالَ: فَحَمِدَ اللَّهَ عُمَرُ ثُمَّ انْصَرَفَ( )

(بسرغ) قرية في طريق الشام مما يلي الحجاز.
(الأجناد) أي الجند
(الوباء) المرض العام وهو الطاعون.
(بقية الناس) أي بقية الصحابة وسماهم الناس تعظيما لهم.
(ارتفعوا عني) قوموا واذهبوا عني.
(فسلكوا سبيل المهاجرين) مشوا على طريقتهم فيما قالوه.
(مشيخة قريش) شيوخهم أي كبارهم في السن.
(مهاجرة الفتح) الذين هاجروا إلى المدينة عام الفتح
(مصبح على ظهر) مسافر في الصباح.
(لو غيرك) ممن ليس في منزلتك
(قالها) قال هذه المقالة أي لأدبته. أو لم أتعجب منه.
(هبطت) نزلت
(عدوتان) طرفان والعدوة طرف الوادي المرتفع منه.
(خصبة) ذات عشب كثير.
(جدبة) قليلة العشب والمرعى.

يقص تعالى علينا قصة الذين خرجوا من ديارهم على كثرتهم واتفاق مقاصدهم، بأن الذي أخرجهم منها حذر الموت من وباء أو غيره، يقصدون بهذا الخروج السلامة من الموت، ولكن لا يغني حذر عن قدر،

(فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ)

فماتوا

(ثُمَّ)

إن الله تعالى

(أَحۡيَـٰهُمۡۚ)

إما بدعوة نبي أو بغير ذلك، رحمة بهم ولطفا وحلما،

و بيانا لآياته لخلقه بإحياء الموتى، ولهذا قال:

(إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ)

أي: عظيم

(عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ)

فلا تزيدهم النعمة شكرا، بل ربما استعانوا بنعم الله على معاصيه،

(به) بوجود الطاعون. (فحمد الله) على موافقة اجتهاده واجتهاد كثير من الصحابة لحديث رسول الله ﷺ

وقليل منهم الشكور الذي يعرف النعمة ويقر بها ويصرفها في طاعة المنعم.

ثم أمر تعالى بالقتال في سبيله، وهو قتال الأعداء الكفار لإعلاء كلمة الله ونصر دينه، فقال:

(وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ)

***الميسر:لنصرة دينه**

كَمَا أَنَّ الْحَذَرَ لَا يُغْنِي مِنَ الْقَدَرِ كَذَلِكَ الْفِرَارُ مِنَ الْجِهَادِ وَتَجَنُّبِهِ لَا يُقَرِّبُ أَجَلًا وَلَا يُبَاعِدُهُ،

-بَلِ الْأَجَلُ الْمَحْتُومُ وَالرِّزْقُ الْمَقْسُومُ مُقَدَّرٌ مُقَنَّنٌ لَا يُزَادُ فِيهِ وَلَا يُنْقَصُ مِنْهُ

كقوله*** ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ ۗ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾آل عمران: ١٦٨

﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ ۗ قُلْ مَتَـٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ۗ وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُوا۟ هَـٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ فَمَالِ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلْقَوْمِ لَا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا ﴾النساء: ٧٧ - ٧٨

أي: فأحسنوا نياتكم و اقصدوا بذلك وجه الله،

و اعلموا أنه لا يفيدكم القعود عن القتال شيئا،

و لو ظننتم أن في القعود حياتكم و بقاءكم، فليس الأمر كذلك،

و لهذا ذكر القصة السابقة توطئة لهذا الأمر،

فكما لم ينفع الذين خرجوا من ديارهم حذر الموت خروجهم،

بل أتاهم ما حذروا من غير أن يحتسبوا، فاعلموا أنكم كذلك.

(وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ)

***الميسر: واعلموا أن الله سميع لأقوالكم، عليم بنيّاتكم وأعمالكم.**

و لما كان القتال في سبيل الله لا يتم إلا بالنفقة و بذل الأموال في ذلك،

أمر تعالى بالإنفاق في سبيله و رغب فيه، و سماه قرضا فقال:

(مَّن ذَا ٱلَّذِي يُقۡرِضُ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا)

***** المعجم الكبير للطبراني**

764 - عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ

{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا} **[البقرة: 245] ،**

قَالَ أَبُو الدَّحْدَاحِ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنَّ اللهَ يُرِيدُ مِنَّا الْقَرْضَ،

قَالَ: «نَعَمْ يَا أَبَا الدَّحْدَاحِ» ، قَالَ: أَرِنِي يَدَكَ، فَنَاوَلَهُ يَدَهُ،

فَقَالَ: إِنِّي قَدْ أَقْرَضْتُ رَبِّي حَائِطِي، وَفِي حَائِطِي سِتَّمِائَةٍ نَخْلَةٍ،

ثُمَّ جَاءَ إِلَى الْحَائِطِ فَنَادَى يَا أُمَّ الدَّحْدَاحِ،

وَهِيَ فِي الْحَائِطِ فَقَالَتْ: لَبَّيْكَ فَقَالَ: اخْرُجِي فَقَدْ أَقْرَضْتُهُ رَبِّي

○فينفق ما تيسر من أمواله في طرق الخيرات، خصوصا في الجهاد،

و الحسن هو الحلال المقصود به وجه الله تعالى،

(فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضۡعَافٗا كَثِيرَةٗۚ)

***كقوله ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتۡ سَبۡعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾البقرة: ٢٦١

الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبع مائة ضعف إلى أضعاف كثيرة،

بحسب حالة المنفق، و نيته و نفع نفقته و الحاجة إليها،

–و لما كان الإنسان ربما توهم أنه إذا أنفق افتقر دفع تعالى هذا الوهم بقوله:

(وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ)

أي: يوسع الرزق على من يشاء ويقبضه عمن يشاء،

فالتصرف كله بيديه و مدار الأمور راجع إليه،

فالإمساك لا يبسط الرزق، و الإنفاق لا يقبضه،

و مع ذلك فالإنفاق غير ضائع على أهله،

بل لهم يوم يجدون ما قدموه كاملا موفرا مضاعفا، فلهذا قال:

(وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ) **فيجازيكم بأعمالكم.**

***ففي هذه الآيات دليـــــل على :–**

1–أن الأسباب لا تنفع مع القضاء والقدر،

و خصوصا الأسباب التي تُتْرك بها أوامر الله.

2–و فيها: الآية العظيمة بإحياء الموتى أعيانا في هذه الدار.

3–و فيها: الأمر بالقتال و النفقة في سبيل الله،

و ذكر الأسباب الداعية لذلك الحاثة عليه، من تسميته قرضا، ومضاعفته

و أن الله يقبض ويبسط وإليه ترجعون.

أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ ٱبۡعَثۡ لَنَا
مَلِكٗا نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ قَالَ هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ
ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن
دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ
بِٱلظَّٰلِمِينَ ٢٤٦ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ
قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ
مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ
وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ٢٤٧ وَقَالَ
لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ءَايَةَ مُلۡكِهِۦٓ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٞ مِّن
رَّبِّكُمۡ وَبَقِيَّةٞ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُۚ إِنَّ
فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٢٤٨

(أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلۡمَلَإِ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰٓ إِذۡ قَالُواْ لِنَبِيّٖ لَّهُمُ)

يقص تعالى على نبيه قصة الملأ من بني إسرائيل و هم الأشراف والرؤساء، و خص الملأ بالذكر، لأنهم في العادة هم الذين يبحثون عن مصالحهم

ليتفقوا فيتبعهم غيرهم على ما يرونه،و ذلك أنهم أتوا إلى نبي لهم بعد موسى

عليه السلام فقالوا له (ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا)

أي: عيِّـــــــن لنا ملكا

(نُّقَٰتِلۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۖ)

ليجتمع متفرقنا و يُقاوم بنا عدونا،

ولعلهم في ذلك الوقت ليس لهم رئيس يجمعهم،

كما جرت عادة القبائل أصحاب البيوت، كل بيت لا يرضى أن يكون من

البيت الآخر رئيس،

–فالتمسوا من نبيهم تعيين ملك يرضي الطرفين

و يكون تعيينه خاصا لعوائدهم،

و كانت أنبياء بني إسرائيل تسوسهم، كلما مات نبي خلفه نبي آخر،

فلما قالوا لنبيهم تلك المقالة(قَالَ)

لهم نبيهم

(هَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِتَالُ أَلَّا تُقَٰتِلُواْۖ)

أي: لعلكم تطلبون شيئا وهو إذا كتب عليكم لا تقومون به،

فعرض عليهم العافية فلم يقبلوها، واعتمدوا على عزمهم ونيتهم، فقالوا:

(قَالُواْ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدۡ أُخۡرِجۡنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبۡنَآئِنَاۖ)

أي: أي شيء يمنعنا من القتال وقد ألجأنا إليه، بأن أخرجنا من أوطاننا

وسبيت ذرارينا، فهذا موجب لكوننا نقاتل ولو لم يكتب علينا،

فكيف مع أنه فرض علينا وقد حصل ما حصل،

ولهذا لما لم تكن نياتهم حسنة ولم يقوَ توكلهم على ربهم

(فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقِتَالُ تَوَلَّوۡاْ)

فجبنوا عن قتال الأعداء وضعفوا عن المصادمة،

و زال ما كانوا عزموا عليه، واستولى على أكثرهم الخور والجبن

(إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ)

فعصمهم الله وثبتهم وقوى قلوبهم فالتزموا أمر الله

ووطنوا أنفسهم على مقارعة أعدائه،

فحازوا شرف الدنيا والآخرة،و أما أكثرهم فظلموا أنفسهم و تركوا أمر الله،

فلهذا قال:

(وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ٢٤٦ وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ)

مجيبا لطلبهم

(إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ)

فكان هذا تعيينا من الله الواجب عليهم فيه القبول والانقياد و ترك الاعتراض،

و لكن أبوا إلا أن يعترضوا،

(قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ)

أي: كيف يكون ملكا وهو دوننا في الشرف و النسب

و نحن أحق بالملك منه.

و مع هذا فهو فقير ليس عنده ما يقوم به الملك من الأموال،

وهذا بناء منهم على ظن فاسد:-

و هو أن الملك ونحوه من الولايات مستلزم لشرف النسب و كثرة المال،

و لم يعلموا أن الصفات الحقيقية التي توجب التقديم مقدمة عليها،

فلهذا قال لهم نبيهم:(قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ)

فلزمكم الانقياد لذلك

(وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ)

***الميسر:سَعَـــــــة**

أي: فضله عليكم بالعلم و الجسم،

أي: بقوة الرأي و الجسم اللذين بهما تتم أمور الملك،

☼لأنه إذا تم رأيه و قوي على تنفيذ ما يقتضيه الرأي المصيب،

حصل بذلك الكمال، و متى فاته واحد من الأمرين اختل عليه الأمر،

✡فلو كان قوي البدن مع ضعف الرأي،

حصل في الملك خرق وقهر ومخالفة للمشروع، قوة على غير حكمة،

✡و لو كان عالما بالأمور وليس له قوة على تنفيذها

لم يفده الرأي الذي لا ينفذه شيئا

(وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ)

الفضل كثير الكرم، لا يخص برحمته و بره العام أحدا عن أحد،

و لا شريفا عن وضيع، و لكنه مع ذلك

(عَلِيمٌ) بمن يستحق الفضل فيضعه فيه،

–فأزال بهذا الكلام ما في قلوبهم من كل ريب و شك و شبهة لتبيينه أن

أسباب الملك متوفرة فيه،

–و أن فضل الله يؤتيه من يشاء من عباده، ليس له راد،و لا لإحسانه صاد.

(وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ)

ثم ذكر لهم نبيهم أيضا آية حسية يشاهدونها

وهي إتيان التابوت الذي قد فقدوه زمانا طويلا

(فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ)

و في ذلك التابوت سكينة تسكن بها قلوبهم، و تطمئن لها خواطرهم،

***وقار و جلالة

(وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ ءَالُ مُوسَىٰ وَءَالُ هَٰرُونَ)

*** عَصَاهُ وَ رُضَاضُ( ) الْأَلْوَاحِ.
***عَصَا مُوسَى وَعَصَا هَارُونَ و لوحين من التوراة.

–و فيه بقية مما ترك آل موسى و آل هارون،

(تَحۡمِلُهُ ٱلۡمَلَـٰٓئِكَةُۚ)

فأتت به الملائكة حاملة له و هم يرونه عيانا.
*** جَاءَتِ الْمَلَائِكَةُ تَحْمِلُ التَّابُوتَ بَيْنَ السَّمَاءِ وَ الْأَرْضِ حَتَّى وَضَعَتْهُ بَيْنَ يَدَيْ طَالُوتَ، وَ النَّاسُ يَنْظُرُونَ.

(إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗ لَّكُمۡ)
*** عَلَى صِدْقِي فِيمَا جِئْتُكُمْ بِهِ مِنَ النبوة،
و فيما أمرتكم به من طَاعَةِ طَالُوتَ

(إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ)
أَيْ: بِاللَّهِ واليوم الآخر.

فُتات مما تكسر

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبۡتَلِيكُم بِنَهَرٖ فَمَن شَرِبَ مِنۡهُ
فَلَيۡسَ مِنِّي وَمَن لَّمۡ يَطۡعَمۡهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغۡتَرَفَ غُرۡفَةَۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُواْ مِنۡهُ
إِلَّا قَلِيلٗا مِّنۡهُمۡۚ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ قَالُواْ لَا طَاقَةَ لَنَا
ٱلۡيَوۡمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ كَم مِّن
فِئَةٖ قَلِيلَةٍ غَلَبَتۡ فِئَةٗ كَثِيرَةَۢ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا
بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُواْ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا وَثَبِّتۡ
أَقۡدَامَنَا وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ
وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا
يَشَآءُۗ وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ
وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ
نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۚ وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

(فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلۡجُنُودِ)

***أيسر التفاسير:انفصل من الديار وخرج يريد العدو**

أي: لما تملَّك طالوت ببني إسرائيل واستقر له الملك تجهزوا لقتال عدوهم، فلما فصل طالوت بجنود بني إسرائيل

وكانوا عددا كثيرا وجما غفيرا، امتحنهم بأمر الله ليتبين الثابت المطمئن ممن ليس كذلك فقال:

(قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم)

***مختبركم

(بِنَهَرٍ)

***أيسر التفاسير:لعل هو نهر الأردن الآن.**

(فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي)

فهو عاص و لا يتبعنا لعدم صبره و ثباته و لمعصيته

(وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ)

أي: لم يشرب منه فإنه مني

(إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦۚ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْۚ)

***أيسرالتفاسير:الغَرفة بالفتح المرة،و بالضم الاسم من الاغتراف**

*** صحيح البخاري

3958 - عَنِ البَرَاءِ، قَالَ: كُنَّا أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ ﷺنَتَحَدَّثُ:

«أَنَّ عِدَّةَ أَصْحَابِ بَدْرٍ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهَرَ،

وَ لَمْ يُجَاوِزْ مَعَهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ بِضْعَةَ عَشَرَ وَ ثَلَاثَ مِائَةٍ»

❍فلا جناح عليه في ذلك، و لعل الله أن يجعل فيها بركة فتكفيه،

و في هذا الابتلاء ما يدل على أن الماء قد قل عليهم ليتحقق الامتحان،

فعصى أكثرهم و شربوا من النهر الشرب المنهي عنه،

و رجعوا على أعقابهم و نكصوا عن قتال عدوهم

-و كان في عدم صبرهم عن الماء ساعة واحدة:-

1-أكبر دليل على عدم صبرهم على القتال الذي سيتطاول و تحصل فيه المشقة الكبيرة،

2-و كان في رجوعهم عن باقي العسكر ما يزداد به الثابتون توكلا على الله، و تضرعا و استكانة و تبرؤا من حولهم و قوتهم،

و زيادة صبر لقلتهم و كثرة عدوهم، فلهذا قال تعالى:

(فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ)

أي: النهر

(هُوَ) أي: طالوت

(وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ)

وهم الذين أطاعوا أمر الله ولم يشربوا من النهر الشرب المنهي عنه فرأوا... قلتهم و كثرة أعدائهم،

(قَالُواْ)

أي: قال كثير منهم

(لَا طَاقَةَ لَنَا ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦۚ)

لكثرتهم و عَددهم و عُددهم

(قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ)

*** فَشَجَّعَهُمْ عُلَمَاؤُهُمْ وَ هُمُ الْعَالِمُونَ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ

فَإِنَّ النَّصْرَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لَيْسَ عَنْ كَثْرَةِ عَدَدٍ وَ لَا عِدَدٍ

–أي:يستيقنون ذلك،و هم أهل الإيمان الثابت و اليقين الراسخ،

مثبتين لباقيهم و مطمئنين لخواطرهم، و آمرين لهم بالصبر

(كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةَۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ)

أي: بإرادته و مشيئته فالأمر لله تعالى، و العزيز من أعزه الله،

و الذليل من أذله الله، فلا تغني الكثرة مع خذلانه،و لا تضر القلة مع نصره،

(وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ)

بالنصر و المعونة و التوفيق، فأعظم جالب لمعونة الله صبر العبد لله،

فوقعت موعظته في قلوبهم و أثرت معهم.

(وَلَمَّا بَرَزُواْ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ)

❍و لهذا لما برزوا لجالوت و جنوده

*الميسر:و لما ظهروا لجالوت و جنوده، و رأوا الخطر رأي العين،

فزعوا إلى الله بالدعاء والضراعة

(قَالُواْ)

جميعهم

(رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا)

أي: قو قلوبنا، و أوزعنا الصبر

***أنزل علينا صـــــــــبرا من عندك

(وَثَبِّتۡ أَقۡدَامَنَا)

عن التزلزل و الفرار،

(وَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ)

من هاهنا نعلم أن جالوت و جنوده كانوا كفارا، فاستجاب الله لهم ذلك الدعاء لإتيانهم بالأسباب الموجبة لذلك، و نَصَرهم عليهم

(فَهَزَمُوهُم بِإِذۡنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ)

ﭼو كان مع جنود طالوت،

(جَالُوتَ)

أي: باشر قتل ملك الكفار بيده لشجاعته و قوته و صبره

(وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ)

أي: آتى الله داود

(ٱلۡمُلۡكَ وَٱلۡحِكۡمَةَ)

أي: منَّ عليه بتملكه على بني إسرائيل مع الحكمة،

و هي النبوة المشتملة على [الشرع العظيم و الصراط المستقيم]

و لهذا قال (وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ)

من العلوم الشـــــــرعية و العلوم السيـــــــاسية،

فجمع الله له الملك و النبوة،

و قد كان من قبله من الأنبياء يكون الملك لغيرهم،

-فلما نصـــــــرهم الله تعالى:-

1-اطمــــــأنوا في ديارهم

2-و عبـــــــدوا الله آمنين مطمئنين لخذلان أعدائهم و تمكينهم من الأرض،

و هذا كله من آثار الجهاد في سبيله،فلو لم يكن لم يحصل ذلك

فلهذا قال تعالى:

(وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّفَسَدَتِ ٱلۡأَرۡضُ)

➜أي:لولا أنه يدفع بمن يقاتل في سبيله كيد الفجار و تكالب الكفار

لفــــــسدت الأرض:-

1-باستيلاء الكفار عليها

2-و إقامتهم شعائر الكفر

3-و منعهم من عبادة الله تعالى، و إظهار دينه

***كقوله ﴿وَلَوۡلَا دَفۡعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعۡضَهُم بِبَعۡضٖ لَّهُدِّمَتۡ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٞ وَصَلَوَٰتٞ وَمَسَٰجِدُ يُذۡكَرُ فِيهَا ٱسۡمُ ٱللَّهِ كَثِيرٗاۗ﴾ الحج: ٤٠

(وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ)

حيث شرع لهم الجهاد الذي فيه سعادتهم و المدافعة عنهم

و مكنهم من الأرض بأسباب يعلمونها، و أسباب لا يعلمونها.

ثم قال تعالى: (تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّ)

أي: بالصدق الذي لا ريب فيها المتضمن :-

1-للاعـــــتبار 2-و الاســـــتبصار 3-و بيـــــان حقائق الأمور

(وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ)

*****هذا توكيد و توطيد للقسم**

فهذه شهادة من الله لرسوله برسالته التي من جملة أدلتها ما قصه الله عليه من

أخبار الأمم السالفين و الأنبياء و أتباعهم و أعدائهم

التي لولا خبر الله إياه لما كان عنده بذلك علم بل لم يكن في قومه من عنده

شيء من هذه الأمور،

فدل أنه رسول الله حقا و نبيه صدقا الذي بعثه بالحق و دين الحق ليظهره على

الدين كله و لو كره المشركون.

-و في هذه القصة من الآيات و العبر ما يتذكر به أولو الألبـــــاب:-

1-فمنها:أن اجتماع أهل الكلمة و الحل و العقد و بحثهم في الطريق الذي

تستقيم به أمورهم و فهمه، ثم العمل به،

←أكبر سبب لارتقائهم و حصول مقصودهم،

كما وقع لهؤلاء المَلأ حين راجعوا نبيهم في تعيين ملك تجتمع به كلمتهم و يلم متفرقهم، و تحصل له الطاعة منهم،

2–ومنها:أن الحق كلما عورض و أوردت عليه الشبه ازداد وضوحا و تميز و حصل به اليقين التام كما جرى لهؤلاء،

لما اعترضوا على استحقاق طالوت للملك أجيبوا بأجوبة حصل بها الإقناع و زوال الشبه و الريب.

3–ومنها:أن العلم و الرأي: مع القوة المنفذة بهما كمال الولايات، و بفقدهما أو فقد أحدهما نقصانها و ضررها.

4–ومنها:أن الاتكال على النفس سبب الفشل و الخذلان، و الاستعانة بالله و الصبر و الالتجاء إليه سبب النصر، فالأول كما في قولهم لنبيهم:–

(وَمَا لَنَا أَلا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا)

فكأنه نتيجة ذلك أنه لما كتب عليهم القتال تولوا، و الثاني في قوله:

(ولما برزوا لجالوت وجنوده قالوا ربنا أفرغ علينا صبرا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين فهزموهم بإذن الله)

5–ومنها: أن من حكمة الله تعالى تمييز الخبيث من الطيب، و الصادق من الكاذب، و الصابر من الجبان،

و أنه لم يكن ليذر العباد على ما هم عليه من الاختلاط و عدم التمييز.

6–ومنها: أن من رحمته و سننه الجارية أن يدفع ضرر الكفار و المنافقين بالمؤمنين المقاتلين،

و أنه لولا ذلك لفسدت الأرض باستيلاء الكفر و شعائره عليها.